

١
أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبُدَّاءُ وَالنَّهَائِيَّةُ

بمطبعة

الجريدة الثامنة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة المعارف

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَضْلٌ

في ذكر شيء من سيرته الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاضلة وخطبه
وحكمه التي هي الى القلوب واصلة

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن الملاء عن أبيه قال : خطب على الناس فقال : أيها الناس !
والله الذي لا إله إلا هو ما زريت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قيصه
فيها طيب - . فقال : أهداها إلى الدهقان ، - وفي رواية بضم الدال - ، وقال : ثم أتى بيت المال
فقال : خنوا وأنشأ يقول :

أفلح من كانت له قوصرة * يأكل منها كل يوم تمرة

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصرة . وقال حرمة عن ابن وهب عن ابن
لهيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا
خزيرة قفلنا : أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والأوز ، فإن الله قد أكثر الخير فقال : يا ابن
رزين إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها

هو وأهله ، وقصة يطعمها بين الناس » . وقال الامام أحمد : حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم
قالا : ثنا ابن لهيعة ثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن رزين أنه قال : دخلت على بن أبي
طالب ، قال حسن يوم الأضحى : فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ؟
- يعنى الأوز - فان الله قد أكثر الخير ، قال : يا ابن رزين إني سمعت رسول الله - ص - يقول :
« لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس »
وقال أبو عبيد : ثنا عباد بن العوام عن مروان بن عنترة عن أبيه قال : دخلت على بن أبي طالب
بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك
نصيياً في هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إني والله لا أرى من مالكم شيئاً ، وهذه القطيفة
هى التى خرجت بها من بيتي - أو قال من المدينة - وقال أبو نعيم : سمعت سفيان الثوري يقول :
ما بنى على لبنة ولا قصبة على لبنة ، وإن كان ليؤتى بمحبوبه من المدينة في جراب . وقال يعقوب بن
سفيان : ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان أبو حسان عن مجمع بن سمعان التيمي قال : خرج علي بن أبي
طالب بسيفه إلى السوق فقال : من يشتري مني سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها
إزاراً ما بعته . وقال الزبير بن بكار : حدثني سفيان عن جعفر قال - أظنه عن أبيه - إن علياً كان
إذا لبس قميصاً مديده في كمه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس لكم فضل عن
الأصابع . وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال : اشترى
علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذى هذا من ريشته .
وروى الامام أحمد في الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن مولى لأبي غصين قال :
رأيت علياً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرايس فقال له : عندك قميص سنبلاني ؟ قال : فأخرج
إليه قميصاً فلبسه فاذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً
حسناً ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فخلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق .
وقال محمد بن سعد : أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال : رأيت علياً وهو يخرج
من القصر وعليه قبطيتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشرق قريب منه ، ومعه درة له تمشي بها في
الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ويقول : لا تنفخوا
اللحم . وقال عبد الله بن المبارك في الزهد : أنا رجل حدثني صالح بن ميثم ثنا يزيد بن وهب
الجهني قال : خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر قد
أرخی جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقة فربه أعرابي فقال : أيها الانسان البس من
هذه الثياب فانك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابي إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي

من الزهو، وخيراً إلى في صلاتي، وسنة المؤمن. وقال عبد بن حميد: ثنا محمد بن عبيد ثنا المختار بن نافع عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقي لثوبك وأتقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فحشيت خلفه وهو مؤتزر بازار ومرتد برداءه ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد. فقلت: أجل أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو يسوق الابل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن العين تتفق السلعة وتمحق البركة، ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم فردده موالى فأني أن يقبله، فقال له علي: خذ تمرًا واعطها درهمًا فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فصبت تمره وأعطاهها درهمًا. ثم قال الرجل: أحب أن ترضي عني يا أمير المؤمنين، قال: ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم، ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر فقال: يا أصحاب التمر اطعموا المساكين يرب كنسكم. ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات - وهي سوق الكرايس - فأتى شيخاً فقال: يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم وكه ما بين الرسغين إلى الكعبين يقول في لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتى. فقيل له: يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله - س.؟ فقال: لا! بل شيء سمعته من رسول الله - س. يقولُه عند الكسوة. فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له: يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهين؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال: امسك هذا الدرهم. فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال إنما نحن القميص درهين، فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه. وقال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله - س.: «إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطفوا» ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبيع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ماتقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال أصاب شريح، مالي بينة، فقتضى بها شريح للنصراني، قال فأخذته النصراني

ومشى خطا ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدنني إلى قاضيه يقضى عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما إذ أسلمت فهي لك ، وحمله على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهر وان [وقال سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة : جاء جمعة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخري لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضى لهذا على هذا ؟ قال : فلهذه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله .] وقال أبو القاسم البغوي : حدثني جدي ثنا علي بن هاشم عن صالح بن أبي يحيى عن أبيه عن جده قال : رأيت علياً أشتري تمرأ بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك ؟ فقال : أبو العيال أحق بحمله . وعن أبي هاشم عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبائع والبالع فيفتح عليه القرآن ويقرأ [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً] ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس . وعن عبادة بن زياد عن صالح بن أبي الأسود عن حدثه أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلى رجله إلى موضع واحد ثم قال : أنا الذي أهنت الدنيا . وقال يحيى بن معين عن علي ابن الجعد عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائله ن : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال هشام ابن حسان : بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحمرت وجنتا الحسن وقال : رحم الله علياً ، إن علياً كان سماً لله صائباً في أعدائه ، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رهباني هذه الأمة ، لم يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه ، فكان منه في رياض موقفة ، وأعلام بينة ، ذاك علي بن أبي طالب بالكعب . وقال هشيم عن يسار عن عمار . قال : حدث رجل علي بن أبي طالب بمحدث فكذبه فما قام حتى عمي : وقال أبو بكر بن أبي الدنيا . حدثني شريح بن يونس ثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحضرمي عن زاذان أبي عمران رجلاً حدث علياً بمحدث فقال : ما أراك إلا قد كذبتني . قال : لم أفعل قال : أدعوك عليك إن كنت كذبت ، قال : ادع ! فدعا فما برح حتى عمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن سالم ثنا محمد بن بشر عن أبي مكين قال : مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟ قلت : نعم ! قال : فان علياً مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل

بناؤها ، قال : فما وضعت عليها لبنه ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الله بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني . قال : شهدت الجل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقدماً نادرة من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجل قال : لحدثني الحكم بن عيينة أن علياً دعا يوم الجل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسن رضي الله عنه . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن الجعد أنا عمرو بن شعير حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكه يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد (ص) ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد بانوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحن بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يعبد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم ، والله لكان القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رآى بعد ذلك مفترأً يضحك

حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم عن علي بن أبي طالب أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فانه يأتي من بعدكم زمان ينكر

فيه من الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أبواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالمعجل المذاييع البذر ثم قال : ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاقت إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا إن الله عبداً لمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلصين ، وأهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوادثهم خفيفة ، صبروا أياماً فنبلة لعقبي راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم . وأما النهار فظماء حلما بررة أتقياء ، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى زوما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم . وعن الأصمعي بن نباتة قال : صعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عباد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، فالتجنا النجا ، والوحا الوحا ، إن وراءكم طالب حنيث القبر فاحذروا ضعفته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار ، أوروضة من رياض

الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ، [وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها ومقامها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم . ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد حدثني من سمع علياً فذكر نحوه . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم قال : خطب على فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بدواع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المصير اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خاب عمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالتار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظلم ، وذلتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضراً يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعند صادق ، يحكم فيها مالك قادر ، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم ، فإن الله وعد جنته من أطاعه ، وأوعده ناره من عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفك أسيرها ، ولا يجبر كسيرها ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفي رواية فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل ينسى الآخرة . وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنا وزاد لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت بغيلها ، وفادت بفراقها ، وشابت بشروها السرور ، وبيلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها الدام الدنيا المعلن نفسه بالأمل متى خدعتك الدنيا أو متى اشتدمت إليك ؟ أم يصارع آياتك في البلاء ؟ أم يضامع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وعالت بكيفك ، ممن تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء . لا يفنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك . وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري . قال : جاء رجل إلى علي فأطراه - وكان يبيض علياً - فقال له : لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك . وروى ابن عساكر أن رجلاً قال لعلي : ثبتك الله قال : على صدرك . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا

سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال قال علي : إن الأمر ينزل إلى السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكون ذلك له فتنه ، فإن المسلم مالم يمش دُناه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ، ويعزى به لثام الناس ، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسينين ، إذا مادعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، وإما أن يعطيه الله في الآخرة فلا آخرة خير وأبقى ، الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والتقوى ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجتمعهما الله تعالى لأقوام . قال سفيان الثوري : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي ؟ وقال عن زبيد الياقبي عن مهاجر العامري قال : كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه : أما بعد فلا تطولن حجباك على رعيتك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاج يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يوارى عنه الناس به من الأمور ، وليس على القوم سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ، فانما أنت أحد الرجلين ، إما امرؤ شحت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ وخلق كريم تسد به ؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يتسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مالا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة أو طلب انصاف ، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله . وقال المدائني : كتب علي إلى بعض عماله : رويداً فكان قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالحل الذي ينادى المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة . وقال هشيم : أنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة . ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي فذكره . وقال أبو بكر بن دريد قال وأخبرنا عن دماذ عن أبي عبيدة قال : كتب معاوية إلى علي : يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة ، وكان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله (ص) ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي . فقال علي : لما لفضائل يفخر على ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب يا غلام

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عبي

وجعفر الذي يسمى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكتي وعربي * مسوط لها بدعي ولحي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيكم له سهم كسهي
سبقتكم إلى الاسلام طراً * صغيراً ما بلغت أوان جلي

قال فقال معاوية : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب . وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان على ومعاوية . وقال الزبير بن بكار وغيره : حدثني بكر بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي * معهُ ربيث وسبطاهما ولدي
جدي وجد رسول الله منفرد * وفاطم زوجتي لا قول ذي فندي
صدقته وجميع الناس في بهم * من الضلالة والاشراك والنكد
فالحمد لله شكراً لا شريك له * البر بالبعد والباقي بلا أمد

قال : فتبسم رسول الله (س) وقال : « صدقت يا علي » وهذا بهذا الاسناد منكرو الشعر فيه ركاكة ، وبكر هذا لا يقبل منه تفرد به هذا السند والمتن والله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي : ثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصبع ابن نبانة عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فاني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني محتاج ، فقال علي : على بجملة ، فأتى بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الناحلا
إن نلت حسن ثنائ نلت مكرمة * ولست أبغى بما قد قلته بدلا
إني الشاء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداء السهل والجللا
لا تزهدي الدهر في خير تواقه * فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي : على بالدنانير فأتى بمائة دينار فدفعها إليه ، قال الأصبع : فقلت يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله (س) يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي . وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب :

إذا اشتملت على الناس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره وأطمأنت * وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً * ولا أغنى بحيلته الأريب
أنالك على قنوط منك غوث * بمن به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب
وما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب :-

ألا فاصبر على الحدث الجليل * وداو جواك بالصبر الجليل
ولا تجزع فان أعسرت يوماً * فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقاً * لكان الرزق عند ذوى العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوماً * سيروى من رحيق السلسيل

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجمع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ،
والكافر يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة
أحكم الحاكمين . وما أنشده علي بن جعفر الوراق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أجد الثياب إذا اكتسيت فانها * زين الرجال بها تفر وتكرم
ودع التواضع في الثياب نخشعاً * فالله يعلم ما نجس وتكتم
فإنك ثوبك لا يزيدك زلفه * عند الله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن * نخشى الله وتبقى ما يحرم

وهذا كما جاء في الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم
وأعمالكم » وقال الثوري : ليس الزهد في الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد في الدنيا
قصر الأمل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الآ كبير المبرد : كان مكتوباً على سيف علي :

للناس حرص على الدنيا وتديبر * وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم * فالعقل منهم عن الطاعات بأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قدمزجت * صفاء عيشتها هم وتكدير
لم يرزقوها بعقل عند ما قسمت * لكنهم رزقوها بالمقادير

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ لَبِيبٍ لَا تَسَاعِدُهُ * وَمَاتُوا نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَوْ كَانَ عَنْ قُوَّةٍ أَوْ عَنْ مَغَالِبَةٍ * طَارَ الْبِرَازَةُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : ثَنَا سُلَيْمَةُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ مَجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِرَجُلٍ كَرِهَ

لَهُ صَحْبَةُ رَجُلٍ :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَلْمِ * لَنْ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ * فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ جَاهِلٍ * أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * وَإِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ * وَلِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ * مُقَايِسٌ وَأَشْبَاهُ
* وَالْقَلْبُ عَلَى الْقَلْبِ * بِدَلِيلٍ حِينَ يَلْقَاهُ *

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَمَاءِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : وَقَفَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى قَبْرِ فَاطِمَةَ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنِّي * بِرَدِّ الْمَهْمُومِ الْمَاضِيَّاتِ وَكَيْلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٍ * وَكُلِّ الَّذِي قَبْلَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنْ أَفْتَقَدَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ * دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلُ
سَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي * وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا انْقَطَعَتْ يَوْمًا مِنَ الْعَيْشِ مَدَّتِي * فَانْ غِنَاءُ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ

وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ * وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قَوْتُ
فَمَا لِلْمَرْءِ يَصْبَحُ ذَا هَمُومٍ * وَحَرَصٍ لَيْسَ تَدْرِكُهُ النَّعُوتُ
صَنِيعٌ مَلِكُنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ * وَمَا أَرْزَاقُهُ عِنَّا تَفُوتُ
فِيَاهُنَا سَتَرَحُلُ عَنْ قَلِيلٍ * إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السَّكُوتُ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهُ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ لِمَنْ أَرَادَهُ اللَّهُ الْحَمْدَ وَالْمُنَّةَ .

وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ عَنْ أَبِي يُونُسَ السَّخْتِيَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ أَحَبَّ
عَمْرًا فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَانَ فَقَدْ اسْتَنْارَ بِنُورِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَمَنْ قَالَ الْحَسَنَى فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَقَدْ بَرَّئَ مِنَ النِّفَاقِ .

غَرِيبَةٌ مِنَ الْغَرَائِبِ وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَوَابِدِ

قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ثَنَا سَيَارُ ثَنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ قَالَ مَعْمَرُ مَرَّةً وَأَنَا مُسْتَقْبِلُهُ
وَتَبَسَّمَ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَحَدٌ فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : عَجِبْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَأَنَّ الْكُوفَةَ إِنَّمَا بُنِيتْ
عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ ، مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا وَجَدْتُ الْمُقْتَصِدَ مِنْهُمْ الَّذِي يُفْضَلُ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ،
مِنْهُمْ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ ، قَالَ : قُلْتُ لِمَعْمَرٍ وَرَأَيْتَهُ ؟ - كَأَنِّي أَعْظَمْتُ ذَاكَ - فَقَالَ مَعْمَرُ : وَمَا ذَاكَ ؟ لَوْ أَنَّ

رجلا قال على أفضل عندي منهما ما عبتة إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلا قال : عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عفتة . قال عبد الرزاق : قد كرت ذلك لو كيع بن الجراح ونحن خالين فاستهاهما من سفیان وضحك وقال : لم يكن سفیان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر بالم يقض إلينا ، وكنت أقول لسفیان : يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا عليا علي أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول : أخشى أن يكون ذلك طعنا على أبي بكر وعمر ولكننا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمي - يعني معتمراً - فقال : سمعت أبي يقول : فضل علي بن أبي طالب بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم ، وعثمان أحب إلى منه . هكذا رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده عن ابن أبي خيثمة به . وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فان المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان ، فأما على الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غبي ، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال غير واحد من العلماء - كأبيوب والدارقطني - من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأَنْصار . وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح . وقال يعقوب بن أبي سفیان : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاريسي ثنا إبراهيم بن سعيد عن شعبة عن أبي عون - محمد بن عبد الله الثقفي - عن أبي صالح الخنفي قال : رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى أنى لأرى ورقه يتقمع قال ثم قال : اللهم إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطيني ثواب ما فيه ، ثم قال : اللهم إني قد ملאתهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير طبعي وخلق وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم أمت قلوبهم موت الملح في الماء . قال إبراهيم : - يعني أهل الكوفة - وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الرحمن بن صالح ثنا عمرو بن هشام الخبي عن أبي خباب عن أبي عوف الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : قال لي الحسن بن علي قال لي علي : « إن رسول الله - ﷺ - سنج لي الليلة في منامي فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ قال : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فخرج فضربه الرجل | الأود العوج واللدد الخصومة | وقد قدمنا الحديث الوارد بالاخبار بقتله وأنه يخضب لحيته من قرن رأسه ، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله ، وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يحرسونه كل ليلة عشرة - يبيتون في المسجد بالسلاح - فرآهم على فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء ، وإن علي من الله جنة حصينة . وفي رواية : وإن الرجل جنة محصونة ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال : اتقه اتقه ،

فاذا جاء القدر خلا عنه ، وفي رواية : ملكان يدفعان عنه فاذا جاء القدر خليا عنه ، وإنه لا يجد عبداً حلاوة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وكان على يدخل المسجد كل ليلة فيصلّي فيه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الأوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال : ذروهن فأتين نوائح ، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل . فقال الناس : يا أمير المؤمنين لا تقتل مراداً كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إيساره ، فان مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول : مالي ولصلاة الغداة ، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة ، رضي الله عنها . وقيل لعلي : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ، فان يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (ص) ، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق . وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته ، قال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات على ولي غسله ودفنه أهله ، وصلى عليه ابنه الحسن وكبراً رباعاً ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن على بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جمعة بن هبيرة ، بجذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية . وقال شريك القاضي هو أبو نعيم الفضل بن دكين : نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله (ص) . وقال عيسى بن دآب : بل لما تحملوا به حملوه في صندوق على بعير ، فلما مروا به ببلاد طي أضلوا ذلك البعير فأخذته طي تحسب فيه مالا ، فلما وجدوا بالصندوق ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام - لما هدم دوراً ليعينها وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فاذا هو علي ، فأراد أن يحرقه بالنار فقبل له : أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله ، فلفه في قباطي ودفنه هناك . قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواه ابن عساكر . ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبولاري ليحرقوه ، فقالوا لهم أولاد علي : دعونا نشقى منه ، فقطعت يده ورجلاه فلم يجرع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها ، وإن عينيه لتسيلان على خديه ، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعاً شديداً ، فقبل له في ذلك فقال : إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقلاً أذكر الله

خُلْدَةُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قد ذكرنا ان علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين فقال لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله (ص) - يعني بغير استخلاف - فان يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (ص) ، فلما توفي وصلي عليه ابنه الحسن - لأنه أكرم بنبيه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الامارة على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يلك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل إنما مات بعد الطعنة بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن ابن علي ، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، تحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات على ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولى عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله ، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقا تل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انتهوا سرادق الحسن ، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أمتوته وأشهرته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فقتله وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعنه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ؟ قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحك الله وقبح ما جئت به ، أغدر بأبن بنت رسول الله (ص) ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان - وكان قد ركب في أهل الشام فقتل مسكن - براوضه على الصلح بينهما ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقدموا عليه الكوفة فبدلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أبجرد له ، وأن لا يسب على وهو يسمع ، فإذا فعل ذلك نزل عن الامرة

لمعاوية ، ويحقن الدماء بين المسلمين . فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين لأخيه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضى الله عنه كما سند ذكر دليله قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتهما جميعاً ، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريب كما سند كره . ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سند كره إن شاء الله ، وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة أربعين - المغيرة بن شعبة ، وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلى إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بامرة الحج ، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الامرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضى الله عنه ذلك ، وإنما نهىنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فان الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزغة شيعية . قال ابن جرير : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بإيلياء - يعني لما مات علي - قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضى الله عنه ليمانوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة الخالفة لآرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله - ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوى آرائهم . والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سمينة مولى رسول الله - ، أن رسول الله - قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فانه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله - ، فانه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً . وقد مدحه رسول الله - ، على صنيعه هذا وهو ترك الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية ، وحققه دماء هذه الامة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه وسنورده في حديث أبي بكره الثقي أن رسول الله - ، صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخاري .

فيه . فقتل عند ذلك وحرق بالنار ، قبحه الله . قال محمد بن سعد : كان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنه ، في جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس ابن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم . وكان طعن علي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف قليل مات من يومه وقيل يوم الأحد التاسع عشر منه ، قال الفلاس : وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين عن بضع أو ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور ، قاله محمد بن الحنفية ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضى الله عنه . وقال جرير عن مغيرة قال : لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخنة بنت قرطة في يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي فقالت له فاخنة : أنت بالأمس تطنن عليه واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقدت الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره . وذكر ابن أبي الدنيا - في كتاب مكائد الشيطان - أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لا يدرى أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يخمشه هر أسود برى ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البرى : ويحك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : ويحك ائتنى بشئ أتبلغ به فاني جائع وأنا تعبان ، هذا أوان مجئى من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الالهلى : والله إنه ليس هاهنا شئ إلا وقد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفو دكانوا يشوون عليه اللحم ، فقال : ائتنى به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف ، وذلك برأى من الغلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : ويحك مالك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليه خبر ما رأى ، فقال له : ويحك أمانم هذا ؟ قال : لا والله ، قال : ويحك ! أفأصابك جنون بعدى ؟ قال لا والله ، ولكن الأمر كما وصفت لك ، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده بما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرخوا ذلك عندهم قبل مجئ البرد ، ولما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به مطابقاً لما كان أخبر به أبو الغلام ، وهذا ملخص ما ذكره . وقال أبو القاسم : ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأسم قال : قلت للحسين بن علي : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق عن عمرو بن الأسم عن الحسن بن علي بنحوه .

سنة احدى واربعين

قال ابن جرير: فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان . ثم روى عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون مسلمون [من سألت] محاربون [من حاربت] فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشوه فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسأله ويرأسه في الصلح بينه وبينه على ما يختاران . وقال البخاري في كتاب الصلح: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن أبي موسى . قال: سمعت الحسن يقول: « استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين - : إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضعتهم؟ من لي بنفسائهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر - قال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتسكما وقالاه وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عانت في دماءها، قالا: فانه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك . قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه »، قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله - ﷺ - على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . قال البخاري قال لي علي بن المديني: إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكر بهذا الحديث، قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن عن علي بن عبد الله - وهو ابن المديني - وفي فضائل الحسن عن صدقة بن الفضل ثلاثتهم عن سفيان . ورواه أحمد عن سفيان - وهو ابن عيينة - عن إسرائيل بن موسى البصري به . ورواه أيضاً في دلائل النبوة عن عبد الله بن محمد - وهو ابن أبي شيبة - ويحيى بن آدم كلاهما عن حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسن وهو البصري به . وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن البصري به . ورواه أبو داود أيضاً والترمذي من طريق أشعث عن الحسن به . وقال الترمذي: حسن صحيح . وقد رواه النسائي من طريق عوف الأعرابي وغيره عن الحسن البصري مرسل . وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني من سمع الحسن يحدث عن أبي بكر قال: « كان النبي - ﷺ - يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: « إن ابني

هذا سيد إن يمش يصلح بين طائفتين من المسلمين» قال الحافظ ابن عساكر : كذا رواه معمر ولم
يسم الذي حدثه به عن الحسن ، وقد رواه جماعة عن الحسن منهم أبو موسى إسرائيل ، ويونس بن
عبيد ، ومنصور بن زاذان ، وعلى بن زيد ، وهشام بن حسان ، وأشعث بن سوار ، والمبارك بن
فضالة ، وعمر بن عبيد القدرى . ثم شرع ابن عساكر فى طريق هذه الروايات كلها فأفاد وأجاد
قلت : والظاهر أن معمرأ رواه عن عمرو بن عبيد فلم يفصح باسمه . وقد رواه محمد بن إسحاق بن
يسار عنه وسماه ، ورواه أحمد بن هاشم عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبى بكرة فذكر الحديث
قال الحسن : فوالله والله بمس أن يولى لم يهراق فى خلافته ملء محجمة بدم ، قال شيخنا أبو الحجاج
المزنى فى أطرافه : وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أم سلمة . وقد روى هذا الحديث من طريق
جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله (س) : «إن ابني هذا سيد
يصلح الله به بين فئتين من المسلمين» . وكذا رواه عبد الرحمن بن معمر عن الأعمش به . وقال
أبو يعلى : ثنا أبو بكر ثنا زيد بن الحباب ثنا محمد بن صالح التمار المدنى ثنا محمد بن مسلم بن أبى مریم
عن سعيد بن أبى سعيد المدنى قال : كنا مع أبى هريرة إذ جاء الحسن بن على قد سلم علينا قال :
فنبهه [فلحقه] وقال : وعليك السلام ياسيدى ، وقال سمعت رسول الله (س) يقول : «إنه سيد»
وقال أبو الحسن على بن المدنى : كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول سنة
إحدى وأربعين ، وقال غيره : فى ربيع الآخر . ويقال فى غرة جمادى الأولى فوالله أعلم . قال :
وحينئذ دخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة . وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص
أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن على أن يخطب الناس ويعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية ، فأمر
معاوية الحسن فقام فى الناس خطيباً فقال فى خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله
(س) : أما بعد أيها الناس ! فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ،
والدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه (س) : [وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين] ، فلما
قالها غضب معاوية وأمره بالجلوس ، وعتب على عمرو بن العاص فى إشارته بذلك ، ولم يزل فى نفسه
لذلك والله أعلم . فأما الحديث الذى قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدثنا محمود بن غيلان ثنا
أبو داود الطيالسى ثنا القاسم بن الفضل الخداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن
على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين - أو يأسود وجوه المؤمنين - فقال : لا تؤذبنى
رحمك الله ، فإن النبي (س) أرى بنى أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت [إنا أعطيناك الكوثر] يا محمد
- يعنى نهراً فى الجنة - ونزلت [إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
ألف شهر] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال الفضل : فعددتنا فإذا هى ألف شهر لا تزيد يوماً

ولا تنقص . ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي ، قال : وشيخه يوسف بن سعد ، ويقال يوسف بن ماذن - رجل مجهول - قال : ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، فانه حديث غريب بل مندرجاً ، وقد تكلمنا عليه في كتاب التفسير بما فيه كفاية وبيننا وجه نكارتة ، وناقشنا القاسم ابن الفضل فيما ذكره ، فمن أراد ذلك فليراجع التفسير والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : ثنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكمي ثنا عباس بن محمد ثنا أسود بن عامر ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو روق الهمداني ثنا أبو العريف قال : كنا في مقدمة الحسن بن علي إثنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو الغمر طه فلما جاءنا بصلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من النفيظ ، فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سعيد بن النتل : السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال : لا تغل هذا يا عامر ! لست بمذل المؤمنين ولكنني كرهت أن أقتلهم على الملك . ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه السكامة في سائر الأقاليم والآفاق ، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب - وقد كان عزم على الشقاق - وحصل علىبيعة معاوية عامئذ الاجتماع والاتفاق ، ترحل الحسن ابن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر بمحبي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو في ذلك هو البار الراشد المدوح ، وليس يجدر في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعتهم ، ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرّاً إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما تقدم في الحديث الصحيح والله الحمد والمنة . وسيأتى فصول الحسن عند ذكر وفاته رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات الفردوس متقلبه ومتواه ، وقد فعل . وقال محمد بن سعد : أنا أبو نعيم ثنا شريك عن عاصم عن أبي رزين . قال : خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها . وروى ابن عساكر عن الحسن أنه كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش رضي الله عنه .

معاوية بن أبي سفيان وملكه

قد تقدم في الحديث أن الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً ، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول الملك ، فهو أول ملوك الاسلام وخيارهم . قال

الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أحمد بن يونس ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله (ص) ، « إن هذا الأمر بد رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائن ملكان عضوضا ، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمر ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » . إسناده جيد . وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر وفيه ضعف عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله (ص) ، لي : « يا معاوية إن ملكك فأحسن » . رواه البيهقي عن الحسام عن الأصم عن العباس بن محمد عن محمد بن سابق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل ، ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجود آخر ، منها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الاداة فتبع رسول الله فنظر إليه فقال له : « يا معاوية إن وليت أمرا فاتق الله واعدل » قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله (ص) . ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال قال رسول الله (ص) : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم » قال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله (ص) . فنفعه الله بها . ثم روى البيهقي من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام » غريب جدا ، وروى من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص) : « بينا أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصرى فعمد به إلى الشام ، وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام » . وقد رواه سعيد عن عبد العزيز عن عطية ابن قيس عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو . ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة . وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحمصي عن أبيه عن عبد الله بن قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله (ص) : « رأيت عمودا من نور خرج من تحت رأسي ساطعا حتى استقر بالشام » . وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ، فقال له علي : لا تنسب أهل الشام فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال . وقد روى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعا :

فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكتب وحى رب العالمين ، أسلم هو وأبوه وأمه هند

بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضاء .
ولكني كنت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح ، وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية ، وآلت
إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيساً مطاعاً ذامال
جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم ،
قال ومعاوية نجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم » ثم سأل أن يزوجه رسول الله (س) ، بانيته ، وهي
عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبين رسول الله (س) أن
ذلك لا يحل له . وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع ، وأفردنا له مصنفاً على حدة والله الحمد
والمنة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله (س) مع غيره من كتاب الوحي رضى الله
عنهم . ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقره على ذلك عثمان
ابن عفان وزاده بلاداً أخرى ، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة ، قاله
الحافظ ابن عساكر . ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه من باشر قتل
عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة
من أهل الشام ومانع عليها وقد قال : لا أبايعة حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً ، وقد قال
الله تعالى : [ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً] . وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال :
مازلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية . وأوردنا سنده ومثله عند تفسير هذه الآية . فلما
امتنع معاوية من البيعة لملي حتى يسلمه القتلة ، كان من صفين ما قدمنا ذكره ، ثم آل الأمر إلى
التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة
الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما
تقدم ، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي ، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان . ثم
ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان
وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فأنهت الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم
الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى
وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما يايعة الناس - واستوثقت
له الممالك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وصمى . هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير
واحد بعد الفرقة ، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني . وكان
على شرطته قيس بن حمزة ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومي ، ويقال إنه أول
من اتخذ الحرس وأول من حزم الكتب وختمها ، وكان أول الأحداث في دولته رضى الله عنه .

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهله منها قاصدين إلى الحجاز ، قالت فرقة من الخوارج - نحو من خمسمائة - : جاء ملا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ، فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل ، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين ، فقال معاوية : لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم ، فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماتبغون ؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا ؟ فدعونا حتى نقاتله فإن أصفناه كنا قد كفينا كرهه ، وإن أصفناه كنتم قد كفيتهمونا . فقالوا : لا والله حتى نقاتلكم ، فقالت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل الثبروان كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة ، فاقتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردهم ، ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبه : توليه الكوفة وأباه مصر وتبقى أنت بين لحبي الأسد ؟ ففناه عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبه ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخراج ؟ هلا وليت الخراج رجلاً آخر ؟ فعزله عن الخراج وولاه على الصلاة ، فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له : ألسن المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ؟ قال : بلى ! قال : فهذه بتلك . وفي هذه السنة وثب حمران بن أبان على البصرة فأخذها وتغلب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومن معه ، فجاء أبو بكره الثقفي إلى معاوية فسأله في الصفح والعفو ، فغضب عنه وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطاة ، فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم ، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضر إليه فلبث ، فكتب إليه بسر : إني لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلا قتلت بديك ، فبعث أبو بكره إلى معاوية في ذلك . وقد قال معاوية لأبي بكره : هل من عهد تعهده إلينا ؟ قال : نعم ! أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحاً فانك قد تقلدت عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فاتق الله فان لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك ، وإنما هي محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً . ثم ولى معاوية في آخر هذه السنة البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر : إن لي بها أموالاً وودائع ، وإن لم توليها هلك ، فولاه إياها وأجابه إلى سؤاله في ذلك . قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقال الواقدي : إنما حج بهم عتبة بن أبي سفيان فأنه أعلم .

من أعيان من توفي هذا العام

رفاعة بن رافع بن مالك بن المجلان شهد العقبة ويدراً وما بعد ذلك .

ركانة بن عبد العزى

ابن هشام بن عبد المطلب القرشى ، وهو الذى صارعه النبی (ص) فصرعه ، وكان هذا من أشد الرجال ، وكان غلب رسول الله (ص) له من المعجزات كما قدمنا فى دلائل النبوة ، أسلم عام الفتح ، وقيل قبل ذلك بمكة فآله أعلم .

صفوان بن أمية

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن وهب القرشى ، أحد الرؤساء تقدم أنه هرب من رسول الله (ص) عام الفتح ، ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه ، وكان الذى استأمن له عمير بن وهب الجهمي . وكان صاحبه وصديقه فى الجاهلية كما تقدم ، وقدم به فى وقت صلاة العصر فاستأمن له فأمنه رسول الله (ص) أربعة أشهر ، واستعار منه أدرعاً وسلاحاً ومالا . وحضر صفوان حينئذ مشركاً ، ثم أسلم ودخل الإيمان قلبه ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهلية . قال الواقدي : ثم لم يزل مقبلاً بمكة حتى توفى بها فى أول خلافة معاوية .

عثمان بن طلحة

ابن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار العبدي الحنفي ، أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص فى أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي حديثاً طويلاً عنه فى صفة إسلامه ، وهو الذى أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة عام الفتح ثم رده إليه وهو يتلو قوله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] وقال له : « خذها يا عثمان خالدة تالدة لا ينتزعها منكم إلا ظالم » . وكان على قد طلبها فتمه من ذلك . قال الواقدي : نزل المدينة حياة رسول الله ، فلما مات نزل بمكة فلم يزل بها حتى مات فى أول خلافة معاوية .

عمرو بن الأسود السكوني

كان من العباد الزهاد ، وكانت له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل ، وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافة الخلاء ، روى عن معاذ ، وعبادة بن الصامت ، والعرباض بن سارية وغيرهم ، وقال أحمد فى الزهد : ثنا أبو الهيثم ثنا ابن بكر عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب قال : قال عمر بن الخطاب : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله (ص) فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

عاتكة بنت زيد

ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، وهى أخت سعيد بن زيد أحد العشرة ، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن ، تزوجها عبيد الله بن أبي بكر فقيم بها ، فلما قتل فى غزوة الطائف آلت أن لا تزوج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب - وهو ابن عمها - فتزوجها ، فلما

قتل عنها خلف بعده عليها الزبير بن العوام ، قتل بوادي السباع ، فبعث إليها علي بن أبي طالب بخطبها فقالت : إني أخشى عليك أن تقتل ، فأبت أن تزوجه ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فانها لم تزل حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة رحها الله .

سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم قتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلموا ، وفيها ولي معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى قضائها شريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خراسان قيس ابن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا قد عفى عنهم على يوم النهروان ، وقد عوفى جرحاهم وثابت إليهم قوام ، فلما بلغهم مقتل علي ترحوا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يدك عتقت قتال علي بالسيف ، وجعلوا يحمدون الله على قتل علي ، ثم عزموا على الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها يزعمون . وفي هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية - وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عرفت به يقال لها قلعة زياد - فكتب إليه معاوية : ما يحملك على أن تهلك نفسك ؟ أقدم علي فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقي عندك فأتني به وأنت آمن ، فان شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيث ما شئت من الأرض فأنت آمن . فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية ، فبلغ المغيرة قدمه فخشي أن يجتمع بمعاوية قبله ، فسار نحو دمشق إلى معاوية فسبقه زياد إلى معاوية بشهر فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت جئت بعدي بشهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر النقصان ، فأكرم معاوية زياداً وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيها صرفه .

سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بسر بن أبي أرطاة بلاد الروم فتوغل فيها حتى بلغ مدينة قسطنطينية ، وشتى ببلادهم فيها زعمه الواقدي ، وأنكر غيره ذلك وقالوا : لم يكن بها شتى لأحد قط فأنه أعلم . قال ابن جرير : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ، ومحمد بن مسلمة ، قلت : وسند كثر ترجحه كل منهما في آخرها ، فولى معاوية بعد عمرو بن العاص على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو ، قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين . وقد كانت في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وأربعين - وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمموا - كما قدمنا - على الخروج على الناس في هذا الحين ، فاجتمعوا في قريب من ثلثمائة عليهم ألسنورد بن علقمة ، فجهز عليهم المغيرة بن شعبة جنداً عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواع في طليعة هي ثلثمائة على عدة الخوارج ، فلقبهم أبو

الرواع يمكن يقال له المذار : فاقتتلوا معهم فهزمهم الخوارج ثم كروا عليهم فهزمهم الخوارج ، ولكن لم يقتل أحد منهم ، فلزموا مكانهم في مقاتلتهم ينظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار غربت فيه الشمس ، فترجل وصلى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرواع فقال له : أيها الأمير إن لهم شدة منكورة ، فكأن أنت رداً الناس ، وحر الفرسان فليقاتلوا بين يديك ، فقال معقل بن قيس : نعم مارأيت ، فما كان إلا ريثما قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه ، فأنجفل عنه عامة أصحابه ، فترجل عند ذلك معقل بن قيس وقال : يا معشر المسلمين الأرض الأرض ، فترجل معه جماعة من الفرسان والشجمان قريب من مائتي فارس ، منهم أبو الرواع الشاكري ، فحمل عليهم المستورد بن علقمة بأصحابه فاستقبلوهم بالرماح والسيوف ، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فدمروهم وعيروهم وأنهبهم على الفرار فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قتالا شديداً ، والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصنعهم معقل بن قيس ميمنة وميسرة ورتبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى تصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هزمت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا ، فسار معقل في طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواع في ستائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فنثار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة ، ثم حملوا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواع بمن معه ، وجعل يدمرهم ويعيبرهم ويؤذيهم على الفرار ويحتمهم على الصبر فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم ، فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيئاً ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض نهرشير ، وتبعهم أبو الرواع ولحقه معقل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم شريك بن عبيد - نائب المدائن - ولحقهم أبو الرواع بمن معه من المقدمة . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة . ومن توفي بها عمرو بن العاص ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما . أما عمرو بن العاص [فهو عمرو ابن العاص] بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب انقرش السهمي ، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد ، أحد رؤساء قريش في الجاهلية ، وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبههم إلى ذلك لعذله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال إنه أسلم على يديه وإنصح حيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالده بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدي . وكان أحد أمراء الاسلام ، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمه رسول الله (ص) . بعدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله (ص) على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله (ص) ، وأقره عليها الصديق . وقد قال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة ثنا مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر . قال قال رسول الله (ص) : « أسلم

الناس وآمن عمرو بن العاص « وقال أيضاً : ثنا إسحاق بن منصور ثنا أبو أسامة عن نافع عن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة . قال قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله يقول : « إن عمرو بن العاص من صالحى قریش » وفى الحديث الآخر : « ابنا العاص مؤمنان » وفى الحديث الآخر : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » . روي فى فضائل عمرو بن العاص . ثم إن الصديق بعثه فى جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب ، وكانت له الآراء السديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السعيدة . ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابها عليها ، وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله كما قدمنا ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فاعتزل عمرو بفلسطين وبقى فى نفسه من عثمان رضى الله عنهما . فلما قتل سار إلى معاوية فشهد موافقه كلها بصفين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمين . ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر ، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبها إلى أن مات فى هذه السنة على المشهور ، وقيل إنه توفى سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين . وقيل سنة إحدى وخمسين رحمه الله . وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آرائهم . وله أمثال حسنة وأشعار جيدة . وقد روى عنه أنه قال : حفظت من رسول الله (س) ألف مثل ، ومن شعره :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه * ولم ينة قلباً غلوياً حيث يما
قضى وطراً منه وغادر سبة * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الامام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ثنا عبد الله - يعنى ابن المبارك - أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماس حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعاً على الموت ؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت ، فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسى فيه ، كنت أول قریش كافراً ، وكنت أشد الناس على رسول الله (س) ، فلومت حينئذ وجبت لى النار ، فلما بايعت رسول الله (س) ، كنت أشد الناس حياء منه ، فما ملأت عينى من رسول الله ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياء ، فلومت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة . ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري على أم لى ، فاذا مت فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعنى مادح ولا ناز ، وشدوا على إزارى فاقى مخاصم ، وشنوا على التراب شناً ، فان جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا نجملن فى قبرى خشبة ولا حجراً ، وإذا وارىتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور أستأنس بكم . وقد روى مسلم هذا الحديث فى صحيحه من

حديث يزيد بن أبي حبيب باسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق ، فنها قوله : كي أستاذك بكم
لأنظر ماذا أراجع رسل ربي عز وجل . وفي رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول :
اللهم أمرتنا فصينا ، ونهيتنا فما انتهينا ، ولا يسعنا إلا عفوك . وفي رواية أنه وضع يده على موضع
للغل من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستنكر
بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ، فلم يزل يردد هذا حتى مات رضى الله عنه .

وأما محمد بن مسلمة الأنصاري [فقد] أسلم على يدى مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير وسعد
ابن معاذ ، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك فانه استخلفه رسول الله على المدينة في قول ، وقيل استخلفه
في قرقرة الكدر ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي ، وقيل إنه الذي قتل مرجأ اليهودي
يوم خيبر أيضاً . وقد أمره رسول الله (ص) ، على نحو من خمس عشرة سرية ، وكان ممن اعتزل تلك
الحروب بالجلل وصفين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب . وقد ورد في حديث قدمناه أنه أمره
رسول الله (ص) ، بذلك وخرج إلى الربرة . وكان من سادات الصحابة ، وكان هو رسول عمر إلى عماله
وهو الذي شاطرم عن أمره ، وله وقائع عظيمة وصيانة وأمانة بليغة ، رضى الله عنه ، واستعمله على
صدقات جهينة ، وقيل إنه توفي سنة ست أو سبع وأربعين ، وقيل غير ذلك . وقد جاوز السبعين ،
وترك بعده عشرة ذكور وست بنات ، وكان أشعر شديد السمرة طويلاً أصلم رضى الله عنه .

ومن توفي فيها عبد الله بن سلام أبو يوسف الاسرائيلي أحد أجباز اليهود ، أسلم حين قدم رسول
الله (ص) . المدينة ، قال : لما قدم رسول الله المدينة أنجفل الناس إليه فكنت فيمن أنجفل إليه ، فلما
رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس وجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أيها الناس
افتشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » . وقد ذكرنا صلة إسلامه
أول الهجرة ، وماذا سأل عنه رسول الله (ص) ، من الأسئلة النافعة الحسنة ، رضى الله عنه . وهو ممن
شهد له رسول الله بالجنة ، وهو ممن يقطع له بدخولها .

سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك ، وفيها غزا بسر
ابن أبي أرطاة في البحر ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد
وكان لئيم العريكة سهلاً ، يقال إنه كان لا يقطع لصاً ويريد أن يتألف الناس ، فذهب عبد الله بن
أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية ، فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة وبعث إليها
الحريث بن عبد الله الأزدي ، ويقال إن معاوية استدعاه إليه ليؤمره فقدم ابن عامر على معاوية
دمشق فأكرمه وردده على عمله ، فلما ودعه قال له معاوية : ثلاث أسألكن قتل هي لك وأنا ابن أم

حكيم ، ترد على عملي ولا تفضب ، قال ابن عمر : قد فعلت ، قال معاوية : وتهب لي مالك بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دورك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتك رحماً ، فقال ابن عمر : يا أمير المؤمنين وإني سائلك ثلاثاً قتل هي لك وأنا ابن هند ، قال : ترد على مالي بعرفة ، قال : قد فعلت قال ولا تحاسب : لي عاملان ولا أميراً ، قال : قد فعلت ، قال : وتنكحني ابنتك هنداً ، قال : قد فعلت . ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث واعتزل عن البصرة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد ابن أبيه فألقه بأبي سفيان ، وذلك أن رجلاً شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد في الجاهلية ، وأنها حملت بزياد هذا منه ، فلما استلحقه معاوية قيل له زياد بن أبي سفيان ، وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله (س) : « الولد للفراس وللعاهر الحجر » . وقال أحمد : ثنا هشيم ثنا خالد عن أبي عثمان قال : لما ادعى زياد لقيت أبا بكره فقلت : ما هذا الذي صنعتُم ؟ سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله (س) يقول : « من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » فقال أبو بكره : وأنا سمعته من رسول الله (س) ، أخرجه من حديث أبي عثمان عنهما . قلت : أبو بكره واسمه نفيح وأمه سمية أيضاً . وحج بالناس في هذه السنة معاوية ، وفيها عمل معاوية المقصورة بالشام ، و مروان مثلها بالمدينة . وفي هذه السنة توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، واسمها رملة أخت معاوية ، أسلمت قديماً وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر هناك زوجها ، وثبتت على دينها رضى الله عنها ، وحبيبة هي أكبر أولادها منه ، ولدتها بالحبشة وقيل بمكة قبل الهجرة ، ومات زوجها هنالك لعنه الله وقبحه . ولما تأملت من زوجها بعث رسول الله (س) عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجها منه ، وولى العقدة خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها عنه النجاشي أربعة دنانير وحملها إليه في سنة سبع ، ولما جاء أبوها عام الفتح ليشهد العقد دخل عليها فثنت عنه فراش رسول الله فقال لها : والله يابنية ما أدرى أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يابنية لقد لقيت بعدى شراً . وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابدات الورعات رضى الله عنها . قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لي ولك ، ما كان من ذلك كله وتجاوزت وحالتك ، فقالت : سررتيني سررك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

سنة خمس وأربعين

فيها ولى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله بعد أربعة أشهر ، وولى زياداً
 قدّم زياد الكوفة ، وعليها المغيرة فأقام بها لياتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظن المغيرة أنه قد
 جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم خبره فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء ، فجاء البريد
 إلى زياد أن يسير إلى البصرة ، واستعمله على خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .
 ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى فقام في أول خطبة خطبها - وقد وجد الفسق ظاهراً -
 فقال فيها : أيها الناس كأنكم لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل
 المعصية تكونون كمن طرقت جبينه الدنيا وفست مسامحه الشهوات ، فاختر الفانية على الباقية . ثم
 مازال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي
 الظاهرة ، واستعان بجماعة من الصحابة ، وولى عمران بن حصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن
 عمرو الغفاري نيابة خراسان ، وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأنس بن مالك ، وكان
 حازم الرأي ذا هيبة داهية ، وكان مفوهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلماً قط تسكلم
 فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسمى "إلا زياداً" فإنه كان كلما أكثر كان أجعد كلاماً ، وقد
 كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب . وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو ونائب زياد على خراسان
 جبل الأسفل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمّة ، فكتب إليه زياد : إن
 أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء - يعني الذهب والفضة - يجمع كله من
 هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ،
 وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عدو فاتق الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى في الناس : أن
 اغدوا على قسم غنيمتكم ، قسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الحسن كما
 أمر الله ورسوله ، ثم قال الحكم : إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فمات بمرو من خراسان رضي
 الله عنه . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة .

وفي هذه السنة توفي زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم
 في أواخر السيرة ، وهو الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان ، وهو
 خط جيد قوى جداً فيما رأيته ، وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاً تعلم لسان يهود وكتابهم
 في خمسة عشر يوماً ، قال أبو الحسن بن البراء : تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً ،
 وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خدام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال الواقدي : وأول مشاهد الخندق
 وهو ابن خمس عشرة سنة . وفي الحديث الذي رواه أحمد والنسائي : « وأعلمهم بالفرائض زيد بن

ثابت . « وقد استعمله عمر بن الخطاب على القضاء ، وقال مسروق : كان زيد بن ثابت من الراسخين ، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال له : تنح يا ابن عم رسول الله ، فقال : لا ! هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا . وقال الأعمش عن ثابت عن عبيد قال : كان زيد بن ثابت من أفككه الناس في بيته ومن أذمها إذا خرج إلى الرجال . وقال محمد بن سيرين : خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة فوجد الناس راجعين منها فتواري عنهم ، وقال : من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله . مات في هذه السنة وقيل في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب الستين وصلى عليه مروان ، وقال ابن عباس : لقد مات اليوم عالم كبير . وقال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة .

وفيهما مات سلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين ، وقد شهد بدرًا وما بعدها ولا عقب له . وعاصم ابن عدي ، وقد استخلفه رسول الله حين خرج إلى بدر على قبا وأهل العالية ، وشهد أحدًا وما بعدها ، وتوفي عن خمس وعشرين ومائة ، وقد بعثه رسول الله هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار فخرقه .

وفيهما توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، وكانت قبل رسول الله (ص) تحت حنيس بن حذافة السهمي ، وهاجرت معه إلى المدينة فتوفى عنها بعد بدر ، فلما انقضت عدتها عرضها أبوها على عثمان بعد وفاة زوجته بنت رسول الله (ص) ، فأبى أن يتزوجها ، فعرضها على أبي بكر فلم يرد عليه شيئاً ، فما كان عن قريب حتى خطبها رسول الله (ص) ، فتنزّجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك في ذلك فقال له أبو بكر : إن رسول الله كان قد ذكرها فما كنت لأفشي سر رسول الله (ص) ، ولو تركها لتزوجتها . وقد روينا في الحديث أن رسول الله (ص) ، طلق حفصة ثم راجعها . وفي رواية أن جبريل أمره بمراجعتها ، وقال : إنها صوامة قوامة ، وهي زوجتك في الجنة . وقد أجمع الجمهور أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين سنة ، وقيل إنها توفيت أيام عثمان والأول أصح .

سنة ست وأربعين

ففيها شتى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل كان أميرهم غيره والله أعلم . وحج بالناس فيها عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم ومن توفي في هذه السنة سالم بن عمير أحد البكائين المذكورين في القرآن ، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها .

سراقة بن كعب شهيد بدمراً وما بعدها

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

القرشي المخزومي ، وكان من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين كأبيه ، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية ، ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه ، قال ابن منبته وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر أن عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ ، في الحجامة بين الكتفين قال البخاري : وهو منقطع - يعني مرسل - وكان كعب بن جعيل مداخلاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله . وقال الزبير بن بكار : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية . وقال ابن سميع : كان يلي الصوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلاً يقال له ابن أنال - وكان رئيس الذمة بأرض حمص - سقاء شربة فيها سم فمات ، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح . ورواه بعضهم فقال :

أَبُوكَ الَّذِي قَادَ الْجِيُوشَ مَغْرِيًّا * إِلَى الرُّومِ لَمَّا أُعْطِيَ الْخَرْجَ فَارِسُ

وَكَمْ مِنْ فَتًى نَهَشَتْهُ بَعْدَ هِجْمَةٍ * بِقَرْعِ الْجَامِ وَهُوَ أَكْتَعُ نَاعَسُ

وَمَا يَسْتَوِي الصَّفَانِ صَفٌّ خَالِدٍ * وَصَفٌّ عَلَيْهِ مِنْ دَمَشْقِ الْبَرَانِسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة فقال له عروة بن الزبير : ما فعل ابن أنال ؟ فسكت ، ثم رجع إلى حمص فنار على ابن أنال قتلته ، فقال : قد كفيتك إياد ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة في قول ، وقد تقدم (هـ) هرم بن حبان العبدى (هـ) وهو أحد عمال عمر بن الخطاب ، ولقي أويساً القرني وكان من عقلاء الناس وعلماهم ، ويقال إنه لما دفن جاءت سحابة فروت قبره وحده ، ونبت العشب عليه من وقته والله أعلم .

سنة سبع وأربعين

فيها شق المسلمون ببلاد الروم ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى عليها معاوية بن خديج ، وحج بالناس عتبة ، وقيل أخوه عنبسة بن أبي سفيان والله أعلم . ومن توفى فيها قيس بن عاصم المنقري ، كان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية والإسلام ، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بذات محرم منه فهربت منه ، فلما أصبح قيل له في ذلك فقال في ذلك :

رَأَيْتُ الْخَمْرَ مَنْقُصَةً فِيهَا * مُقَابِحُ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا

فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبَهَا حَيَاتِي * وَلَا أَشْنَى بِهَا أَبَدًا سَقِيمَا

وكان إسلامه مع وفد بني تميم ، وفي بعض الأحاديث أن رسول الله قال : « هذا سيد أهل الوبر »

وكان جواداً ممدحاً كريماً وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وما كان قيسَ هلكه هلكَ واحدٍ * ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهتما

وقال الأصمى : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأخنف بن قيس من تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المقرئ ، لقد اختلفنا إليه فى الحكم كما يختلف إلى الفقهاء ، فبينما نحن عنده يوماً وهو قاعد بفنائيه محبب بكسائه أتمته جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا : هذا ابنك قتله ابن أخيك ، قال : فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له فى المسجد فقال : اطلق عن ابن عمك ، ووارأخاك واحمل إلى أمه مائة من الابل فانها غريبة ، ويقال إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً - فقال لهم : يا بني سودوا عليكم أكبركم تخافوا أباكم ، ولا تسودوا أصغركم فيزدري بكم أكفاؤكم ، وعليكم بالمال واصطناعه فانه نعم ما يهبه الكريم ، ويستغنى به عن اللثيم ، وإياكم ومسألة الناس فانها من أخس مكسبة الرجل ، ولا تنوحوا على فان رسول الله لم ينح عليه ، ولا تدفنوني حيث يشعر بكر بن وائل ، فاني كنت أعاديهم فى الجاهلية . وفيه يقول الشاعر

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحما
نحيةً من أوليته منك منة * إذا ذكرت مثلها تملأ الفما
فما كان قيسَ هلكَ هلكَ واحدٍ * ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهتما

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شق أبو عبد الرحمن القنبي بالمسلمين ببلاد انطاكية ، وفيها غزا عقبة بن عامر بأهل مصر البحر ، وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمرو ابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصارى . وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله (ص) قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وفيها توفى أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، و [قيل] لم يمت فى هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث وخمسين كما سيأتى . وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلمة بن عبد الرحمن . وفيها شق مالك بن هبيرة الفزارى بأرض الروم ، وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد ، وشق هنالك ، ففتح البلد وغنم شيئاً كثيراً . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز . وفيها وقع الطاعون بالكوفة فخرج

منها المنيرة فاراً ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصابه الطاعون فمات ، والصحيح أنه مات سنة
خمسین كما سيأتي ، فجمع معوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، فكان أول من جمع له بينهما ، فكان
يقیم فی هذه ستة أشهر وهذه ستة أشهر ، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب . وحج بالناس
فی هذه السنة سعيد بن العاص .

ذكر من توفي فی هذه السنة من الأعيان

الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، سبط رسول الله -ص- ، ابن ابنته فاطمة الزهراء ، وريحانته ، وأشبهه
خلق الله به فی وجهه ، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فحسكه رسول الله بريقه وسماه
حسناً ، وهو أكبر ولد أبيه ، وقد كان رسول الله -ص- يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل ذبيحته وهو
صغير ، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه ، وربما جاء ورسول الله -ص- ساجد في الصلاة فيركب
على ظهره فيقره على ذلك ويطلب السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر ، وقد ثبت في الحديث
أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما
معه إلى المنبر وقال : « صدق الله [إنما أمواكم وأولادكم فتنة] إني رأيت هذين يشيان ويعثران فلم
أملك أن أنزل إليهما » ثم قال : « إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتمجبون » . وقد ثبت في
صحيح البخاري عن أبي عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن
الحارث أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليال ثم خرج هو وعلي يشيان ، فرأى الحسن
يلعب مع الغلمان فاحتلمه على عنقه وجعل يقول : « يا باني شبه النبي ، ليس شبيهاً بعلي » . قال : وعلى
يضحك . وروى سفيان الثوري وغير واحد قالوا : ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت
أبا جحيفة يقول : « رأيت النبي -ص- ، وكان الحسن بن علي يشبهه » . ورواه البخاري ومسلم من
حديث إسماعيل بن أبي خالد قال وكيع : لم يسمع إسماعيل من أبي جحيفة إلا هذا الحديث . وقال
أحمد : ثنا أبو داود الطيالسي ثنا زمة عن ابن أبي مليكة قالت : كانت فاطمة تنقر للحسن بن علي
وتقول : يا باني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي . وقال عبد الرزاق وغيره عن معمر عن أنس
قال : كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله -ص- . ورواه أحمد عن عبد الرزاق بن معمر ،
وقال أحمد : ثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني عن علي قال : « الحسن أشبه برسول الله
ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك » . ورواه الترمذي من حديث
إسرائيل وقال حسن غريب . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا قيس عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني
عن علي قال : كان الحسن أشبه الناس برسول الله من وجهه إلى سترته ، وكان الحسين أشبه الناس به

ما أسفل من ذلك . وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير أن الحسن بن علي كان يشبه النبي (ص) .
وقال أحمد : ثنا حازم بن الفضيل ثنا معتمر عن أبيه قال : سمعت أبا تيمية يحدث عن أبي عثمان
النهدى يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي (ص) يأخذني فيقعدني على نخذة ويقعد
الحسن على نخذة الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : اللهم ارحمهما فإني أرحمهما » . وكذا رواه البخاري عن
النهدى عن محمد بن الفضيل أخو حازم به ، وعن علي بن المديني عن يحيى القطان عن سليمان التيمي
عن أبي تيمية عن أبي عثمان عن أسامة ، وأخرجه أيضاً عن موسى بن إسماعيل ومسدد عن معتمر
عن أبيه عن أبي عثمان عن أسامة فلم يذكر أبا تيمية والله أعلم . وفي رواية : « اللهم إني أحبهما
فأحبهما » . وقال شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي (ص) والحب بن
علي عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » . أخرجه من حديث شعبة . ورواه علي بن الجعد
عن فضيل بن مرزوق عن عدي عن البراء ، فزاد « وأحب من أحبه » وقال الترمذي : حسن
صحيح . وقال أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن
أبي هريرة عن النبي (ص) قال للحسن بن علي : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » . ورواه
مسلم عن أحمد وأخرجه من حديث شعبة . وقال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي
يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة . قال : « كنت مع النبي (ص) في سوق من أسواق المدينة
فانصرف وانصرفت معه ، فجاء إلى فناء فاطمة فقال أي لك أي لك أي لك فلم يجبه أحد ، فانصرف
وانصرفت معه إلى فناء فقعد ، قال : فجاء الحسن بن علي - قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته
لتجمل في عنقه السخاب - فلما دخل التزمه رسول الله والتزم هو رسول الله ، ثم قال : إني أحبه
وأحب من يحبه » ثلاث مرات . وأخرجه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به . وقال أحمد :
ثنا حماد الخطيب ثنا هشام بن سعد عن نعيم بن عبد الله الجعفي عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول
الله إلى سوق بني قينقاع متكئاً على يدي فطاف فيها ، ثم رجع فاحتجى في المسجد وقال : أين لكاع ؟
ادعوا لي لكاع ، فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فيه في فمه ثم قال : اللهم إني أحبه
فأحبه وأحب من يحبه » ثلاثاً ، قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني ، أو قال : دمت
عيني أو بكيت - وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقد رواه الثوري عن نعيم عن محمد بن سيرين
عن أبي هريرة فذكر مثله أو نحوه . ورواه معاوية بن أبي بريد عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه
وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا . ورواه عثمان بن أبي اللباب عن
ابن أبي مليكة عن عائشة بنحوه وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا
السياق . وقال سفيان الثوري وغيره عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال

رسول الله (ص): « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » غريب من هذا الوجه . وقال أحمد : ثنا ابن نمير ثنا الحجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال : « خرج علينا رسول الله ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني » . تفرد به أحمد . وقال أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : « كان رسول الله (ص) يصلي فجاء الحسن والحسين فجعلتا يتوثبان على ظهره إذا سجد ، فأراد الناس زجرهما فلما سلم قال للناس : هذان ابناي ، من أحبهما فقد أحبني » . ورواه النسائي من حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عاصم به . وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمي المؤمنين أن رسول الله اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وقال محمد بن سعد : ثنا محمد ابن عبد الله الأسدي ثنا شريك عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله . قال قال رسول الله : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن ابن علي » وقد رواه وكيع عن الربيع بن سعد عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر فذكر مثله ، وإسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه . وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبريدة أن رسول الله قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » . وقال أبو القاسم البغوي : ثنا داود بن عمرو ثنا إسماعيل ابن عياش حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال : « جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال : اللهم إني أحبهما فأحبهما ، ثم قال : أيها الناس إن الولد مبخله مجبنة مجهولة » وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه « أن رسول الله أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال : إن الولد مبخله مجبنة » وقال ابن خزيمة : ثنا عبدة بن عبد الله الخزازي ثنا زيد بن الحباب ح وقال أبو يعلى أبو خيثمة : ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله (ص) يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعتران ويقومان ، فنزل رسول الله إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر ، ثم قال : صدق الله ! إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، رأيت هذين الصبيين فم أصبر ، ثم أخذ في خطبته » . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الحسين بن واقد ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد رواه محمد الضمري عن زيد بن أرقم فذكر القصة للحسن وحده : وفي

حديث عبد الله بن شداد عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال الناس له في ذلك ، قال : إن ابني هذا - يعني الحسن - ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » . وقال الترمذي عن أبي الزبير عن جابر قال : « دخلت على رسول الله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ، قلت : نعم الحبل حملكما فقال : ونعم المدلان هما » على شرط مسلم ولم يخرجوه ، وقال أبو يعلى : ثنا أبو هاشم ثنا أبو عامر ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « خرج رسول الله وهو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل : يا غلام نعم المركب ركبت ، فقال رسول الله : ونعم الراكب هو » . وقال أحمد : حدثنا تليد بن سليمان ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر رسول الله إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » . وقد رواه النسائي من حديث أبي نعيم ، وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن سفیان الثوري عن أبي الحجاج داود بن أبي عوف ، قال وكيع : وكان مريضاً - عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله قال عن الحسن والحسين : « من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » وقد رواه أسباط عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم فذكره . وقال بقية عن بجير بن سميد عن خالد ابن معدان عن المقدم بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله يقول : « الحسن مني والحسين من علي » فيه نكارة لفظاً ومعنى . وقال أحمد : ثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف عن عمير بن إسحاق . قال : « كنت مع الحسن بن علي فلقينا أبو هريرة فقال : أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ، فقال : بقبضه ، قال : فقبل سرتي » تفرد به أحمد ، ثم رواه عن إسماعيل بن عليه عن ابن عوف . وقال أحمد : ثنا هاشم بن القاسم عن جرير عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرجسي عن معاوية . قال : « رأيت رسول الله يمص لسانه - أو قال شفته يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعب لسان أو شفتان بمصهما رسول الله » . تفرد به أحمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي بكر . وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (س) قال : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وقد تقدم هذا الحديث في دلائل النبوة ، وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة ، ووقع ذلك تصديقاً لقوله (س) ، هذا ، وكذلك ذكرناه في كتاب دلائل النبوة لله الحمد والمنة . وقد كان الصديق بحله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه ، وكذلك عمر ابن الخطاب ، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه : أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف ، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما . وقد كان الحسن بن علي يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور -

عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان نخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطيباً لقلب علي ، وخوفاً عليه رضى الله عنهم . وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ، ويعظمه ويبيح له وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال : إني أستحي أن أخطب وأنا أراك ، فذهب على مجلس حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلى يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل على يقول : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركباً ، ويرى هذا من النعم عليه . وكان إذا طاف بالبیت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمن عليهما للسلام عليهما ، رضى الله عنهما وأرضاها . وكان ابن الزبير يقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي . وقال غيره : كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتخفنه ثم ينصرف إلى منزله . ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانة لدماء المسلمين ، كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فرمما أجازته بأربعمائة ألف درهم ، وراتبه في كل سنة مائة ألف ، فاقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها - وكان من أكرم الناس - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله في المنام فقال له : يا بني أتكتب إلى مخلوق بحاجتك ؟ وعلمه دعاء يدعو به « فترك الحسن . ما كان همّ به من الكتابة ، فذكره معاوية وافقده ، وقال : ابعثوا إليه بمائتي ألف فلعل له ضرورة في تركه القدوم علينا ، فحملت إليه من غير سؤال . قال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : الحسن بن علي مدني ثقة . حكاه ابن عساكر في تاريخه ، قالوا : وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرتين ، وحج خمساً وعشرين مرة ماشياً وإن الجنائب لتقاد بين يديه . وروى ذلك البيهقي من طريق عبيد الله بن عمير عن ابن عباس . وقال علي بن زيد بن جدعان : وقد علق البخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ، وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال : حج الحسن بن علي ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ونجائبه تقاد إلى جنبه . وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن علي قال قال الحسن بن علي : إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فشى عشرين مرة إلى المدينة على رجله ، قالوا : وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرأها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نساءه ، فيقرأه بعد ما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه . وقد كان من الكرم على جانب عظيم ، قال محمد بن سيرين : ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف . وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن رجلاً

إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث بها إليه . وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعنته وملكه الحائط ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني له . قالوا : وكان كثير الزوج ، وكان لا يفارقه أربع حرار ، وكان مطلقاً مصداقاً ، يقال إنه أحسن سبعين امرأة ، وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسد وأخرى من بني فزارة - فزارية - وبعث إلى كل واحدة منهما بمشرة آلاف وبرزق من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كل واحدة منهما ، فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له ، وأما الأسدية فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق . فرجع الغلام إليه بذلك ، فاجتمع الأسدية وترك الفزارية . وقد كان على يقول لأهل الكوفة : لا تزوجوه فانه مطلق ، فيقولون والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله (ص) . وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزارى - وقيل هند بنت سهيل - فوق إجار فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها ، فلما استيقظ قال لها : ما هذا ؟ فقالت : خشيت أن تقوم من النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب . فأعجبه ذلك منها ، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك . وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقصى حاجته ، وقال : لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلى من اعتكاف شهر . وقال هشيم عن منصور عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً يقول : هو أهون من أن يدعى إليه أحد . وقال أبو جعفر : قال علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فانه مطلق ، فقال رجل من همدان : والله لا تزوجه ، فما رضى أمسك وما كره طلق . وقال أبو بكر الخرائطي - في كتاب مكارم الأخلاق - : ثنا ابن المنذر - هو إبراهيم - ثنا القواريري ثنا عبد الأعلى عن هشام عن محمد بن سيرين قال : تزوج الحسن بن علي امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم . وقال عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن الحسن بن سعد عن أبيه قال : متع الحسن بن علي امرأتين بمشرين ألفاً وزقاق من عسل ، فقالت إحداها - وأراها الحنفية - متاع : قليل من حبيب مفارق . وقال الواقدي : حدثني علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين قال : كان الحسن بن علي مطلقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي نجيبة . وقال جوهرية بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : إني كنت أفعل إلى أحلم من هذا ، وأشار هو

إلى الجبل . وقال محمد بن سعد : أنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد بن إسحاق قال : ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فانه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة فقال : ليس له عندنا إلا مارغم أنفسه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط . قال محمد بن سعد : وأنا الفضل بن دكين أنا مساور الجصاص عن رزين بن سوار . قال : كان بين الحسن ومروان خصومة فجعل مروان يغلظ للحسن وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمت أن اليمين للوجه ، والشمال للفرج ؟ أف لك ، فسكت مروان . وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قيل للحسن بن علي : إن أبا زري يقول : الفقر أحب إلي من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا زري أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له . وهذا أحد الوقوف على الرضا بما تعرف به القضاء . وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم : قال الحسن ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجده ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً عن سلطان فرجه ، فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً عن سلطان جهله فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، ولا بخطو خطرة إلا الحسنة ، وكان لا يسخط ولا يتبرم ، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم ، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على الصمت ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال يذو القائلين ، وكان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مراء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً يقول مالا يفعل ، ويفعل مالا يقول ، تفضلاً وتكرماً ، كان لا ينفل عن إخوانه ، ولا يستخص بشيء دونهم . كان لا يكرم أحداً فيما يقع المنزلة بمثله ، كان إذا ابتداء أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه . رواه ابن عساكر والخطيب . وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري : ثنا بدر بن الهيثم الحضرمي ثنا علي بن المنذر الطريفي ثنا عثمان ابن سعيد الدارمي ثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء - من أهل آستر - ثنا شعبة بن الحجاج الواسطي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء من المروءة فقال : يا بني ما السداد ؟ قال : يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف ، قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع المشيرة وحمل الجريرة . قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف واصلاح المرء ماله . قال : فما الدينية ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير . قال : فما اللوم ؟ قال : احتراز المرء نفسه وبنته عرسه . قال : فما الساحة ؟ قال : البذل في العسر واليسر . قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما في يديك سرفاً وما أفقته تلفاً . قال : فما الاخاء ؟ قال : الوفاء في الشدة والرخاء . قال : فما الجبن ؟ قال : الجرأة

على الصديق والنكول عن العدو . قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .
قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن
قل ، فأنما الغنى غنى النفس . قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شيء . قال : فما المنعة ؟
قال : شدة البأس ومقارعة أشد الناس . قال : فما المال ؟ قال : الفزع عند المصدوقية ؟ قال : فما
الجراءة ؟ قال : موافقة الأقران . قال : فما الكلفة قال : كلامك فيما لا يعينك . قال : فما المجد . قال :
أن تعطى في الغرم وأن تغفر عن الجرم . قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب كل ما استرعيته . قال :
فما الخرق ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك . قال : فما الثناء ؟ قال : إتيان الجليل وترك
القيبح . قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة ، والرفق بالولاة ، والاحتباس من الناس بسوء الظن هو
الحزم قال : فما الشرف ؟ قال : موافقة الأخوان ، وحفظ الجيران . قال : فما السفه ؟ قال : اتباع الدعاة ،
ومصاحبة الفواة . قال : فما الغفلة . قال : ترك المسجد وطاعتك المفسد . قال : فما الحرمان ؟ قال :
تركك حظك وقد عرض عليك . قال : فمن السيد ؟ قال : الأحمق في المال المتهاون بعرضه ، يشتم
فلا يجيب المتحرن بأمر العشيرة هو السيد . قال ثم قال علي : يا بني سمعت رسول الله (ص) يقول :
« لا أقر أشد من الجهل ، ولا مال أفضل من العقل ، ولا وحيدة أوحش من العجب ، ولا مظاهره
أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة
كالنفكر ، ولا إيمان كالحياء ، ورأس الإيمان الصبر ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ،
وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الطرف الصلف ، وآفة الشجاعة البغى ، وآفة السباحة
المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحب الفخر » ثم قال علي : يا بني لا تستخفن برجل تراه أبداً ، فإن
كان أكبر منك فعدّه أباك ، وإن كان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك .
فهذا ماسأل علي ابنه عن أشياء من المروءة . قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة
وجزيل الفائدة ما يفتن به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها
بالرجوع إليه ، وتتوفر قائمته بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين وأضاعفه عن النبي (ص) ، ما لا
غنى لكل لبيب عليم ، وقسرة حكيم ، عن حفظه وتأمله ، والمسهود من هدى لتلقيه ، والمجود من
وفق لامثاله وتقبله . قلت : ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل
هذه الألفاظ في عبارتها ما يدل مافي بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم . وقد ذكر
الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم : أن معاوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذا فأجابته بنحو ما
تقدم ، لكن هذا السياق أطول بكثير مما تقدم فله أعلم . وقال علي بن العباس الطبراني : كان علي
خاتم الحسن بن علي مكتوباً :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى * إِنَّ المنيئة نازلة بك يافتي
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى * أحباب قلبك في المقابر والبل

قال الامام أحمد : حدثنا مطلب بن زياد بن محمد ثنا محمد بن أبان قال قال الحسن بن علي لبنيه
و بنى أخيه : « تعلموا فانكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب » . رواه
البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . وقال محمد بن سعد : ثنا الحسن بن موسى وأحمد بن
يونس قالا : ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق عن عمرو الأصم قال قلت للحسن بن علي : إن هذه
الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ! ما هؤلاء ، بالشيعة ، لو علمنا أنه
مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني أبو علي سويد الطحان
ثنا علي بن عاصم ثنا أبو رجحانة عن سفينة عن النبي .س . قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فقال -
رجل كان حاضراً في المجلس : قد دخلت من هذه الثلاثين ستة شهور في خلافة معاوية . فقال : من
ها هنا أنيت تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن علي ، بايعه أربعون ألفاً أو اثنان وأربعون ألفاً .
وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : بايع الحسن تسعون ألفاً فزهد في الخلافة وصالح معاوية ولم
يسل في أيامه محجمة من دم . وقال ابن أبي خيثمة : وحدثنا أبي ثنا وهب بن جرير قال قال أبي :
فلما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه . وقال ابن أبي
خيثمة : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن ابن شاذب . قال : لما قتل علي سار الحسن في أهل
العراق وسار معاوية في أهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن جعل العهد للحسن
من بعده . قال : فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين ، قال : فيقول لهم : العار خير من
النار . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال : لما قتل علي بايع الناس
الحسن بن علي فولبها سبعة وأحد عشر يوماً . وقال غير عباس : بايع الحسن أهل الكوفة ، وبايع
أهل الشام معاوية بآلبياء بعد قتل علي ، وبويع بيعة العامة ببیت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة
أربعين ، ثم لقي الحسن معاوية بمسكن - من سواد الكوفة - في سنة إحدى وأربعين فاصطلحا ،
وبايع الحسن معاوية . وقال غيره : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة
إحدى وأربعين . وقد تكلمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وسايل ذلك أنه اصطاح مع معاوية على أن يأخذ ما في بيت المال الذي بالكوفة ، فوفى له معاوية
بذلك فاذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خراج . وقيل دار ابجرده
في كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه ، فعوضه معاوية عن كل ستة آلاف ألف
درهم في كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله في كل زيارة من الجوائز والتحف والهدايا ، إلى أن توفي في

هذا العام . وقال محمد بن سعد عن هودة بن خليفة عن عوف عن محمد بن سيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مر الحسن بن علي أن يخطب ، فإنه حديث السن عيسى ، فلهذا يتلعم فيتضع في قلوب الناس . فأمره فقام فاخطب فقال في خطبته : «أيها الناس لو اتبعتم بين جابلق وجابر بن رجل جده نبي غيري وغير أخي لم تجذوه ، وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» . وأشار إلى معاوية . فغضب من ذلك وقال : ما أردت من هذه ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها . فصعد معاوية وخطب بعده . وقد رواد غير واحد وقدمننا أن معاوية عتب على أصحابه . وقال محمد بن سعد : ثنا أبو داود الطيالسي : ثنا شعبة عن يزيد قال : سمعت جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة ؟ فقال : كانت جماجم العرب يمسى ، يسالمون من سالمات ويحاربون من حاربت ، ففكرتها ابتغاء وجه الله ، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز . وقال محمد بن سعد : أنا علي بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفة فقال : ما هذه ؟ فقال : ابن معاوية يعدنيها ويتوعد ، قال : قد كنت على النصف منه ، قال : أجل ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً ، أو ثمانون ألفاً ، أو أكثر أو أقل ، تنضح أوداجهم دماً ، كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه . وقال الأصمعي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله . قال : رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عيني ، [قل هو الله أحد] ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : إن كان رأى هذه الرؤيا قتل ما بقي من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي ومحمد بن عثمان العجلي قالا : ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق . قال : دخلت أنا ورجل آخر من قریش على الحسن ابن علي فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال : لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هي أشد من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سلني قبل أن لاتسألني ، فقال ما أسألك شيئاً يعافيك الله ، قال : نخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد . وقد أخذ في السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه ، فقال : أي أخي ! من صاحبك ؟ قال : تريد قتله ، قال : نعم ! قال لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد نقمة . وفي رواية : فلهذا أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئاً . ورواه محمد بن سعد عن ابن علي عن ابن عون . وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور . قالت : الحسن سقى مراراً كل ذلك يفلت منه ، حتى كانت المرة الآخرة التي مات فيها فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام

نساء بنى هاشم عليه النوح شهراً . وقال الواقدي : وحدثنا عبدة بنت نائل عن عائشة قالت : حدث نساء بنى هاشم على الحسن بن علي سنة . قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وكان قل ما يحظين عنده ، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وضفت به ، فيقال إنه كان سقى سما ، ثم أفلت ، ثم سقى فأفلت ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قطع السم إمعاده ، فقال الحسين : يا أبا محمد أخبرني من سقاك ؟ قال : ولم يا أخى ؟ قال : أقنله والله قبل أن أدفك ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلف الشخص إلى . فقال : يا أخى إنما هذه الدنيا ليل فانية ، دعه حتى ألتقى أنا وهو عند الله ، وأبى أن يسميه . وقد سمعت بعض من يقول : كان معاوية قد تلفت لبعض خدمه أن يسقيه سما . قال محمد بن سعد : وأنا يحيى بن حمال أنا أبو عوانة عن المغيرة عن أم موسى أن جمعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة ، قال فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً . وزوى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جمعدة بنت الأشعث أن سمى الحسن وأنا أنزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال : إنا والله لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا ؟ وعندى أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى ، وقد قال كثير نمرة في ذلك :

يا جعدُ بَكْيِهِر ولا تسأى * بكاء حق ليس بالباطل
 لن تسترى البيت على مثل * في الناس من حاف ولا ناعل
 أعنى الذى أسلمه أهله * للزمن المستخرج الماحل
 كان إذا شبت له ناره * برفعها بالنسب المائل
 كما يراها بئس مرملة * أو فرد قوم ليس بالآهل
 تغلى بنى اللحم حتى إذا * أنضج لم تغل على آكل

قال سفيان بن عيينة عن رقية بن مصقلة قال : لما احتضر الحسن بن علي قال : أخرجوني إلى الصحن أنظر في ملكوت السموات . فأخرجوا فراشه فرفع رأسه فنظر فقال : اللهم إني أحسب نفسي عندك فانها أعز الأنفس على ، قال : فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده . وقال عبد الرحمن بن مهدي : لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ماهذا الجزع يا أبا عبد الله ؟ تقدم على رب عبدته . تبين سنة ، صمت له ، صليت له ، حججت له ، قال فسرى عن الثوري . وقال أبو نعيم : لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ماهذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسداً فتقدم على

أبويك علي وفاطمة ، وعلى جديك النبي (س)، وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعمل خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال : فسرى عنه . وفي رواية أن القاتل له ذلك الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخى إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط . قال : فبكي الحسين رضى الله عنهما . رواه عباس الدورى عن ابن معين ، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه فذكر نحوه . وقال الواقدي : ثنا إبراهيم بن الفضل عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن علي يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ، فان خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه - ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية - ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات ، قال جابر : فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فان أخاك كان لا يجب ماترى ، فادفنه بالبقيع مع أمه ففعل . ثم روى الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال حضرت موت الحسن بن علي فقلت للحسين بن علي اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء : وادفن أخاك إلى جانب أمه ، فان أخاك قد عهد بذلك إليك ، قال ففعل الحسين . وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحوه من هذا ، وفي رواية أن الحسن بمث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له ، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسليح بنو أمية وقالوا : لاندعه يدفن مع رسول الله (س)، أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن بن علي في الحجرة ؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل فامتل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع ، رضى الله عنه . وقال سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قدّم يومئذ سميد بن العاص فضلى على الحسن وقال : لولا أنها سنة ما قدمته . وقال محمد بن إسحاق : حدثني مساور مولى بنى سعد بن بكر قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله يوم مات الحسن بن علي وهو ينادى بأعلا صوته : يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا . وقد اجتمع الناس لجنائزته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام . وقد بكاه الرجال والنساء سبغاً ، واستمر نساء بنى هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدث نساء بنى هاشم عليه سنة . قال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن يحيى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها حسن ، وقتل لها الحسين رضى الله عنهم . وقال شعبة عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعد والحسن ابن علي في أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين . وقال عليه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قال غير واحد وهو أصح . والمشهور أنه مات سنة

تسع وأربعين كما ذكرنا ، وقال آخرون : مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين .

سنة خمسين من الهجرة

ففي هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي . فيها حج بالناس معاوية ، وقيل ابنه يزيد ، وكان نائب المدينة في هذه السنة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد . وفي هذه السنة اشتكى بنو وهشل على الفرزدق إلى زياد فهرب منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنه عرض بمعاوية في قصيدة له فطلبه زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل فيما بين مكة والمدينة حتى توفي زياد فرجع إلى بلاده ، وقد طول ابن جرير هذه القصة . وقد ذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه من طريق الواقدي : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه أن معاوية كان قد عزم على تحويل المنبر النبوي من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصاة التي كان النبي (ص) يمسكها في يده إذا خطب فيقف على المنبر وهو ممسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا فان هذا ، لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله (ص) ، وأن يخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ولكن زاد في المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس . ثم روى الواقدي أن عبد الملك بن مروان في أيامه عزم على ذلك أيضاً فقبل له : إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم ترك ، وأنه لما حرك المنبر خسفت الشمس فترك . ثم لما حج الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً فقبل له : إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه ، وكان السبب في تركه أن سعيد بن المسيب كلم عمر بن عبد العزيز أن يكلمه في ذلك ويعظه فترك . ثم لما حج سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد ، وأن سعيد بن المسيب نهاه عن ذلك ، فقال : ما أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، مالنا وله ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فتريد أن نعمد إلى علم من أعلام الاسلام يند إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا . هذا مالا يصلح رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن خالد ، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد إفريقية ، واختط القيروان . وكان غيضة تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام ، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شيء من ذلك حتى ان السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها ، والحيات يخرجن من أجحارهن هوارب . فأسلم خلق كثير من البربر فبنى في مكانها القيروان . وفيها غزا بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم ، وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر ، وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي صحابي جليل شهد

المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، ولم أره ذكرًا في الصحابة .

صفية بنت حبيب بن أخطب

ابن شعبة بن ثعلبة بن عبد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن نخوم ، أم المؤمنين النضرية من سلالة هارون عليه السلام ، وكانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله (ص) بنى النضير ساروا إلى خيبر ، وقتل أبوها مع بنى قريظة صبراً كما قدمنا فلما فتح رسول الله (ص) خيبر كانت في جملة السبي فوَقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي ، فذكر له جمالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفاه لنفسه وعوضه منها وأسلمت وأعتقها وتزوجها ، فلما حلت بالصبا بنى بها ، وكانت ماشطتها أم سليم ، وقد كانت تحت ابن عمها كنانة بن أبي الحقيق قتل في المعركة ، ووجد رسول الله بجدتها لطة فقال : ما هذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجرى فقصيت المنام على ابن عمى فلطمنى وقال : تتمنين أن يتزوجك ملك يثرب ؟ فهذه من لطمته . وكانت من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة ، رضى الله عنها وأرضاها . قال الواقدي : توفيت سنة خمسين وقال غيره سنة ست وثلاثين ، والأول أصح .

وأما ام شريك الأنصارية

ويقال العامرية فهي التي وهبت نفسها للنبي (ص) ، قُبل قبلها وقيل لم يقبلها ، ولم تتزوج حتى مات رضى الله عنها وهي التي سقيت بدلو من السماء لما منعها المشركون الماء فأسلموا عند ذلك ، واسمها غزية ، وقيل عزيلة بنى عامر على الصحيح ، قال ابن الجوزي : ماتت سنة خمسين ولم أره لغيره .

وأما عمرو بن أمية الضمري

فصحابي جليل أسلم بعد أحد ، وأول مشاهده بئر معونة ، وكان ساعى رسول الله (ص) بعثه إلى النجاشي في تزويج أم حبيبة وأن يأتي بمن بقي من المسلمين ، وله أفعال حسنة ، وآثار محمودة ، رضى الله عنه توفي في خلافة معاوية .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي - في كتابه المنتظم - أن في هذه السنة توفي جبير بن مطعم وحسان بن ثابت ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وعقيل بن أبي طالب ، وعمرو بن أمية الضمري بدرى ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شعبة ، وجوهرية بنت الحارث ، وصفية بنت حني ، وأم شريك الأنصارية . رضى الله عنهم أجمعين .

أما جبير بن مطعم

ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي أبو محمد وقيل أبو عدى المدني ، فانه قدم وهو مشرك في فداء أسارى بدر ، فلما سمع قراءة رسول الله (ص) في سورة الطور [أم خلقوا من غير

شيء أم هم الخالقون [دخل في قلبه الاسلام ، ثم أسلم عام خير ، وقيل زمن الفتح ، والأول أصح ، وكان من سادات قریش وأعلمها بالأنساب ، أخذ ذلك عن الصديق والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة تسع وخمسين .

وأما حسان بن ثابت

شاعر الاسلام فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي .

وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري

أخو رافع بن عمرو ، ويقال له الحكم بن الأقرع ، فصحابي جليل له عند البخاري حديث واحد في النهي عن لحوم الجمر الانسية ، استنابه زياد بن أبيه على غزو جبل الاشل فغنم شيئاً كثيراً ، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله فرد عليه : إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، أو لم يسمع لقوله عليه السلام : « لا طاعة لمخلوق في معصية الله » ؟ وقسم في الناس غنائمهم ، فيقال إنه حبس إلى أن مات بمرور في هذه السنة وقيل في سنة إحدى وخمسين رحمه الله .

وأما دحية بن خليفة الكلبي

فصحابي جليل ، كان جميل الصورة ، فلهذا كان جبريل يأتي كثيراً في صورته ، وكان رسول الله (س) أرسله إلى قيصر ، أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدرأ ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك وأقام بالمرّة - غربى دمشق - إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيهما توفي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد العبسي ، أسلم يوم الفتح ، وقيل شهد موته ، وغزا خراسان ، وافتتح سجستان وكابل وغيرها ، وكانت له دار بدمشق وأقام بالبصرة ، وقيل بمرور ، قال محمد بن سعد وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، وصلى عليه زياد ، وترك عدة من الذكور ، وكان اسمه في الجاهلية عبد كلال ، وقيل عبد كلوب ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه رسول الله (س) عبد الرحمن . وهو كان أحد السفيرين بين معاوية والحسن رضي الله عنهما ، وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي ، أبو عبد الله الطائفي ، له ولأخيه الحكم محبة ، قدم على رسول الله (س) في وفد ثقيف فاستعمله رسول الله على الطائف ، وأمره عليها أبو بكر وعمر ، فكان أميرهم وإمامهم مدة طويلة حتى مات سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه .

وأما عقيل بن أبي طالب

أخو علي فكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من علي بعشر سنين كما أن طالب أكبر من عقيل بعشر ، وكلهم أسلم إلا طالباً ، أسلم عقيل قبل الحديبية وشهد موته ، وكان من أنسب قریش ، وكان قد ورث أقرباه الذين هاجروا وتركوا أموالهم بمكة ، ومات في خلافة معاوية .

وفيها كانت وفاة عمرو بن الحلق بن الكاهن الخزاعي ، أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وقيل : إنه إنما أسلم عام حجة الوداع ، وورد في حديث أن رسول الله دعا له أن يمتعه الله بشبابه ، فبقي ثمانين سنة لا يرى في لحيته شعرة بيضاء ، ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفين ، وكان من جملة من أعان حجر بن عدي فطلبه زياد فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبيها فوجدوه قد اختفى في غار فقهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية ، فطيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد - وكانت في سجنه - فألقى في حجرها ، فوضعت كفها على جبينه ولثمت فيه وقالت : غيبتموه عنى طويلا ، ثم أهديتموه إلى قتيلا فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقالية .

وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي

شاعر الاسلام فأسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرأ كما ثبت في الصحيحين في سياق توبة الله عليه فإنه كان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم من تخلفهم عن غزوة تبوك كما ذكرنا ذلك مفصلاً في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك . وغلط ابن الكلبي في قوله إنه شهد بدرأ ، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين ، فإن الواقدي - وهو أعلم منه - قال توفي سنة خمسين ، وقال القاسم بن عدي سنة إحدى وخمسين رضى الله عنه .

المغيرة بن شعبة

ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال أبو عبد الله الثقفي ، وعروة بن مسعود الثقفي عم أبيه ، كان المغيرة من دهاة العرب ، وذوى آرائها ، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر من ثقيف ، رجمهم من عند المقوقس وأخذ أموالهم ففرم دياتهم عروة بن مسعود ، وشهد الحديبية ، وكان واقفا يوم الصلح على رأس رسول الله ص . بالسيف صلنا ، وبعثه رسول الله ص . بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب فهما اللات ، وقدمنا كيفية هدمها إياها ، وبعثه الصديق إلى البحرين ، وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ ، وقيل بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، منها همدان وميسان ، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم فكلمه بذلك الكلام البليغ فاستنابه عمر على البصرة ، فلما شهد عليه بالزنا ولم يثبت عزله عنها وولاه الكوفة ، واستمر به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معتزلاً حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية ، فلما قتل على وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولاه عليها فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد وغيره . وقال الخطيب : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة ، وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين ، وقال : ابن عبد البر : سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط .

قال محمد بن سعد : وكان أصهب الشعر جدا ، أكشف ، مقلص الشفتين ، أهتم ضخم الهامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قرون . وقال الشعبي : القضاة أربعة أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدهاة أربعة ، معاوية ، وعمر ، والمغيرة ، وزباد ، وقال الزهري : الدهاة في الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمر ، بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وكان معتزلا ، وقيس بن سعد بن عباد ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء ، وكانا مع علي . قلت : والشعبة يقولون : الأشباح خمسة . رسول الله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والاضداد خمسة أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعمر ، بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وقال الشعبي : سمعت المغيرة يقول : ما غلبني أحد إلا فتي مرة أردت أن أتزوج امرأة فاستشرته فيها فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تزوجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلا يقبلها . ثم بلغني عنه أنه تزوجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ فقال : نعم ! رأيت أباه يقبلها وهي صغيرة . وقال أيضاً : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر نخرج المدينة من أبوابها كلها . وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يبيض معها ويمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين يشتعلان ، وصاحب الأربعة قرير العين ، وكان يتزوج أربعة معاً ويطلقهن معاً ، وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحسن المغيرة ثلثمائة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة وقيل مائة امرأة . وقيل ثمانين امرأة .

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية

وكان سباها رسول الله (ص) ، في غزوة المريسيع ، وهي غزوة المصطلق ، وكان أبوها ملكهم فأسلمت فأعتقها رسول الله (ص) ، وتزوجها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكانت فانت رسول الله تستعينه في كتابتها فقال : « أو خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أشريك وأعتقك وأتزوجك » فأعتقها فقال الناس أصهار رسول الله (ص) . فاعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المصطلق نحواً من مائة أهل بيت ، فقالت عائشة : لا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها . وكان اسمها برة فسماها رسول الله (ص) ، جويرية . وكانت امرأة ملاحه - أي حلوة الكلام - توفيت في هذا العام سنة خمسين كما ذكره ابن الجوزي وغيره عن خمس وستين سنة ، وقال الواقدي : سنة ست وخمسين رضى الله عنها وأرضاها ، والله أعلم .

سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حجر بن عدى بن جبل بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن نود بن بزيغ بن كندى الكوفي ، ويقال له حجر الخير ، ويقال له حجر بن الأديب ، لأن

أباد عدياً طعن مولياً فسمى الأديب، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة، قال ابن عساکر: وفد إلى النبي (ص) وسمع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة، ويقال شرحبيل بن مرة. وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عباس، وأبو البختری الطائي. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين مع علي أميراً، وقيل بعذراء من قرا دمشق، ومسجد قبره بها معروف. ثم ساق ابن عساکر بأسانيده إلى حجر يذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة، وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروف، ولم يرو عن غير علي شيئاً قال ابن عساکر: بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة، وقال أبو أحمد المسكري: أكثر المحدثين لا يصححون له صحبة، شهد القادسية وافتتح برج عذراء، وشهد الجمل وصفين، وكان مع علي حجر الخير - وهو حجر بن عدي هذا - وحجر الشرف - وهو حجر ابن يزيد بن سلمة بن مرة - وقال المرزباني: قد روى أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله (ص) مع أخيه هاني بن عدي، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم، وكان باراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام، قال أبو معشر: ما أحدث قط إلا تَوْضاً، ولا تَوْضاً إلا صلى ركعتين. هكذا قال غير واحد من الناس. وقد قال الامام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد حدثني الأعمش عن أبي إسحاق. قال قال سلمان الحجر: يا ابن أم حجر لو تقطعت أعضاؤك ما بلغت الايمان، وكان إذ كان المغيرة بن شعبه على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته ينقصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حجر هذا ويظهر الانكار عليه، ولكن كان المغيرة فيه حلم وإناة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فان معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك. فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوماً، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فقام الناس لقيامه، يصدقونه ويشنعون على المغيرة، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الامارة ودخل معه جمهور الأمراء، فأشاروا عليه بردع حجر هذا عما تعاطاه من شق العصي والقيام على الأمير، وذمروه وحشوه على التنكيل فصفح عنه وحلم به. وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد مال يبعثه من بيت المال، فبعث عيراً تحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعلن ذلك بحجر، فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات، فلما توفي المغيرة بن شعبه رضى الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها وقد التف على حجر جماعات من شيعة علي يقولون أمره ويشدون على يده، ويسبون معاوية ويتبرؤون منه، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة، ذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله

أو أعان على قتله . فقام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة ، وتكلم بسحوما قال المغيرة ، فلم يمرض له زياد ، ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حجراً معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثاً ، فقال : إني مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثت شيئاً لأسمعن في قتلك ، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة - وهو عمرو بن حريث - وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة فنزل في القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس ، ومطرف خز أحمر ، قد فرق شعره ، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا يومئذ ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله في المسجد في الحديد والسلاح ، فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن غيب البغي والنبي وخيم ، وإن هؤلاء أمنوني فاجترأوا على ، وإيم الله لئن لم تستقيموا لأدوا ينكم بدوائكم ، ثم قال : ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعه نكالا لمن بعده ، ويل أمك يا حجر ، سقط بك العشاء على سرحان . ثم قال :

أبلغ نصيحة أن راعى إبلها • سقط العشاء به على سرحانه

وجعل زياد يقول في خطبته : إن من حق أمير المؤمنين - يعني كذا وكذا - فأخذ حجر كفا حصباء فحصبه وقال : كذبت ! عليك لعنة الله . فأنحدر زياد فصلى ، ثم دخل القصر واستحضر حجراً ، ويقال إن زياداً لما خطب طول الخطبة وآخر الصلاة فقال له حجر : الصلاة ، فضى في خطبته ، فلما خشي فوت الصلاة عمد إلى كف من حصباء ونادى الصلاة ، وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك ردد نزل فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شدة في الحديد واحمله إلى ، فبعث إليه زياد وإلى الشرطة - وهو شداد بن الهيثم - ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع من الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالى إلى زياد فأعلمه ، فاستنهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى ، فعجزوا عنه ، فندب محمد بن الأشعث وأمهله ثلاثاً وجره معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن ينصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل على بن أبي طالب . وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وكثير بن شهاب . وثابت بن ربيع ، في سبعين ويقال : إنه كتبت شهادة شريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال :

إنما قلت لزياد : إنه كان صواماً قواماً ، ثم بعث زياد حجراً وأصحابه مع وائل بن حجر ، وكثير بن شهاب إلى الشام . وكان مع حجر بن عدى بن جبلة الكندى ، من أصحابه جماعة ، قيل عشرون وقيل أربعة عشر رجلاً ، منهم الأرقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي ، وكدام بن حبان ، وعبد الرحمن بن حسان العرياني - من بني تميم - ومحرز ابن شهاب التميمي ، وعبيد الله بن حوية السعدي التميمي أيضاً . فهؤلاء أصحابه الذين وصلوا معه ، فساروا بهم إلى الشام . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين ، عتبة بن الأحنس من بني سعد ، وسعد ابن عمران الهمداني ، فكلوا أربعة عشر رجلاً ، فيقال : إن حجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه ، ويقال إن معاوية ركب فتلقاهم في برج عذراء ، ويقال : بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الثنية - ثنية العقاب - فقتلوا هناك . وكان الذين بعث إليهم ثلاثة وهم هذبة بن فياض القضاعي ، وحضير بن عبد الله الكلبي ، وأبو شريف البدوي ، فجاءوا إليهم فبات حجر وأصحابه يصلون طول الليل ، فلما صلبوا الصبح قتلهم ، وهذا هو الأشهر والله أعلم . وذكر محمد بن سعد أنهم دخلوا عليه ثم ردهم فقتلوا بعذراء ، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عذراء فمن مشير بقتلهم ، ومن مشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كان له حاجة في ملك العراق ، فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة ، وقتل منهم ستة أولهم حجر بن عدى ، ورجع آخر فعفى عنه معاوية ، وبعث بآخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جاز في الكاظم ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال له : لم تبعث إلى فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد ألقاه في الناطف حياً - وهو عبد الرحمن بن حسان الفري . وهذه تسمية الذين قتلوا بعذراء : حجر بن عدى ، وشريك بن شداد ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة ، ومحرز بن شهاب المنقري ، وكدام بن حبان . ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب في عرفة ، والصحيح بعذراء ، ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال : دعوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما ، ثم قال : لولا أن يقولوا ما بي جزع من الموت لطولتهما . ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكفانهم ، فلما تقدم إليه السيف ارتعدت فرائضه فقيل له : إنك قلت لست بجازع ، فقال : ومالي لأجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً . ثم تقدم إليه السيف . وهو أبو شريف البدوي ، وقيل تقدم إليه رجل أعور فقال له : امدد عنقك ،

فقال : لا أعين على قتل نفسى ، فضر به قتلته . وكان قد أوصى أن يدفن فى قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل صلوا عليه وغسلوه . وروى أن الحسن بن على . قال : أصلوا عليه ودفنوه فى قيوده ؛ قالوا : نعم ! قال : حجهم والله . والظاهر أن الحسين قاتل هذا ، فان حجراً قتل فى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم . فقتلوه رحمه الله وسامحه . وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد قتله حجراً وأصحابه - قالت له : أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه ؟ فقال لها : فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أماء . ثم قال لها : فكيف يرى بك يا أمه ؟ فقالت : إنك فى لبار ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغداً لى ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل . وفى رواية أنه قال : إنما قتله الذين شهدوا عليه . وروى ابن جرير أن معاوية جعل يعمر غر بالموت وهو يقول : إن يومى بك يا حجر بن عدى لطويل ، قالها ثلاثاً فأنه أعلم .

وقال محمد بن سعد فى الطبقات : ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله - مع أخيه هانىء بن عدى ، - وكان من أصحاب على - فقدم ريبان بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدى فقال : تعلم أنى أعرفك وقد كنت أنا وأباك على أمر قد علمت - يعنى من حب على - وأنه قد جاء غير ذلك ، وإنى أنشدك الله أن تقطرنى من دمك قطرة فاستفرغته كله ، أملك عليك لسانك ، وليس لك منزلك ، وهذا سرى رى فهو مجلسك ، وحوادثك متضية لدى : فاكفى نفسك فانى أعرف مجلتك ، فأنشدك الله فى نفسك ، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستزولك عن رأيك . فقال حجر : قد فهمت ، ثم انصرف إلى منزله فأنابه الشيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال قال لى كذا وكذا . وسار زياد إلى البصرة ثم جعلوا يترددون إليه يقولون له : أنت شيخنا ، وإذا جاء المسجد مشوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حريث - نائب زياد على الكوفة - يقول : ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت ؟ فقال للرسول : إنهم ينكرون ما أنتم عليه ، إليك وراءك أوسع لك . فكتب عمرو بن حريث إلى زياد : إن كان لك حاجة بالكوفة فالمجل العجل ، فأعجل زياد السير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إليه عدى بن حاتم ، وجري بن عبد الله البجلي ، وخالد بن عرفة فى جماعة من أشراف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجلوا يمدونونه ولا يرد عليهم شيئاً ، بل جعل يقول : يا غلام أغلفت البكر ؟ لبكر مربوط فى الدار - فقال له عدى بن حاتم : أنجنون أنت ؟ نكلمك وأنت تقول : أغلفت البكر ، ثم قال عدى لأصحابه : ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتبوه بعضاً ، وحسنوا أمره وسألوه لرفق به فلم يقبل ، بل بعث إليه الشرط والمخاربة فأتى به وأصحابه ، فقال له : مالك ويحك ؟ قال :

إني على بيعتي لمعاوية ، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم أوفدهم إلى معاوية ، وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلى سبيلهم ، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية : اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوهم هناك ، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة ، ثم جاء رسول معاوية بالتخليفة عنهم ، وأن يطلقوهم كلهم ، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول ، وكان قد سألهم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلى ركعتين فطول فيهما ، وقال إنهما لأخف صلاة صليتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فرغ من شأنهم . فلما حج معاوية قالت له عائشة : أين عزب عنك حملك حين قتلت حجراً ؟ فقال : حين غاب عني مثلك من قومي . ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : اقتلت حجر بن الأديب ؟ فقال معاوية : قتله أحب إلى من أن أقتل معه مائة ألف . وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عيسى وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الإنكار عليهم ، ويبالغون في ذلك ، ويتولون شيعة على ، ويتشددون في الدين . ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهن يبكين ، فقال نحوهن : فقال إن الذي يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكن بعدي ، فعليكن بتقوى الله وعبادته ، وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة ، أو أن أرجع إليكن مكرماً ، والله خليفتي عليكم . ثم انصرف مع أصحابه في قيوده ، ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به ، ولكن صلوا عليهم ودفنهم مستقبل القبلة رحمهم الله وسأحهم . وقد قالت امرأة من المتشيعات ترفى حجراً - وهي هند بنت زيد بن مخزومة الأنصارية - ويقال إنها لهند أخت حجر فآله أعلم .

ترفعُ أيها القمرُ المنيرُ * تبصرُ هل ترى حجراً يسيرُ
يسيرُ إلى معاويةَ بنِ حربٍ * ليقتله كما زعمَ الأميرُ
يرى قتلَ الخيارِ عليه حقاً * له من شرِّ أمتِه وزيرُ
ألا ياليتَ حجراً ماتَ يوماً * ولم ينحزْ كما نحزَ البعيرُ
نجبرتَ الجبابرةَ بعد حجرٍ * وطابَ لها الخورنقُ والسديرُ
وأصبحتَ البلادُ له محولاً * كأنَّ لم يحبها منُ مطيرُ
ألا يا حجرُ حجرُ بنِ عدي * تلقَّتكُ السلامةُ والسرورُ
أخافُ عليك ما أُردي عدياً * وشيخاً في دمشقَ له زبيرُ
فإن تهلكَ فكل زعيمٍ قومٍ * من الدنيا إلى هلكٍ يصيرُ

فرضوا أن الآله عليك ميتا * وجناتٍ بها نعمٌ وحورٌ

وذكر ابن عساكر له مرأى كثيرة . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني حرمة أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء ، حجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي مقامهم فساداً للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله يقول : « سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء » . وهذا إسناد ضعيف منقطع . وقد رواه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن عائشة قالت : بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء . وقال يعقوب : حدثني ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد عن عبد الله بن رزين العافقي . قال : سمعت علياً يقول : يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، قال : يقتل حجر وأصحابه - ابن لهيعة ضعيف - . وروى الإمام أحمد عن ابن علية عن ابن عون عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق فنعى له حجر فأطلق حبوته وقام وغلب عليه النجيب . وروى أحمد عن عفان عن ابن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة - أو غيره - قال لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت : أقتلت حجراً ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خير من استحيائه في فسادهم . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان . قال : دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت : يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفملت الذي فعلت ، أما خشيت أن أخبالك رجلاً يقتلك ؟ فقال : لا ! إني في بيت الأمان ، سمعت رسول الله يقول : « الإيمان ضد الفتك لا يفتك مؤمن » . يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل . وفي رواية أنها حجبتة وقالت : لا يدخل علي أبداً ، فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته في قتله حجراً ، فلم يزل يمتدح حتى عذرتة . وفي رواية : أنها كانت تتوعده وتقول : لولا يغلبنا سفهاؤنا لكان لي ولعماوية في قتله حجراً شأن ، فلما اعتذر إليها عذرتة . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة من الأكابر جرير بن عبد الله البجلي ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو بكر نفييع بن الحارث الثقفى ، رضى الله عنهم .

فأما جرير بن عبد الله البجلي

فأسلم بعد نزول المائدة ، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله يخطب ، وكان قد قال في خطبته : « إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن ، وإن على وجهه مسحة ملك » ، فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأخبروه بذلك فحمد الله

تعالى . و يروى أن رسول الله (ص) ، لما جالسه بسط له رداءه وقال : « إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه » قال ابن جرير : وفي هذه السنة ولى زياد على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيع بن زياد الحارثي ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد غلقوها بعد ما صالحهم الأحنف ، وفتح قوهستان عنوة ، وكان عندها أتراك فقتلهم ولم يبق منهم إلا ترك طرخان ، فقتله قتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتي . وفي هذه السنة غزا الربيع ما وراء النهر فغنم وسلم ، وكان قد قطع ما وراء النهر قبله الحكم بن عمرو ، وكان أول من شرب من النهر غلام للحكم ، فسقى سيده وتوضأ الحكم وصلى وراء النهر ركعتين ثم رجع ، فلما كان الربيع هذا غزا ما وراء النهر فغنم وسلم . وفي هذه السنة حج بالناس يزيد بن معاوية فيما قاله أبو معشر والواقدي ، وبعثه رسول الله إلى ذي الخلصة - وكان بيتنا تعظمه دوس في الجاهلية - فذكر أنه لا يثبت على الخليل ، فضرب في صدره وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » فذهب فهدمه . وفي الصحيحين أنه قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم . وكان عمر بن الخطاب يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وقال عبد الملك بن عمير : رأيت جريراً كأن وجهه شقة قر . وقال الشعبي : كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت . فاشتم عمر من بعضهم ريحاً ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ ، فقال جرير : أوتقوم كلنا فتتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الاسلام . وقد كان عاملاً لعثمان على همدان ، يقال إنه أصيبت عينه هناك ، فلما قتل عثمان اعتزل علياً ومعاوية ، ولم يزل مقبلاً بالجزيرة حتى توفي بالسرقة ، سنة إحدى وخمسين ، قاله الواقدي ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ست وخمسين .

وأما جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب

فأسلم مع أبيه حين تلقياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردهما قال أبو سفيان : والله لئن لم يأذن لي عليه لأخنن بيد هذا فأذهبن في الأرض فلا يدرى أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله رقى له وأذن له وقبل إسلامهما فأسلما إسلاماً حسناً ، بعد ما كان أبو سفيان يؤذى رسول الله أذى كثيراً ، وشهد حينئذ ، وكان ممن ثبت يومئذ رضي الله عنهما .

وأما حارثة بن النعمان الأنصاري النجاري

فشهد بدرأً وأحداً والخندق والمشاهد ، وكان من فضلاء الصحابة ، وروى أنه رأى جبريل مع رسول الله بالمقاعد يتحدثان بعد خير ، وأنه رآه يوم بني قريظة في صورة دحية . وفي الصحيح أن رسول الله (ص) سمع قراءته في الجنة . قال محمد بن سعد : حدثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فجعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته ، فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بمسك بذلك الخيط حتى

يضع ذلك في يد المسكين ، وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله (س) يقول : « مناولة المسكين تقى ميتة سوء » . وأما حجر بن عدى فقد تقدمت قصته مبسوطه .

وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي

فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عاتكة زوجة عمر ، وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد ، أسلم قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدرأ لأنه قد كان بعثه رسول الله هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله بسهمهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لثلاثي بجاني بسبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك ، وإلا فهو ممن شهد له رسول الله (س) بالجنة في جملة العشرة ، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة ، ولم يتول بعده ولاية ، وما زال كذلك حتى مات بالكوفة ، وقيل بالمدينة وهو الأصح ، قال الفلاس وغيره : سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ثنتين وخمسين والله أعلم . وكان رجلا طوالا أشعر ، وقد غسله سعد ، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعا وسبعين سنة .

وأما عبدالله أنيس بن الجهمي أبو يحيى المدني

فصحابي جليل شهد العقبة ولم يشهد بدرأ . وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسران أصنام الأنصار ، له في الصحيح حديث أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ، وهو الذي بعثه رسول الله إلى خالد بن سفيان الهذلي فقتله بعرة وأعطاه رسول الله مخرمه وقال : « هذه آية ما بيني وبينك يوم القيامة » فأمر بها فدفنت معه في أكفانه . وقد ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة إحدى وخمسين ، وقال غيره سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثمانين .

وأما أبو بكره نفيح بن الحارث

ابن كلفة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة الثقفي فصحابي جليل كبير القدر ، ويقال كان اسمه مسروح وإنما قيل له أبو بكره لأنه تلى في بكرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله وكل مولى فر إليهم يومئذ . وأمه حمية هي أم زياد ، وكانا ممن شهد على المغيرة بالزنا هو وأخوه زياد ومعهما سهل بن معبد ، ونافع بن الحارث فلما تلاكأ زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقين ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكره فإنه صمم على الشهادة ، وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفني من هذا العبد ، قهره عمر وقال له : اسكت ! لو كلمت الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان أبو بكره خير هؤلاء الشهود وكان ممن اعتزل الفتن فلم يكن في خيرهما ، ومات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة ، وقيل بعدها بسنة وصلى عليه أبو

برزة الأسلمى ، وكان قد آخى بينهما رسول الله (ص) .

وفيهما توفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها رسول الله (ص) ، في عمرة القضاء سنة سبع ، قال ابن عباس - وكان ابن أختها أم الفضل لبابة بنت الحارث - : تزوجها رسول الله (ص) ، وهو محرم ، وثبت في صحيح مسلم عنها أنها كانتا حلالين ، وقولها مقدم عند الأكثرين على قوله . وروى الترمذى عن أبي رافع - وكان السفير بينهما - أنها كانتا حلالين . ويقال كان اسمها برة فسمها رسول الله ميمونة ، وتوفيت بسرف بين مكة والمدينة حيث بنى بها رسول الله (ص) ، في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والمشهور الأول ، وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

ففيها غزا بلاد الروم وشقى بها سفيان بن عوف الأزدي فمات هنالك ، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وقيل إن الذي كان أمير الغزو ببلاد الروم هذه السنة بسر بن أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة ، قاله أبو معشر والواقدي وغيرهما . وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفي . وعمال الأمصار في هذه السنة عملها في السنة الماضية .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

خالد بن زيد بن كليب

أبو أيوب الأنصاري الخزرجي شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها ، وشهد مع علي قتال الحرورية ، وفي داره كان نزول رسول الله (ص) ، حين قدم المدينة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله ، ثم تحول إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله في أسفل داره ثم تخرج من أن يعلو فوقه ، فسأل من رسول الله (ص) : أن يصعد إلى العلو ويكون هو وأم أيوب في السفلى فأجابته . وقد روينا عن ابن عباس أنه قدم عليه أبو أيوب البصرة وهو فائتها فخرج له عن داره وأنزله بها ، فلما أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها ، وزاده تحفاً وخدماء كثيراً أربعين ألفاً ، وأربعين عبداً إكراماً له لما كان أنزل رسول الله (ص) ، في داره ، وقد كان من أكبر الشرف له . وهو القائل لزوجته أم أيوب - حين قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - ؟ فقال : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله فقال : والله لي خير منك ، فأنزل الله [لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً] الآية . وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية من هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وكان في جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذي صلى عليه . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عثمان ثنا همام ثنا أبو عاصم عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن

معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزاه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت فقال له : إذا أنا مت فاقروا على الناس مني السلام وأخبروهم أنني سمعت رسول (س) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله في الجنة » . ولينطلقوا فيعمدوني في أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحث الناس لما مات أبو أيوب فأسلم الناس وانطلقوا بجنائزته . وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي ظبيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال : فقال إذا مت فأدخلوني في أرض العدو فأدفنوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو ، قال : ثم قال : سمعت رسول الله (س) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » . ورواه أحمد عن ابن نمير ويعلى بن عبيد عن الأعمش سمعت أبا ظبيان فذكره ، وقال فيه : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله (س) ، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله (س) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » : وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني محمد بن قيس - قاضي عمر بن عبد العزيز - عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كنت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله (س) ، سمعته يقول : « لولا أنكم تذبنون لخلق الله قوماً يذنبون فيغفر لهم » . وعندى أن هذا الحديث والذي قبله هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الأرجاء ، وركب بسببه أفعالا كثيرة أنكرت عليه كما سند كره في ترجمته والله تعالى أعلم .

قال الواقدي : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ودفن عند القسطنطينية وقبره هناك يستسقى به الروم إذا قحطوا ، وقيل : إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم يعظمونه ، وقال أبو زرعة الدمشقي : توفي سنة خمس وخمسين ، والأول أثبت والله أعلم . وقال أبو بكر بن خلاد : حدثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المحبر ثنا ميسرة بن عبد ربه عن موسى بن عبيدة عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي (س) . قال : « إن الرجلين ليتوجها إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما وصلاته أوزن من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته مثقال ذرة ، إذا كان أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير » . وعن أبي أيوب قال قال رسول الله (س) ، لرجل سأله أن يعلمه ويوجز فقال له : « إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع ، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس » وفيها كانت وفاة أبي موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غز بن بكر بن عامر بن عنبر بن وائل بن ناجية بن جاهر بن الأشعر الأشعري ، أسلم بيلاده وقسم مع جعفر وأصحابه عام خيبر ، وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكة ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور ، وقد استعمله رسول الله (س) ، مع معاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح تستر ،

وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكمين بين علي ومعاوية ، فلما اجتمعا خدع عمرو أبا موسى ، وكان من قراء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتاً في زمانه ، قال أبو عثمان التهدي : ما سمعت صوت صنّج ولا بربط ولا مزمار أطيب من صوت أبي موسى وثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزمار آل داود » . وكان عمر يقول له : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون . وقال الشعبي : كتب عمر في وصيته أن لا يقر لي عامل أكثر من سنة إلا أبا موسى فليقرأ أربع سنين . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة ، وهو قول بعضهم ، وقيل إنه توفي قبلها بسنة ، وقيل في سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك والله أعلم . وكانت وفاته بمكة لما اعتزل الناس بعد التحكيم ، وقيل بمكان يقال له : الثوبة على ميلين من الكوفة . وكان قصيراً نحيف الجسم أسبط ، أي لا لحية له ، رضى الله عنه . وذكر ابن الجوزي أنه توفي في هذه السنة أيضاً من الصحابة .

عبدالله بن المغفل المزني

وكان أحد البكائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليقهوا الناس ، وهو أول من دخل تستر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ما حكاه البخاري عن مسدد أنه توفي سنة سبع وخمسين . وقال ابن عبد البر : توفي سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين والله أعلم . وروى عنه أنه رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وكان هناك مكان من وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه فقليل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟ فاستيقظ فعمد إلى عيبة عنده فيها ذهب كثير فلم يصبح عليه الصباح إلا وقد فرقها في المساكين والمحاويج والأقارب رضى الله عنه . وفيها توفي عمران بن حصين بن عبيد

ابن خلف أبو نعيم الخزازي ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة ، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فحكم له بها ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة ، قال الحسن : وابن سيرين البصري : ما قدم البصرة راكب خير منه ، وقد كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكنوى أنقطع عنه سلامهم ثم عادوا قبل موته بقليل فكاتبوا يسلمون عليه رضى الله عنه وعن أبيه .

كعب بن عجرة الأنصاري أبو محمد المدني

صحابي جليل وهو الذي نزلت فيه آية الفدية في الحج . مات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة عن خمس أو سبع وسبعين سنة . معاوية بن خديج

ابن جنة بن قتيبة الكندي الخولاني المصري ، صحابي على قول الأكثرين ، وذكره ابن

حبان في التابعين من الثقة ، والصحيح الأول ، شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الاسكندرية ، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال البربر ، وذهبت عينه يومئذ ، وولى حروباً كثيرة في بلاد المغرب ، وكان عثمانياً في أيام علي ببلاد مصر ، ولم يبايع علياً بالكلية ، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه ثم استنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه ناب بها بعد أبيه سنتين ثم عزله معاوية وولى معاوية بن خديج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة .

هانيء بن نيار ابو بردة البلوي

الخصوص بذبح العناق وإجزائها عن غيرها من الأضاحي ، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ففيها غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشق بها ، وفيها افتتح المسلمون وعليهم جنادة ابن أبي أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شئاً على الكفار ، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفرنج ، يبيتون في حصن عظيم عنده فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر . ينذرونهم إن قدم عدو أو كادهم أحد ، وما زالوا كذلك حتى كانت إمرة يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فحولهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غزيرة . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص وإلى المدينة أيضاً ، قاله أبو معشر والواقدي . وفي هذه السنة توفي جبلة ابن الأيهم الفسائي كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم .

وفيها توفي الربيع بن زياد الحارثي ، اختلف في صحبته وكان نائب زياد على خراسان ، وكان قد ذكر حجر بن عدى فأسف عليه ، وقال : والله لو نارت العرب له لما قتل صبراً ولكن أقرت العرب فذلت ، ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يقبضه إليه فاعاش إلى الجمعة الأخرى ، واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع فأقره زياد على ذلك ، فمات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عملهم بخراسان خليل بن عبد الله الحنفي فأقره زياد .

رويفع بن ثابت

صحابي جليل شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب ، ومات ببرقة والياً من جهة مسلة بن مخلد نائب مصر .

وفي هذه السنة أيضاً توفي زياد بن أبي سفيان ويقال له : زياد بن أبيه وزيا بن سمية - وهي أمه -

في رمضان من هذه السنة مطعوناً ، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له : إني قد ضبعت لك العراق بشمالى ويمينى فارغة ، فارغ لى ذلك ، وهو يعرض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلما بلغ أهل الحجاز جاءوا إلى عبد الله بن عمر فشكوا إليه ذلك ، وخافوا أن يلى عليهم زياد ، فيعسفهم كما عسف أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون ، فطعن زياد بالعراق في يده فضاق ذرعاً بذلك ، واستشار شريحاً القاضى في قطع يده ، فقال له شريح : إني لا أرى ذلك ، فانه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيت الله أجندم قد قطعت يدك خوفاً من لقائه ، وإن كان لك أجل بقيت في الناس أجندم فيعير ولدك بذلك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شريح من عنده عاتبه بعض الناس : وقالوا : هلا تركته فقطع يده ؟ ! فقال : قال رسول الله (ص) : « المستشار مؤتمن » . ويقال إن زياداً جعل يقول : أنا أنا والطاعون في فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جىء بالمكاوى والحديد خاف من ذلك فترك ذلك ، وذكر أنه جمع مائة وخمسين طبيباً ليداووه مما يجد من الحر في باطنه ، منهم ثلاثة ممن كان يطب كسرى بن هرمز ، فعجزوا عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات في ثالث شهر رمضان في هذه السنة ، وقد قام في إمرة العراق خمس سنين . ودفن بالثوبة خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز أميراً عليها ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثني أبى عن هشام بن محمد حدثني يحيى بن ثعلبة أبو المقدم الأنصارى عن أمه عن عائشة عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصارى . قال : جمع زياد أهل الكوفة فلأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليهم البراءة من على بن أبى طالب ، قال عبد الرحمن : فأتى لمع نفر من أصحابى من الأنصار ، والناس في أمر عظيم من ذلك وفي حصر ، قال : فهومت تهويمة - أى نعست نعسة - فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهلب أهمل فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابى : هل رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : لا ! فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عني : فأتى عنكم مشغول . وإذا الطاعون قد أصابه . وروى ابن أبى الدنيا أن زياداً لما ولى الكوفة سأل عن أعبيدها فدل على رجل يقال له أبو المغيرة الحميرى ، فجاء به فقال له : ألزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ماشئت ، فقال : لو أعطيتنى ملك الأرض ما تركت خروجى لصلاة الجماعة . فقال ألزم الجماعة ولا تتكلم بشئ . فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأمر به فضربت عنقه . ولما احتضر قال له ابنه . يا أبة قد هيأت لك ستين ثوباً أ كفنك فيها ، فقال يا بنى قد دنا من أبىك أمر إما لباس خير من لباسه وإما سلب سريع . وهذا غريب جدا .

صعصة بن ناجية

ابن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، كان سيدا في الجاهلية وفي الاسلام ، يقال إنه أحب في الجاهلية ثلثمائة وستين مؤودة ، وقيل أربعائة ، وقيل ستا وتسعين مؤودة ، فلما أسلم قال له رسول الله (ص) : « لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالاسلام » . ويروى عنه أنه أول ما أحب المؤودة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له ، قال فبينما أنا في الليل أسير إذ أنا بنار تضيء مرة وتخبو أخرى . فجعلت لا أهندي إليها ، فقلت : اللهم لك على إن أوصلتني إليها أن أدفع عن أهلها ضيما إن وجدته بهم ، قال فوصلت إليها وإذا شيخ كبير يوقد نارا وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن إن هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تطلق ولم تخلص ، فقال الشيخ صاحب المنزل : وما خبرك ؟ فقلت : إني في طلب ناقتين ندتالي ، فقال : قد وجدتهما ، إنيهما لفي إبلنا ، قال ففرزت عنده ؟ قال فما هو إلا أن نزلت إذ قلن وضعت ، فقال الشيخ : إن كان ذكرا فارتحلوا ، وإن كان أنثى فلا تسمعني صوتها ، فقلت : علام تقتل ولدك ورزقة على الله ؟ فقال : لا حاجة لي بها ، فقلت : أنا أفتديها منك وأتركها عندك حتى تبين عنك أو تموت . قال : بكم ؟ قلت . باحدى ناقتي ، قال : لا ! قلت فبهما ، قال لا إلا أن تزيدني بعيرك هذا فإني أراه شابا حسن اللون ، قلت نعم على أن تردني إلى أهلي ، قال نعم ، فلما خرجت من عندهم رأيت أن الذي صنعته نعمة من الله من بها على هداي إليها ، فجعلت لله على أن لا أجد مؤودة إلا افتديتها كما افتديت هذه ، قال فما جاء الاسلام حتى أحييت مائة مؤودة إلا أربعة ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على المسلمين .

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين **جبله بن الأيهم الغساني** ملك نصارى العرب وهو جبله بن الأيهم بن جبله بن الحارث بن أبي شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ويقال غير ذلك في نسبه ، وكنيته جبله أبو المنذر الغساني الجفني ، وكان ملك غسان ، وهم نصارى العرب أيام هرقل ، وغسان أولاد عم الانصار أوسها وخزرجها ، وكان جبله آخر ملوك غسان ، فكتب إليه رسول الله (ص) ، كتابا مع شجاع بن وهب يدعوه إلى الاسلام فأسلم وكتب باسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عساکر : إنه لم يسلم قط ، وهكذا صرح به الواحدى وسعيد بن عبد العزيز . وقال الواقدي : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر ، فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني ، فدفعه أصحاب جبله إلى أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبله ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبله : فقالوا : أو ما يقتل ؟ قال لا ! قالوا : فما تقطع يده ؟ قال لا ، إنما أمر الله

بالقود ، فقال جبلة : أترون آتى جاعل وجهي بدلا لوجه مازنى جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلة ارتد عن الاسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال لطمه رجل من مزينة فقال : وحق له ، فقام إليه عمر بالدرة فضربه . ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال . وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه ، قيل مائة وخمسين راكبا ، وقيل خمسمائة ، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ، ولبس تاجا على رأسه مرصعا باللازلي والجواهر ، وفيه قرطامارية جدته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونسأؤهم ينظرون إليه ، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ أزاره رجل من بني فزارة فأنجل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل ، ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ، فاستعدى عليه الفزاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة ، فاستحضره عمر فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أقدته منك . فقال : كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال : إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى ، فقال جبلة : قد كنت أظن أن أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية ، فقال عمر : دع ذاعتك ، فأنك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، فقال إذا أنتصر ، فقال إن تنصرت ضربت عنقك ، فلما رأى الحد : قال سأنظر في أمري هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلادا كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقا جزيلا ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سباه ، فمكث عنده دهرا . ثم إن عمر كتب كتابا إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني ، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل : هل لقيت ابن عمك جبلة ؟ قال : لا ! قال فאלقه ، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور والديوى ، في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حواله الحسان من الخدم والقيان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الاسلام ، وذكر أنه دعاه إلى الاسلام والعود إلى الشام فقال : أبعد ما كان مني من الارتداد ؟ فقال : نعم ! إن الأشعث بن قيس ارتد وقتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة ، قال : فالتهى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر

ثم أمر جواريه المغنيات فغنيته بالعيد ان من قول حسان يمدح بنى عمه من غسان والشعر فى والدجلة
هذا الحيوان .

للهِ ذرَّ عصابةً نادتهم * يوماً بجلق فى الزمانِ الأولِ
أولادَ جنة حولَ قبرِ أبيهم * قبر ابن مارية الكريمِ المفضلِ
يسقون من وِرد البريصِ عليهم * برَدَى يُصَفِّقُ بالرحيقِ السلسلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةً أحسابهم * شمَّ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ
يفشون حتى ماتهمُ كلابهم * لا يسألون عن السوادِ المقبلِ

قال : فأعجبه قولهن ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصارى فىنا وفى ملكتنا ، ثم قال
لى : كيف حاله ؟ قلت : تركته ضرباً شيعاً كبيراً ، ثم قال لهن : أطر بنى فاندفعن يغنين لحسان أيضاً

لمن الديارُ أوحشتِ بغيابِ * بينَ أعلا البرموكِ فالصَّمانِ
فالقرىاتُ من بلامنِ فداري * بافسكاءِ اقصورِ الدوانى
قففا جاسمِ فأودية الص * فر مغنى قبائلِ وهجانِ
تلكَ دارُ العزيزِ بعدَ أنيسِ * وحلوكِ عظيمةِ الأركانِ
صلواتُ المسيحِ فى ذلكَ الدي * رداءِ القسيسِ والرهبانِ
ذاك مغنى لآلِ جنة فى الده * ر محاءِ تعاقبِ الأزمانِ
قد أراى هناكَ حق مكينِ * عند ذى التاجِ مجلسى ومكانى
ثكلتُ أمهمُ وقد ثكلتهم * يومَ حلوا بحارثِ النحولانى
وقد دنا الفصحُ فالولائدُ ينظم * ن سراعاً أكيلةَ المرجانِ

ثم قال : هذا لابن الفريرة حسان بن ثابت فىنا وفى ملكتنا وفى منازلنا بأكناف غوطة دمشق ،
قال : ثم سكت طويلاً ، ثم قال لهن : بكيفى ، فوضعن عيد انهن ونكسن رؤوسهن وقلن :

تنصرتُ الأشرافِ من عارِ لطمَةٍ * وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضررُ
تكنفى فيها اللجاجُ ونخوة * وبعثُ بها العينُ الصحيحةَ بالعوزِ
فيا ليتَ أُمى لم تلدنى وليتنى * رجعتُ إلى القولِ الذى قاله عمرُ
ويا ليتنى أرعى الخاضَ بقفرةٍ * وكنتُ أسيراً فى ربيعةٍ أو مضرِ
ويا ليتَ لى بالشامِ أدنى معيشَةٍ * أجالسُ قوماً ذاهبِ السمعِ والبصرِ
أدينُ بما دانوا به من شريعةٍ * وقد يصبرُ العودُ الكبيرُ على الدبرِ

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه وبكى معه ، ثم استدعى بخمسمائة دينار

هرقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الاسلام ، فيقال : إنه أضافها إلى التي لحسان ، فبعث بألف دينار هرقلية ، ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين ، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال : ورأيتك يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ! قال : أبعد الله ، تعجل فانية بياقية فسارحت تجارتها . ثم قال : وما الذي وجه به لحسان ؟ قلت : خمسمائة دينار هرقلية ، فدعا حسانا فدفعها إليه ، فأخذها وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقية معشري * ثم يفرهم أبائهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هوربها * كلا ولا متنصراً بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * إلا كبعض عطية المحروم
وأتيته يوماً فقرأت مجلسي * وسقا فرواني من المنوم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري رهولا إلى ملك الروم ، فاجتمع بمجيلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له مجيلة : لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فأنها منازلنا ، وعشرين قرية من نخوة دمشق ويفرض لجامعتنا ، ويحسن جوارنا ، لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة قبضه الله . وذكر أن كثير هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم ، وأرخ وفاته هذه السنة ، - أعني سنة ثلاث وخمسين - وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأطال الترجمة وأطاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن مجيلة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة .

سنة أربع وخمسين

ففيها كان شقي محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصائفة معن بن يزيد السلمي ، وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة ورد إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ، ويصطفى أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهدمها فقال سعيد : ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلي بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلته . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاد المدينة أن يهدم دار مروان ويصطفى ماله ، وذكر أنه لم يزل يحاجف دونه حتى صرف ذلك عنه ، فلما رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ، تنادى ذلك عن سعيد ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقر عليه أمواله . وفيها

عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، وكان زياد استخلفه عليها فأقره معاوية ستة أشهر ، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . وروى ابن جرير وغيره عن سمرة أنه قال لما عزله معاوية : لعن الله معاوية لو أطع الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبدا . وهذا لا يصح عنه . وأقر عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة ، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية . وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم ، ثم ولاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهز من فوره غاديا إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارا ، ففتح رامس ونصف بيكند - وهما من معاملة بخارا - ولقي الترك هناك فقاتلهم قتالا شديدا وهزمهم هزيمة فظيمة بحيث إن المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبس خفيها ، فلبست واحدة وتركت أخرى ، فأخذها المسلمون فقوموا جواهرها بمائتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين . وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقيل : بل كان عليها الضحاك بن قيس ، وكان على البصرة عبد الله بن غيلان .

ذكر من توفي فيها من الاعيان

اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

أبو محمد المدني مولى رسول الله (ص) وابن مولا ، وحبه وابن حبه ، وأمه بركة أم أيمن مولاة رسول الله (ص) ، وحاضنته ، ولله رسول الله الأمانة بعد مقتل أبيه فظعن بعض الناس في إمرته ، فقال رسول الله (ص) : « إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمره أبيه من قبله ، وإيم الله إن كان خليقا بالامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى بعده » . وثبت في صحيح البخاري عنه : « أن رسول الله كان يجلس الحسن على فخذه ويجلس أسامة على فخذه الأخرى ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وفضائله كثيرة . توفي رسول الله وعمره تسع عشرة سنة ، وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيها الأمير . وصحح أبو عمر بن عبد البر أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخسين ، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فله أعلم .

ثوبان بن محمد مولى رسول الله (ص) ، تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام ، أصله من العرب فأصابه سبي فاشتراه رسول الله (ص) ، فأعتقه ، فلزم رسول الله سفرا وحضرآ ، فلما مات أقام بالاملة ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها دارآ ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل سنة أربع وأربعين وهو غلط ، ويقال إنه توفي بمصر ، والصحيح بمحمص

جبير بن مطعم تقدم أنه توفي سنة خمسين .

الحارث بن ربيعي

أبو قتادة الأنصاري ، وقال الواقدي : اسمه النعمان بن ربيعي ، وقال غيره : عمرو بن ربيعي . وهو أبو قتادة الأنصاري السلمي المدني فارس الاسلام ، شهد أحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذى قرد سعى مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع » . وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدرًا وليس بمعروف ، وقال أبو سعيد الخدري : أخبرني من هو خير مني أبو قتادة الأنصاري أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . قال الواقدي وغير واحد : توفي في هذه السنة - يعني سنة أربع وخمسين - بالمدينة عن سبعين سنة ، وزعم الهيثم بن عدي وغيره أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه علي بن أبي طالب . وهذا غريب **حكيم بن حزام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو خالد المكي ، أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وعمته خديجة بنت خويلد ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده سوى إبراهيم . ولدته أمه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وذلك أنها دخلت تزور فضر بها الطلق وهي في الكعبة فوضعت على نطع ، وكان شديد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب لا يبايعوا ولا يناكحوا ، كان حكيم يقبل بالخير يقدم من الشام فيشتريها بكافها ، ثم يذهب بها فيضرب أذبارها حتى يلج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمه لرسول الله (ص) ، ولعمته خديجة بنت خويلد . وهو الذي اشترى زيد بن حارثة فابنته منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله فاعنته ، وكان اشترى حلة ذى يزن فأهداها لرسول الله (ص) . فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها . ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم ، قال البخاري وغيره : عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الاسلام ستين سنة ، وكان من سادات قريش وكرماتهم وأعلمهم بالنسب ، وكان كثير الصدقة والبر والعناقة ، فلما أسلم سأل عن ذلك رسول الله فقال : « أسلمت على ما أسلمت من خير » . وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدرًا وتقدم إلى الخوض فكاد حمزة أن يقتله ، فما سحب إلا سحباً بين يديه ، فلهذا كان إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجاني يوم بدر . ولما ركب رسول الله إلى فتح مكة ومعه الجنود بمر الظهران خرج حكيم وأبو سفيان يتجسسان الأخبار ، فلقيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله (ص) ، وأسلم أبو سفيان ليلتشد كرها ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم وشهد مع رسول الله (ص) . حينئذ ، وأعطاه مائة من الإبل ثم سأله فأعطاه ، ثم سأله فأعطاه ، ثم قال : « يا حكيم إن هذه المسال حلوة خضرة ، وإنه من أخذه بسخاوة بورك له فيه ، ومن أخذه بأسراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع » . فقال

حكيم : والذي بعثك بالحق لا أرزأ بعدك أبدا ، فلم يرزأ أحدا بعده ، وكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكان عمر يعرض عليه العطاء فيأبى فيشهد عليه المسلمين ، ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات والحكيم عليه مائة ألف ، وقد كان بيده حين أسلم الرفادة ودار الندوة فباعها بعد من معاوية بمائة ألف ، وفي رواية بأربعين ألف دينار ، فقال له ابن الزبير : بعت مكرمة قريش ؟ فقال له حكيم : ابن أخى ذهبت المكارم فلا كرم إلا التقوى ، يا ابن أخى إني اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، ولأشترين بها دارا فى الجنة ، أشهدك أنى قد جعلتها فى سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكان لا يدخلها أحد إلا وقد صار سنة أربعين سنة ، إلا حكيم بن حزام فانه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكر الزبير أن حكيم حج عاما فأهدى مائة بدنة مجللة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مائة وصيف فى أعناقهم أطوقه الفضة ، وقد نقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الانعام رضى الله عنه . توفي حكيم فى هذه السنة على الصحيح ، وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة .

حويطب بن عبد العزى العامري

صحابى جليل ، أسلم عام الفتح ، وكان قد عمر دهرًا طويلا ، ولهذا جعله عمر فى النفر الذين جددوا أنصاب الحرم ، وقد شهد بدرا مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض ، وشهد الحديبية وسعى فى الصلح ، فلما كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذان أمرا رسول الله (ص) بالخروج من مكة ، فأمر بلالا أن لا تقرب الشمس وبمكة أحد من أصحابه ، قال : وفى كل هذه المواطن أهم بالاسلام ويأبى الله إلا ما يريد ، فلما كان زمن الفتح خفت خوفا شديدا وهربت فلحقنى أبو ذر - وكان لى خليلا فى الجاهلية - . فقال : يا حويطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فانه أبر الناس : وأوصل الناس ، وأنا لك جار فاقدم معى ، فرجعت معه فوقف بى على رسول الله وهو بالبطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علمنى أبو ذر أن أقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حويطب » ؟ قلت : نعم ! أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، فقال : « الحمد لله الذى هداك » وسر بذلك واستقرضى مالا فأقرضته أربعين ألفا ، وشهدت معه حيننا والطائف ، وأعطانى من غنائم حنين مائة بعير . ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فترها وله بها دار ، ولما ولى عليها مروان بن الحكم جاءه حويطب وحكيم بن حزام ، وغرمة بن نوفل ، فسلموا عليه وجعلوا يتحدثون عنده ثم تفرقوا ، ثم اجتمع حويطب بمروان يوما آخر فسأله مروان عن عمره فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث . فقال حويطب : الله المستعان ، والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقنى أبوك يقول تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين

محدث؟ وتصير قابعا؟ قال: فأسكت مروان وندم على ما كان قال له، ثم قال حويطب: أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم؟ قال: فازداد مروان غما. وكان حويطب ممن شهد دفن عثمان، واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار فاستكثرها الناس، فقال: وماهى فى رجل له خمسة من العيال؟ قال الشافعى: كان حويطب جيد الاسلام، وكان أكثر قریش ريعا جاهليا. وقال الواقدى: عاش حويطب فى الجاهلية ستين سنة، وفى الاسلام ستين سنة، ومات حويطب فى هذه السنة بالمدينة وله مائة وعشرون سنة. وقال غيره: توفى بالشام. له حديث واحد رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث السائب بن يزيد عنه عن عبد الله بن السعدى عن عمر فى العمالة، وهو من عزيز الحديث لانه اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضى الله عنهم.

معبد بن يربوع بن عنكثة

ابن عامر بن مخزوم، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله خمسين من الابل، وكان اسمه صرماً، وفى رواية أصرم، فسماه معبداً، وكان فى جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم، وقد أصيب بصره بعد ذلك فأناه عمر يميزه فيه، رواه البخارى. قال الواقدى وخليفة وغير واحد: مات فى هذه السنة بالمدينة، وقيل بمكة وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر من ذلك.

مرة بن شراحيل الحمداي

يقال له مرة الطيب، ومرة الخير، روى عن أبى بكر وعمر وعلى وابن مسعود وغيرهم، كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما كبر صلى أربعمائة ركعة، ويقال إنه سجد حتى أكل التراب جبهته، فلما مات روى فى المنام - وقد صار ذلك المكان نوراً - فقيل له: أين منزلك؟ فقال: بدار لا يظن أهلها ولا يموتون.

النعمان بن عمرو

ابن رفاع بن الحر، شهد بدرًا وما بعدها، ويقال إنه الذى كان يؤتى به فى الشراب، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تلعه فانه يحب الله ورسوله»

سودة بن زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين، تزوجها رسول الله بعد خديجة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو، فلما كبرت هم رسول الله بطلاقها، ويقال إنه طلقها، فسألته أن يبقها فى نسائه وتهب يومها لعائشة، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله: [وإن امرأة خافت من بعلها نشوراً أو إعراضاً] الآية، وكانت ذات عبادة وورع وزهادة، تالت عائشة: ما من امرأة أحب إلى أن أكون فى مساحتها غير أن فيها حدة تسرع منها الفينة. ذكر ابن الجوزى وفاتها فى هذه السنة، وقال ابن أبى خيثمة: توفيت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب فأنه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزل معاوية بن غيلان عن البصرة أنه كان يخطب الناس لخصبه رجل من بنى ضبة فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يده في هذا الصنع فعل به وبقومه نظير ما فعل بمحجر بن عدي ، فاكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شبهة ، فكتب لهم فتركوه عندهم حينئذ ثم جاؤا معاوية فقالوا له : إن نائبك قطع يد صاحبنا في شبهة فأقصدنا منه ، قال : لاسبيل إلى القود من نوابي ولكن الدية ، فأعطاهم الدية وعزل ابن غيلان ، وقال لهم : اختاروا من تريدون ، فذكروا رجالاً فقال : لا ! ولكن أولى عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد ، فولاه فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يغز ولم يفتح شيئاً ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عزله وولى ابن أذينة ، وولى شرطها عبد الله بن الحصين . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة . وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس رضى الله عنه .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة * أرقم بن أبي الأرقم

عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسلم قديماً ، يقال سبع سبعة ، وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوى إليها رسول الله ومن أسلم من قريش ، وكانت عند الصفا وقد صارت فيها بعد ذلك للمهدي فوجهها لأمراءه الخيزران أم موسى الهادي وهارون الرشيد ، فبذتها وجددها فعرفت بها ، ثم صارت لغيرها ، وقد شهد الأرقم بدرها وما بعدها من المشاهد ، ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضى الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

سحبان بن زفر بن إيلس

ابن عبد شمس بن الأجب الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل ، فيقال : أفصح من سحبان وائل ، ووائل هو ابن معد بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار ، وباهلة امرأة مالك بن أعصر ، ينسب إليها ولدها ، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة . قال ابن عساکر : سحبان المعروف بسحبان وائل ، بلغني أنه وفد إلى معاوية فتكلم فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إى والله وغير ذلك ، ولم يزد ابن عساکر على هذا ، وقد نسبته ابن الجوزى في كتابه المنتظم كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصودهم عنه ، فقال سحبان

لقد علم الحبي البمانون أننى * إذا قلتُ أما بعد أنى خطيبها

فقال له معاوية : اخطب ! فقال : انظروا لى عصي تقيم من أودى ، فقالوا : وماذا تصنع بها

وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فأخذها وتكلم من الظهر إلى أن قاربت العصر ، ماتنحني ولا تسلم ولا توقف ولا ابتداء في معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه ، فقال معاوية : الصلاة ! فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا في تحميد وتمجيد وعظة وتنبية ، وتذكير ووعد ووعيد ؟ فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدها ؟ بل أخطب الجن والانس . قال : كذلك أنت .

سعد بن أبي وقاص

واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أبو إسحاق القرشي الزهري ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض ، أسلم قديماً ، قالوا : وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الاسلام سابع سبعة ، وهو الذي كوف الكوفة ونفي عنها الأعاجم ، وكان مجاب الدعوة ، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله (ص) ، وكان في أيام الصديق معظمًا جليل المقدار ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه على الكوفة ، وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقمة جلولة . وكان سيداً مطاعاً ، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك . وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى ، ثم ولاه عثمان بعدها ثم عزله عنها . وقال الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين . وثبت في صحيح مسلم أن ابنه عمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال : الناس يتنازعون الامارة وأنت هاهنا ؟ فقال : يا بني إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد الغني الخفي التقي » . قال ابن عساکر : ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له : يا عم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر ، فقال : أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً ، وإذا ضربت به الكافر قطع . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني زكريا بن عمر وأن سعد بن أبي وقاص وفد على معاوية فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر ، وقال غيره : فبايعه وما سألته سعد شيئاً إلا أعطاه إياه . قال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا إسماعيل بن علية عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم . قال قال سعد : إني لأول رجل رمى بسهم في المشركين ، وما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي ، ولقد سمعته يقول : « ارم فداك أبي وأمي » . وقال أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ثنا إسماعيل عن قيس ، سمعت سعد بن مالك يقول : والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ،

ولقد كنا نفزو مع رسول الله وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلّة وهذا السم ، حتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الدين ، لقد خبت إذا وضل على . وقد رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به . وقال أحمد : حدثنا ابن سعيد عن يحيى ابن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب عن سعد . قال : « جمع لى رسول الله (س) أبويه يوم أحد » . ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن يحيى بن سعيد الانصارى . وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى الانصارى . ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيب عن سعد . ورواه الناس من حديث عامر بن سعد عن أبيه . وفي بعض الروايات « فداك أبى وأمى » وفي رواية : « فقال ارم وأنت الغلام الخزور » قال سعيد : وكان سعد جيد الرمي . وقال الأعمش عن أبي خالد عن جابر بن سمرة . قال : أول الناس رمى بسهم فى سبيل الله سعد رضى الله عنه . وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفیان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن شداد سمعت علياً يقول : « مسمعت رسول الله يفدى أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، وإني سمعته يقول له يوم أحد : ارم سعد فداك أمى وأبى » . ورواه البخارى عن أبي نعيم عن مسعر عن سعد بن إبراهيم به . ورواه شعبة عن سعد بن إبراهيم ، ورواه سفیان بن عيينة وغير واحد عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب فذكره . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن أيوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول : أنا بنت المهاجر الذى فداه رسول الله (س) بالأبوين . وقال الواقدي : حدثني عبيدة بن نابل عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال : « لقد رأيته أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ذلك فظننت أنه ملك » . وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص . قال : « لقد رأيت عن يمين رسول الله (س) وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ماراً بينهما قبل ولا بعد » . ورواه الواقدي : حدثني إسحاق بن أبي عبد الله عن عبد العزيز - جد ابن أبي عون - عن زياد مولى سعد عن سعد . قال : « رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن رسول الله أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة مسروراً بما ظفّره الله عز وجل » . وقال سفیان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن أبيه . قال اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأسيرين ولم أجىء أنا وعمار بشئ . وقال الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود . قال : لقد رأيت سعد بن أبي وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل . وقال مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر يقول قالت عائشة بات رسول الله أرقاً ذات ليلة ثم قال : « ليت رجلاً صالحاً يحرسنى الليلة ؟ قالت : إذ سمعنا صوت

السلح ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص ، أنا أحركك يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله (ص) ، حتى سمعت غطيته . أخرجاه من حديث يحيى بن سعيد . وفي رواية « فدعاه رسول الله (ص) ، ثم نام » وقال أحمد : حدثنا قتيبة ثنا رشدين بن سعد عن يحيى بن الحجاج بن شداد عن أبي صالح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فدخل سعد بن أبي وقاص » . وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن المنثري ثنا عبد الله بن قيس الرقاشي الخراز ، بصرى ، ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر . قال : كنا جلوسا عند رسول الله (ص) ، فقال : « يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة ، قال فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع » . وقال حرمة عن ابن وهب أخبرني حيوة أخبرني عقيل عن ابن شهاب حدثني من لائهم عن أنس بن مالك . قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله (ص) ، فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فاطلع سعد بن أبي وقاص ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فطلع على ترتيبه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تتحل يميني فعلت ، قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئا ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفظرا ، قال عبد الله بن عمرو : فرمته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أني لا أسمعهم يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت أحقر عمله ، قلت : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله قال ذلك ثلاث مرات في ثلاث مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلعت أنت أولئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوي إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدي بك لأنال مانلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ فقال : ما هو إلا الذي رأيت . قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فدعاني حين وليت ، فقال : ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي سوما لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شرا ولا أقوله . قال قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطبق . وهكذا رواه صالح المزني عن عمرو بن دينار - مولى الزبير - عن سالم عن أبيه فذكر مثل رواية أنس ابن مالك . وثبت في صحيح مسلم من طريق سفيان الثوري عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد في قوله تعالى [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه] نزلت في ستة ، أنا وابن مسعود منهم وفي رواية أنزل الله في [وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم] وذلك أنه لما أسلم

امتنعت أمه من الطعام والشراب أياما ، فقال لها : تملين والله لو كانت لك مائة نفس نخرجت نفسا
 نفسا ما تركت ديني هذا شيئا ، إن شئت فكلّي وإن شئت فلا تأكلّي . فترأت هذه الآية . وأما
 حديث الشهادة للعشرة بالجنة فثبت في الصحيح عن سعيد بن زيد . وجاء من حديث سهيل عن أبيه
 عن أبي هريرة في قصة حراء ذكر سعد بن أبي وقاص منهم . وقال هشيم وغير واحد عن مجالد عن
 الشعبي عن جابر . قال : كنا مع رسول الله فأقبل سعد فقال رسول الله (ص) : « هذا خالي فليبرني
 امرؤ خاله » . رواه الترمذي . وقال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عبد الوهاب
 ابن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر . قال : كنا مع
 رسول الله (ص) ، إذ أقبل سعد فقال : « هذا خالي » . وثبت في الصحيح من حديث مالك وغيره
 عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه « أن رسول الله جاءه يعودته عام حجة الوداع من وجع اشتد
 به . فقلت : يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلاثي مالي ؟ قال : لا ! قلت :
 فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ! قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك
 أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتسكفون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت
 بها ، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك . قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ فقال إنك لن تخلف
 فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام
 ويضربك آخرون . ثم قال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد
 ابن خولة يرثي له رسول الله إن مات بمكة » . ورواه أحمد عن يحيى بن سعيد عن الجعد بن أوس عن
 عائشة بنت سعد عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه قال : « فوضع يده على جبهته فمسح وجهه وصدره وبطنه
 وقال : اللهم اشف سعدا وأتم له هجرته » . قال سعد : فما زلت ينجي إلى أني أجدر برده على كبدي حتى
 الساعة . وقال ابن وهب : حدثني موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن رسول الله (ص) عاد سعدا فقال :
 « اللهم أذهب عنه البأس ، إله الناس ، ملك الناس ، أنت الشافي لا شافي له إلا أنت ، بسم الله أرقبك
 من كل شيء يؤذيكَ ، من حسد وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه ، واكشف سقمه وأجب دعوته » .
 وقال ابن وهب : أخبرني عمر وعن بكر بن الأشج قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول
 الله لسعد : « وعسى أن تبقى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون » . فقال : أمر سعد على العراق
 فقتل قوما على الردة فضرهم ، واستتاب قوما كانوا سجع مسيلة الكذاب فتابوا فانتهوا به .
 وقال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن
 عن أبي أمامة . قال : جلسنا إلى رسول الله فذكرنا ورقتنا ، فبكى سعد بن أبي قاص فأكثر البكاء
 وقال : ياليتني مت ، فقال رسول الله (ص) : « يا سعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عمرك أو حسن

من عملك فهو خير لك». وقال موسى بن عقبة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن سعد .
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » . ورواه سيار بن بشير
 عن قيس عن أبي بكر الصديق . قال : سمعت رسول الله يقول لسعد : « اللهم سدد سهمه وأجب
 دعوته ، وحبيه إلى عبادك » . وروى من حديث ابن عباس ، وفي رواية محمد بن عائذ الدمشقي عن
 الهيثم بن حميد عن مطعم عن المقدم وغيره أن سعدا قال : يا رسول الله ادع الله أن يجيب دعوتي
 فقال : « إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه » ، فقال : يا رسول الله ادع الله أن يطيب
 مطعمي فدعاه . قالوا : فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت .
 وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما روى في
 الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سلمة أن أهل الكوفة شكوا سعداً إلى عمر في
 كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله ، أطيل
 الأوليين وأحنف الآخرين ، فقال : الظن بك يا أبا إسحاق ، وكان قد بحث من يسأل عنه بمحال
 الكوفة ، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيراً ، حتى مروا بمسجد لبني عبس فقام رجل منهم يقال
 له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعمل في
 الرعية القضية ، فبلغ سعداً فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمة فأطال عمره وأدم فقره ،
 أعم بصره وعرضه للفتن ، قال : فأنأ رأيت بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه
 بقف في الطريق فيغمز الجوارى فيقال له ، فيقول : شيخ مفتون أصابته دعوة سعد . وفي رواية
 غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها . وقال الطبراني : ثنا يوسف القاضي ثنا عمرو بن
 مرزوق ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن سميد بن المسيب . قال : خرجت جارية لسعد يقال لها
 زبراء ، وعليها قميص جديد فكشفها الريح فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمتعه فتناوله عمر بالدرة
 فذهب سعد يدعو على عمر ، فناولته الدرة وقال : اقتص مني ففني عن عمر . وروى أيضاً أنه كان
 بين سعد وابن مسعود كلام فهم سعد أن يدعو عليه فخاف ابن مسعود وجعل يشتد في الحرب
 وقال سفيان بن عيينة : لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشكه يوم
 الفتح ، فقال رجل من بجيلة :

ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد يباب القادسية معصم
 فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد : اللهم اكفنا يده ولسانه . فجاءه سهم غرب فاصابه فخرس ويبست يدها جميعا . وقد
 أسند زياد البكائي وسيف بن عمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر عن ابن عمر فذكر

مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى الناس مابه من القروح في ظهره ليعتذر إليهم . وقال هشيم عن أبي بلح عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي فتهاه سعد فلم يفته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم يفته ، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخطه . وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فاذا هو يسب علياً وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك فلم يفته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تهديني كأنك نبي ؟ فأنصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله اليوم آية وعبرة . قال : فخرجت بختية نادة من دار آل فلان لا يرد لها شيء حتى دخلت بين أضياف الناس ، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها ، فلم يزل تتخطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق . ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب فذكر نحوه وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي ثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فتهاه فلم تنته ، فاطلمت يوماً وهو يتوضأ فقال : شاه وجهك ، فعاد وجهها في قفاها . وقال كثير النورى : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية فقال له : مالك لم تقا تل معنا ؟ فقال : إني مرت بي ريح مظلمة فقلت : اخ اخ . فأنحيت راحلتى حتى أنجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت ، فقال معاوية : ليس في كتاب الله : اخ اخ . ولكن قال الله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بقت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله (س) : « أنت مني بنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » . فقال معاوية : من سمع هذا منك ؟ فقال : فلان وفلان وأم سلمة (فقال معاوية : أما إني لو سمعته منه (س) ، لما قاتلت علياً) وفي رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية ، وأنهما قاما إلى أم سلمة فسالها فحدثتهما بما حدث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خالداً لعل حتى يموت أو أموت . وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم . وقد روى عن سعد أنه سمع رجلاً يتكلم في علي وفي خالد فقال : إنه لم يبلغ ما بيننا إلى ديننا . وقال محمد بن سيرين : طاف سعد على تسع جوار في ليلة فلما أنهى إلى العائشة أخذته النوم فاستحييت أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بني إذا طلبت شيئاً فاطلبه بالتقاعة ، فإنه من لا تقاعة له لم يفته المال . وقال حماد بن سلمة عن سمالك بن حرب عن مصعب بن سعد . قال : كان رأس أبي

في حجرى وهو يقضى فبكيت ، فقال : ما يبكيك يابنى ؟ والله إن الله لا يمدبني أبداً ، وإنى من أهل الجنة . إن الله يدين للمؤمنين بحسناتهم فاعملوا لله ، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له . وقال الزهرى : لما حضرت سعداً الوفاة دعا بخلق جبة فقال : كفنوني في هذه فأتى لقيت فيها المشركين يوم بدر ، وإنما خبأتها لهذا اليوم .

وكانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصلى عليه مروان ، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن بالبقيع . وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذى عليه الأكترون ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال على بن المدينى : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين وفاة ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدى : سنة خمسين ، وقال أبو معشر وأبو نعيم مغيث بن الحرر : توفى سعد سنة ثمان وخمسين ، زاد مغيث : وفيها توفى الحسن بن على وعائشة وأم سلمة ، والصحيح الأول - خمس وخمسين - قالوا وكان قصيراً غليظاً شثن الكفين أفطس أشعر الجسد ، يخبض بالسواد ، وكان ميراثه مائتى ألف وخمسين ألفاً

فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي

أول مشاهده أحد ، وشهد بيعة الرضوان ، ودخل الشام ، وتولى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء . قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين ، وقال ابن الجوزى في المنتظم : توفى في هذه السنة والله أعلم .

قثم بن العباس بن عبد المطلب

كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، تولى نيابة المدينة في أيام على ، وشهد فتح سمرقند فاستشهد بها .

كعب بن عمرو أبو اليسر

الأنصاري السلمي ، شهد العقبة وبدرآ ، وأسر يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . قال أبو حاتم وغيره : مات سنة خمس وخمسين ، زاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

وذلك في أيام معاوية ، ففيها شتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، ويقال فيها غزاه في البحر يزيد بن سمرة ، وفي البر عياض بن الحارث . وفيها اعتمر معاوية في رجب ، وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وفيها ولي معاوية سميد بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سميد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صفد سمرقند ، قتل

منهم خلقا كثيراً ، واستشهد معه جماعة منهم فيما قيل قثم بن العباس بن عبد المطلب . قال ابن جرير :
سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يوليّه خراسان فقال : إن بها عبيد الله بن زياد ، فقال :
أما لقد اصطنعتك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجزى إليه ولا يسمي ، فما شكرت
بلاءه ولا جازيته بالآلئ ، وقدمت على هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خير
منه أباً وأماً ونفساً . فقال له معاوية : أما بلاء أهلك عندي فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من
شكري لئلك أتى طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلام لنفسي في التشهير ، وأما فضل
أهلك على أبيه ، فأبوك والله خير مني وأقرب برسول الله (ص) ، وأما فضل أمك على أمه فما لا ينكر ،
فإن امرأة من قریش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن القوطة دحست
ليزيد رجالاً مثلك - يعني أن القوطة لو ملكت رجالاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحب
إلي منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظري في أمره ، وقد عتب
عليك في فأعته . فولاه حرب خراسان ، فأتى سمرقند فخرج إليه أهل الصغد من الترك فقاتلهم
وهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهناً خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ،
فأقام بالترمذ ولم يف لهم ، وجاء بالغلان الرهن معه إلى المدينة . وفيها دعا معاوية الناس إلى البيعة
ليزيد ولله أن يكون ولي عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبه .
فروى ابن جرير من طريق الشعبي أن المغيرة كان قد قدم على معاوية وأعفاه من إمرة الكوفة فأعفاه
لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلما بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجهأ إلى يزيد
ابن معاوية فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون ولي العهد ، فسأل ذلك من أبيه فقال : من أمرك
بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأعجب ذلك معاوية من المغيرة ورده إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى في ذلك ،
فصعد ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشير في ذلك ، فكره زياد
ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد ، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك ، وهو عبيد
ابن كعب بن النخعي - وكان صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلّمه
عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك ، فإن تركه خير له من السعي فيه ، فانجز يزيد عما يريد من
ذلك ، واجتمع بأبيه واتفقوا على ترك ذلك في هذا الوقت ، فلما مات زياد وكانت هذه السنة ، شرع
معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الأفاق بذلك ، فبايع له
الناس في سائر الأقاليم ، إلا عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن علي وعبد الله بن
الزبير وابن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى
كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهده بانمراده ، فكان من أشدهم عليه رداً وأجلدهم في الكلام ،

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان اليهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهر وا خلافا ، لما تهدم وتوعدهم ، فالتقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، ووفدت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس ، فأمره معاوية أن يحادث يزيد ، فجلسا ثم خرج الأحنف فقال له معاوية : ماذا رأيت من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف الله إن كذبنا ونخافكم إن صدقنا ، وأنت أعلم به في ليلة ونهار ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم به بما أردت ، وإنما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمة . وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهد للحسن بالأمر من بعده ، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهلا ، وذلك من شدة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية ، وسيا أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأهله ، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى ، ولهذا قال لعبد الله ابن عمر فيما خاطبه به : إني خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها راع ، فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلهم بإيعته ولو كان عبداً مجذوع الأطراف . وقد عاتب معاوية في ولايته يزيد ، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب منه أن يولييه مكانه ، وقال له سعيد فيما قال : إن أبي لم يزل معنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف ، وقد قدمت ولدك على وأنا خير منه أباً وأماً ونفساً . فقال له : أما ما ذكرت من إحسان أهلك إلى فانه أمر لا ينكر ، وأما كون أهلك خير من أبيه فحق وأملك قرشية وأمه كلبية فهي خير منها ، وأما كونك خيراً منه فوالله لو ملئت إلى الفوطة رجالاً مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم . وروينا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللهم إن كنت تعلم أنني وليته لانه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ما وليته ، وإن كنت وليته لأنني أحبه فلا تتم له ما وليته . وذكر الحافظ ابن عساكر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتكلم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً : فقال معاوية : وددت لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة ؟ فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فزوجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجيباً ذكياً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فخطبت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أم يزيد فكانت عنده في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأخرى ، إذ نظر إلى أم يزيد وهي تسرحه ، فقالت امرأته : قبحها الله وقبح ما تسرح . فقال : ولم ؟ فوالله إن ولدها أنجب من ولدك ، وإن أحببت بينت لك ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إن أمير المؤمنين قد عنّ له أن يطلق لك ما تتمناه عليه فاطلب مني ما شئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يطلق لي كلاباً للصيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصيد . فقال : قد أمرنا لك

بذلك ، تم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعينى أمير المؤمنين فى هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بذلك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون ولى عهده من بعده ، فانه بلغنى أن عدل يوم فى الرعية كعبادة خمسمائة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك ، ثم قال لامراته : كيف رأيت ؟ فعملت وتحققت فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزى فى هذه السنة وفاة أم حرام بنت ملحان الأنصارية امرأة عبادة بن عبادة بن الصامت ، والصحيح الذى لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين ، فى خلافة عثمان ، وكانت هى وزوجها مع معاوية حين دخل قبرص ، وقصتها بغلتها فماتت هناك وقبرها بقبرص ، والعجب أن ابن الجوزى أورد فى ترجمتها حديثها المخرج فى الصحيحين فى قيلولة النبی (س) فى بيتها ، ورواياه فى منامه قوماً من أمته يركبون ثبج البحر مثل الملوك على الأسيرة غزاة فى سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعوا الله أن يجعلنى منهم ، فقال « لا ! أنت من الأولين » وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم ، وذلك فى سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية ومعهم أبو أيوب ، وقد توفى هناك قبره قريب من سور قسطنطينية ، وقد ذكرنا هذا مقراراً فى دلائل النبوة

سنة سبع وخمسين

فيها كان مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم ، قال الواقدي : وفى شوالها عزل معاوية مروان ابن الحكم عن المدينة ، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وهو الذى حج بالناس فى هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله ابن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان . قال ابن الجوزى : وفيها توفى عثمان بن حنيف الأنصارى الأوسى ، وهو أخو عبادة وسهل ابني حنيف ، بعثه عمر لمساحة خراج السواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلما قدم طلحة والزبير صحبة عائشة وامتنع من تسليم دار الامارة ، تنفت لحينه وحواجبه وأشفار عينيه ومثل به ، فلما جاء على وسلمه البلد قال له : يا أمير المؤمنين فارتك ذا الحية واجتمعت بك أمرد ، فنبسم على رضى الله عنه وقال : لك أجر ذلك عند الله ، وله فى المسند والسنن حديث الأعمى الذى سأل رسول الله (س) أن يدعو له ليرد الله عليه ضوء بصره فرده الله عليه ، وله حديث آخر عند النسائى ، ولم أر أحداً أرخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزى والله أعلم

سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى أرض الروم ، قال الواقدي : وفيها قيل شتى يزيد بن شجرة فى البحر ، وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جنادة بن أبى أمية ، وقيل : إنما شتى بأرض الروم عمرو

ابن يزيد الجهني . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفيها ولي معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، ابن أم الحكم ، وأم الحكم هي أخت معاوية ، وعزل عنها الضحاك بن قيس ، فولى ابن أم الحكم على شرطته زائدة بن قدامة ، وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الواقعة حيان بن ضبيان السلمي ، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً ، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك ، فقال : لأولينك مصراً هو خير لك ، فولاه مصر ، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلعمري لاندعك تدخلها فتسير فيها وفيها سيرتك في إخواننا أهل الكوفة ، فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وافتدأ على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده أخته أم الحكم ، وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر ، فلما رآه معاوية قال : بخ بخ ، هذا معاوية بن خديج ، فقالت أم الحكم : لا مرحباً به ، تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، فقال معاوية بن خديج : على رسلك يا أم الحكم ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أتجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا أهل الكوفة ، فما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطأ منه رأسه ، - أو قال لضربنا ماصطاصاً منه - وإن كره ذلك الجالس - يعنى معاوية - فالتفت إليها معاوية فقال : كفى .

قصة غريبة

ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم بسنده ، وهو أن شاباً من بنى عذرة جرت له قصة مع ابن أم الحكم ، وملخصها أن معاوية بينما هو يوماً على السباط إذا شاب من بنى عذرة قد تمثل بين يديه فأنشده شعراً مضمونه التشوق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاوية واستحكاكه عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين إنى كنت مزوجاً بابنة عم لى ، وكان لى إبل وغنم ، وأنفقت ذلك عليها ، فلما قل ما يبدى رغب عنى أبوها وشكأنى إلى عاملك بالكوفة ، ابن أم الحكم ، وبلغه جمالها فحبسنى فى الحديد وحملنى على أن أطلقها ، فلما انقضت عدتها أعطاها عاملك عشرة آلاف درهم فزوجه إياها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فرج ؟ ثم بكى وأنشأ

يقول : فى القلب منى نارٌ * والنار فيها شرارٌ

والجسم منى نحل * واللون فيه اصفرارٌ

والعين تبكى بشجوى * فدمعها مدرارٌ

والحبُّ ذا عبر * فيه الطيبُ يحارٌ

حملت فيه عظيماً * فما عليه اضطبارُ

فليس ليلى بليل * ولا نهاري نهاري

قال : فرق له معاوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنبه على ذلك ويعيبه عليه ، ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلما جاءه كتاب معاوية تنفس الصعداء وقال : وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تحييه نفسه ، وجعل البريد الذي ورد عليه بالكتاب يستحثه ، فطلقها وأخرجها عنه وسيرها مع الوفد إلى معاوية ، فلما وقفت بين يديه رأى منظرًا جميلًا ، فلما استنطقها فاذا أفصح الناس وأحلام كلامًا ، وأكلمهم جمالًا ودلالًا ، فقال لابن عمها : يا أعرابي هل من سلوة عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول : -

لا تجمعكني والامثال تضرب بي * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعادتي خيرا مكتتب * يمسي ويصبح في هم وتذكر

قد شفه قلق مامله قلق * وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمسي وأحجاري

كيف السلو وقدهام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار ؟

فقال معاوية : فانا نخيرها بيني وبينك وبين ابن أم الحكم فأنشأت تقول : -

هذا وإن أصبح في إطار * وكان في نقص من اليسار

أحب عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار

قال : فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب وطاء ، ولما انقضت عدتها زوجها بها وسلمها إليه . حذفنا منها أشعاراً كثيرة مطولة .

وجرت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارما كأييه مقداما في أمرهم والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر من توفي فيها من الأعيان

توفي في هذا العام سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ، قتل أبوه يوم بدر كافرا ، قتله علي بن أبي طالب ، ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، وكان من سادات المسلمين والاجواد المشهورين ، وكان جده سعيد بن العاص - ويكنى بأبي أنجعة - رئيسا في قريش ، يقال له

ذو التاج ، لأنه كان إذا اعتم لا يعتم أحد يومئذ إعظاماً له ، وكان سعيد هذا من عمال عمر على السواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته ، وكان أشبه الناس لحية برسول الله (ص) ، وكان في جملة الاثنى عشر رجلاً ، الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه ، منهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عقبة ، فافتتح طبرستان وجرجان ، ونقض العهد أهل أذربيجان فغزاهم ففتحها ، فلما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه فعتب عليه فاعتذر إليه فعذره في كلام طويل جداً ، وولاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين مروان بن الحكم ، وكان سعيد هذا لا يسب علياً ، ومروان يسبه ، وروى عن النبي (ص) ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابنه عمرو بن سعيد الأشدق وأبو سعيد وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ، وليس له في المسند ولا في الكتب الستة شيء . وقد كان حسن السيرة ، جيد السيرة ، وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصبر الصبر فيضعها بين يدي المصلين من ذوى الحاجات في المسجد . قال ابن عساكر : وقد كانت له دار بدمشق تعرف بعده بدار نعيم ، وحمام نعيم ، بنواحي الديعاس ، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات ، وكان كريماً جواداً ممدحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سعيد الجعفي ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله (ص) قال : « خياركم في الاسلام خياركم في الجاهلية » وفي طريق الزبير بن بكار : حدثني رجل عن عبد العزيز بن أبان حدثني خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) ببرد . فقالت : إني نذرت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب ، فقال : « اعطه هذا الغلام » - يعني سعيد بن العاص - وهو واقف ، فلذلك سميت الثياب السعيدية وأنشد الرزدي قوله فيه

تري الفرّ الجحاجح من قرشي * إذا ما الخطب في الحدنان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد * كأنهم يرون به هلالاً

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرة وولاه سعيد بن أبي وقاص ، ثم عزله وولاه الوليد ابن عتبة ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تحمد سيرته فيهم ولم يحبوه ، ثم ركب مالك بن الحارث - وهو الأشتر النخعي - في جماعة إلى عثمان وسأله أن يعزل عنهم سعيداً فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة فبعثه إليهم ، وسبق الأشتر إلى الكوفة فخطب الناس وحثهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشتر في جيش بمنعوه من الدخول ، قيل تلقوه إلى العذيب ، - وقد نزل سعيد بالرعة - فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردّوه إلى عثمان ، وولى الأشتر أبا موسى

الأشعري على الصلاة والشعر وحديفة بن اليمان على الفئء ، فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك فأمضاه وسره ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لما ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلها ، ثم ولاه معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان فأقام سبعا ثم رد مروان . وقال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في تنفل إلى معاوية ، فلما فرغت من أموري قلت : يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة ، إما كريم قریش سعيد بن العاص ، وإما قتي قریش ، حياء ودهاء وسخاء ، عبد الله بن عامر ، وإما الحسن بن علي فرجل سيد كريم ، وإما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه عبد الله بن عمر ، وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ وزوغان الثعلب فعبد الله بن الزبير . وروينا أنه استسقى يوما في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من دار ماء فشرب . ثم بعد حين رأى ذلك يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك علي ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك . وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوصف بكرم ، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشئ ؟ فقال : ويحك ! لا تملقي وجهي ، فالتحت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالسا في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ؟ فسكت الرجل ، فقال سعيد للفلان : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبق غيري وغيرك ، فسكت ، فأطفا المصباح ثم قال له : رحمتك الله لست ترى وجهي فاذا ذكر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فائق وكيلي فلانا ، فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشئ فأت بمن يحمله معك ، فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال : حمليني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشئ يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقيق أوطام ، ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله ، ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فهما أعطاك فانه بقوتنا نخذه ، فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك ، فذهب الرجل ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للفلان : ضعوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك ، فانه ما بعث

مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها ، قال : فحسن حال ذلك الرجل .
 وذكر ابن عساكر أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالا وكتبا ذكر فيه
 أنه يخاطب إليه ابنته أم عثمان من أمنة بنت جبر بن عبد الله البجلي ، فلما وصلت الهدايا والأموال
 والكتاب قرأه ، ثم فرق الهدايا في جلسائه ، ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم !
 قال الله تعالى [كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى] والسلام : وروينا أن سعيدا خطب أم كلثوم
 بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابته إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها
 ذلك ، وفي رواية إنما كره ذلك الحزين . وأجاب الحسن ، فهيأت دارها ونصبت سريرا وتواعدوا
 للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجه منه ، فبعث إليها بمائة ألف ، وفي رواية بمائتي ألف
 مهرا ، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أخرج أمي فاطمة ، فترك التزويج
 وأطلق جميع ذلك المال لها . وقال ابن معين وعبد الأعلى بن حماد : سأل أعرابي سعيد بن العاص
 فأمر له بخمسمائة ، فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمائة درهم ، وإذا قد
 جاش في نفسك أنها دنابر فادفع إليه خمسمائة دينار ، فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي ، فقال له :
 مالك ؟ ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكى على الأرض كيف تأكل مثلك . وقال
 عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل في حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل : له عليك بالحسن
 ابن علي ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، أو عبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد فاذا
 سعيد داخل إليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصدته فذكر له ما أقدمه ، فتركه
 حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابي : إئت بمن يحمل معك ؟ فقال : وحك الله ! إنما
 سألتك مالا لا تمرا ، فقال : أعرف ، إئت بمن يحمل معك ؟ فأعطاه أربعين ألفا فأخذها الأعرابي
 وانصرف ولم يسأل غيره . وقال سعيد بن العاص لابنه : يا بني أجز الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من
 غير مسألة ، فأما إذا أفاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه ، أو جاءك مخاطرا لا يدرى أتعطيه أم تمنعه ،
 فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته . وقال سعيد : جليسي على ثلاث ، إذا دنا رجبت به ،
 وإذا جلس أوسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه . وقال أيضا : يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك
 ولا الدنيا قتهون عليه ، وفي رواية فيجترئ عليك . وخطب يوما فقال : من رزقه الله رزقا حسنا
 فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين ، إما مصلح فيسعد بما جمعت له وتخبب أنت ،
 والمصلح لا يقل عليه شيء ، وإما مفسد فلا يبقى له شيء . فقال أبو معاوية : جمع أبو عثمان طرف
 الكلام . وروى الأصمعي عن حكيم بن قيس . قال قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحي من
 رفقي فيهما والتأني عندهما ، مخاطبتي جاهلا أوسفيها ، وعند مسألتي حاجة لنفسي . ودخلت عليه

امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لاجعل الله لك إلى لثيم حاجة ، ولا زالت المنّة لك في أعناق السّكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه . وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثاً ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص - أخت مروان بن الحكم - ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه وقال لهم : لا يبقين أصحابي غير وجهي ، وصلوهم بما كنتم أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنتم أجرى عليهم ، واكفوهم مؤنة الطلب ، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه ، وارتعدت فرائضه مخافة أن يرد ، فوالله لرجل يتملص على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة ، منها أن يوفوا ما عليه من الدين والوعود ، وأن لا يزوجوا أخوانهم إلا من الألفاء ، وأن يسودوا أكرهم . فتكفل بذلك كله ابنه عمرو بن سعيد الأثدق ، فلما مات دفنّه بالبيع ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزاه فيه واسترجع معاوية وحزن عليه قال . س ترك من دين عليه ؟ قال : نعم ! قال : وكم هو ؟ قال : ثلثمائة ألف درهم ، وفي رواية ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال معاوية : هي على ! فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ، إنه أوصاني أن لا أفضي دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشتري منه معاوية أراضى بمبلغ الدين ، وسأل منه عمرو أن يحملها إلى المدينة فحملها له ، ثم شرع عمرو يقضي ما على أبيه من الدين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبي ؟ فقال الشاب : إنه كان يوماً يمشي وحده فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغني رقعة من أدم ، فذهبت إلى الجزارين فأتيته بهنّه فكتب لي فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء . فدفعت إليه عمرو ذلك المال وزاده شيئاً كثيراً ، ويروى أن معاوية قال لعمرو بن سعيد : من ترك مثلك لم يمت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ، ثم قال : قد مات من هو أكبر مني ومن هو أصغر مني ، وأنشد قول الشاعر

إذا سار من دون امرئ وأمامه * وأوحش من إخوانه فهو سائر

وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة .

شداد بن أوس بن ثابت

ابن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت . وحكى ابن منده عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدرًا . قال ابن منده وهو روم ، وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه تعلق على فراشه ويتقلب عليه ويتلو كما تتلوى الحية ويقول : اللهم إن خوف النار قد أقلقني ، ثم يقوم إلى صلاته . قال عبادة بن الصامت :

كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم . نزل شداد فلسطين وبيت المقدس ، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، وقيل : مات سنة أربع وستين ، وقيل سنة إحدى وأربعين . فإله أعلم

عبدالله بن عامر

ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبدشي ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد في حياة رسول الله (ص) ، وتغل في فيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله (ص) ، فقال : « إنه لمسقاء » ، فكان لا يخالج أرضاً إلا ظهر له الماء ، وكان كريماً ممدحاً ميمون النقيبة ، استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى ، وولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، وعمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، ففتح خراسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان وكرمان وبلاد غزنة ، وقتل كسرى ملك الملوك في أيامه — وهو يزدجرد — ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجة ، وقيل بعمره من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرق في أهل المدينة أموالاً كثيرة جزيلة ، وهو أول من لبس الخبز بالبصرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وهو أول من اتخذ الخياض بعرفة وأجرى إليها الماء المعين والعين ، ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق ، ولم يسمع له بذكر في صفين ، ولكن ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن ، وتوفي في هذه السنة بأرضه بعرفات ، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير . له حديث واحد ، وليس له في الكتب شيء ، روى مصعب الزبيري عن أبيه عن حنظلة بن قيس عن عبد الله ابن عامر أن رسول الله (ص) قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد زوجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلي خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوماً في المرأة فرأى صباحة وجهها وشيبة في لحية فطلقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوجه بشاب كأن وجهه ورقة مصحف . توفي في هذه السنة وقيل بعدها بسنة .

عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما

وهو أكبر ولد أبي بكر الصديق ، قاله الزبير بن بكار ، قال : وكانت فيه دعاية ، وأمه أم رومان ، وأم عائشة فهو شقيقها ، بارز يوم بدر وأخذ مع المشركين ، وأراد قتل أبيه أبي بكر ، فتقدم إليه أبوه أبو بكر فقال له رسول الله (ص) : « أمتعننا بنفسك » ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهدنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله (ص) . من خير كل سنة أربعين وسقاً ، وكان من سادات المسلمين ، وهو الذي دخل على رسول الله (ص) يوم مات وعائشة مسندته إلى صدرها ، ومع عبد الرحمن سواك رطب فأخذ به بصره ، فأخذت عائشة ذلك السواك فقضته وطيبته ، ثم دفعته إلى

رسول الله (ص) فاستن به أحسن استئنان ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلى » . ثم قضى . قالت :
 لجمع الله بين رفيق ورفيقه ، ومات بين سحري ونحري ، في بيتي ويومي لم أنظم فيه أحداً .
 وقد شهد عبد الرحمن فتح البصرة وقتل يومئذ سبعة ، وهو الذي قتل محم بن الطفيل . صديق مسيلة
 على باطله - كان محم واقفاً في ثلثة حائط فرماه عبد الرحمن فسقط محم ، فدخل المسلمون من الثلثة
 فخلصوا إلى مسيلة فقتلوه . وقد شهد فتح الشام ، وكان معظماً بين أهل الاسلام ونقل ليلي بنت
 الجودي ملك عرب الشام ، فله إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سند كره مفصلاً .
 وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي
 بكر - ولم يجرب عليه كذبة قط - ذكر عنه حكاية أنه لما جاءتبيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة ،
 قال عبد الرحمن لمرؤان : جعلتموها والله هرقلية وكسروية - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من
 ولده - فقال له مروان : اسكت فانك أنت الذي أنزل الله فيك [والذي قال لوالديه أف لكما
 أتعذاني أن أخرج] فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن ، إلا أنه أنزل عندي ،
 وروى أنها بعثت إلى مروان تعبه وتؤنبه وتخبره بخبر فيه ذم له ولأبيه لا يصح عنها ، قال الزبير
 ابن بكار : حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه عن جده . قال : بعث معاوية
 إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبي البيعة يزيد بن معاوية ، فردها عبد الرحمن
 وأبى أن يأخذها ، وقال : أبيع ديني بدنياي ؟ وخرج إلى مكة فمات بها . وقال أبو زرعة الدمشقي :
 ثنا أبو مسهر ثنا مالك قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة فأمها . ورواه أبو مصعب عن
 مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأعتقت عنه عائشة رقاباً . ورواه الثوري عن يحيى بن سعيد
 عن القاسم فذكره . ولما توفي كانت وفاته بمكان يقال له الحبشي - على ستة أميال من مكة ، وقيل
 اثني عشر ميلاً - فحمله الرجال على أعناقهم حتى دفن بأعلام مكة ، فلما قدمت عائشة مكة زارته
 وقالت : أما والله لو شهدتك لم أبك عليك ، ولو كنت عندك لم أنفلك من موضعك الذي مت فيه ،
 ثم تمثلت لشعر متم بن نويرة في أخيه مالك : -

وَكُنَّا كُنْدَ مَانِي جَذِيمةَ بَرَهةَ * مَنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيلَ لَنْ يَنْصَدَعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكُ * لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

رواه الترمذي وغيره . وروى ابن سعد أن ابن عمر مرة رأى فسطاطاً مضروباً على قبر
 عبد الرحمن - ضربته عائشة بعد ما ارتحلت - فأمر ابن عمر بنزعه وقال : إنما يظله عمله . وكانت
 وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال إن عبد الرحمن توفي سنة ثلاث وخمسين
 فله الواقدي وكتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل سنة أربع وخمسين فله أعلم .

قصته مع ليلي بنت الجودي ملك عرب الشام

قال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قدم الشام في تجارة - يعني في زمان جاهليته - فرأى امرأة يقال لها ليلي ابنة الجودي على طنفسة لها وحولها ولاءدها فأعجبته ، قال ابن عساکر : رآها بأرض بصرى فقال فيها :

تذكرتُ ليلي والسمواة دونها * فقال ابنة الجودي ليلي وماليا

وإني تعاطى قلبه حارثية * تؤمن بصرى أو تحمل الحوايبا

وإني بلا قهبا بلى ولعلها * إن الناس حجوا قابلا أن توافيا

قال : فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إن ظفرت بليلى بنت الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها فدفعتها إليه فأعجب بها وآثرها على نسائه حتى جعلن يشكونها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأني أُرشف بأنبيائها حب الرمان ، فأصابها وجع سقط له فوها فجفاها حتى شكته إلى عائشة ، فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحبيت ليلي فأفرت ، وأبفضتها فأفرت ، فاما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها . قال الزبيرى : وحدثني عبد الله بن نافع عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : إن عمر بن الخطاب نقل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلي بنت الجودي حين فتح دمشق ، وكانت ابنة ملك دمشق - يعني ابنة ملك العرب الذين حول دمشق - والله أعلم .

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب

القرشي الهاشمي ابن عم النبي (سـ) ، وكان أصغر من أخيه عبيد الله بسنة ، وأمها أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكان عبيد الله كريما جميلا وسيما يشبه أباه في الجمال ، روي أن رسول الله (سـ) « كان يصف عبيد الله وعبيد الله وكثيراً صفناً ويقول : من سبق إلى قله كذا ، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم » . وقد استنابه على بن أبي طالب في أيام خلافته على اليمن . وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن سمرة الزهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شعبة بن عثمان الحجي ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت الشوكة لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أرتاة فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها . وكان يقدم هو وأخوه عبيد الله المدينة فيوسعهم عبد الله علما ، ويوسعهم عبيد الله كرما . وقد روى أنه نزل في مسير له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب ، فلما رآه الأعرابي أعظمه وأجله ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته : ويحك ماذا عندك لضيقتنا هذا ؟ فقالت : ليس عندنا إلا هذه الشويبة التي حياة ابنتك من لبنها ،

فقال : إنه لابد من ذبحها ، فقالت : أقتل ابنتك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها
ويسلخها وهو يقول مرتجراً :

يا جارتى لا توقظى البنية * إن توقظيها تنتحب عليه * وتزرع الشفرة من يديه
ثم هيأها طعاماً فوضعها بين يدي عبيد الله ومولاه فعشاهما ، وكان عبيد الله قد سمع محاورته
لامراته في الشاة ، فلما أراد الارتحال قال لمولاه : ويلك ماذا معك من المال ؟ فقال : معى خمسمائة
دينار فضلت من نفقتك ، فقال : ادفعتها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمائة دينار
وإنما ذبح لك شاة واحدة تساوى خمسة دراهم ؟ فقال : ويحك والله هو أسخى منا وأجود ، لانا إنما
أعطيناه بعض مائلك ، وجاد هو علينا بجميع ما يملك ، وآثرنا على مهجة نفسه وولده . فبلغ ذلك
معاوية فقال : لله در عبيد الله ، من أى بيضة خرج ؟ . ومن أى شئ درج . قال خليفة بن خياط :
توفى سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفى في أيام يزيد بن معاوية ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام :
توفى في سنة سبع وثمانين ، وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل باليمن ، وله حديث واحد ، قال أحمد : ثنا
هشيم ثنا يحيى بن إسحاق عن سليمان بن يسار عن عبيد الله بن عباس قال : جاءت العيصا - أو
الرميصا - إلى رسول الله (ص) ، تشكو زوجها تزعم أنه لا يصل إليها ، فما كان إلا يسيراً حتى جاء
زوجها فزعم أنها كاذبة ، وأنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول ، فقال رسول الله (ص) : « ليس
لك ذلك حتى يذوق عسيلتك رجل غيره » وأخرجه النسائي عن علي بن حجر عن هشيم به . ومن
توفى فيها

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق

وزوجة رسول الله (ص) ، وأحب أزواجه إليه ، المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها ،
وعن أبيها . وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، تكنى عائشة بأُم عبد الله ، قيل
كانها بذلك رسول الله (ص) ، وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير ، وقيل إنها أسقطت من رسول الله
سقطاً فسماه عبد الله ، ولم يتزوج رسول الله (ص) بكراً غيرها ، ولم ينزل عليه الوحي في
لحاف امرأه غيرها ، ولم يكن في أزواجه أحب إليه منها ، تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة ، وقد أتاه
الملاك بها في المنام في سرقة من حريرة ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقول : هذه زوجتك . قال : « فأكشف
عنك فإذا هي أنت ، فأقول ، إن يكن هذا من عند الله يمضه ، فخطبها من أبيها فقال : يا رسول الله
أوتحل لك ؟ قال : نعم ! قال : أو لست أخوك ؟ قال : بلى في الإسلام ، وهى لى حلال ، فتزوجها
رسول الله (ص) ، فحضيت عنده . وقد قدمنا ذلك في أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ،
وقيل بسنة ونصف ، وقيل بثلاث سنين ، وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ثم دخل بها وهى بنت
تسع سنين بعد بدر ، في شوال من سنة ثنتين من الهجرة فأحبها . ولما تكلم فيها أهل الافك بالزور

والبهتان ، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تنلى على تماقب الزمان . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سلف ، وشرحنا الآيات والأحاديث الواردة في ذلك في غزوة المريسيع ، وبسطنا ذلك أيضاً في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومقنع ، والله الحمد والمنة . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها ، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين ، هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قولين ، وأصحهما أنه يكفر ، لأن المقذوفة زوجة رسول الله (س) ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله (س) ، فهي وغيرها ممن سوا . ومن خصائصها رضي الله عنها أنها كان لها في القسم يومان يومها ويوم سودة حين وهبتها ذلك تقرباً إلى رسول الله (س) ، وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سحرها ونحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن في بيتها . وقد قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب بن إسحاق ابن طلحة عن عائشة عن النبي (س) قال : « إنه ليهون على أنى رأيت بياض كف عائشة في الجنة » تفرد به أحمد . وهذا في غاية ما يكون من المحبة العظيمة أنه يرتاح لأنه رأى بياض كفها أمامه في الجنة . ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي (س) ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة . وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بقره ولا طب ولا شعر من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله (س) من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها ، وقال أبو موسى الأشعري : « ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط فسالنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » . رواه الترمذي ، وقال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكبر يسألونها عن الفرائض . فأما ما يلهج به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الاسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزني فقال : لا أصل له . ثم لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة . وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها ، وانفردت باختيارات أيضاً وردت أخبار بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة ، فمن ذلك قال الشعبي : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات . وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي عثمان النهدي عن عمرو بن العاص . قال : « قلت يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها » وفي صحيح البخاري أيضاً عن أبي موسى قال قال رسول الله (س) : « كل

من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة
فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استدل كثير من العلماء من
ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث ، قال : « فانه دخل فيه سائر النساء الثلاث
المدكورات وغيرهن ، وبعض ذلك أيضا الحديث الذي رواه البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل
ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد -
أخت خديجة - على رسول الله (ص) ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة ، قالت
عائشة : ففرت وقلت : ماتدكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين هلكت في الدهر الأول ،
قد أبدلك الله خيرا منها ؟ » هكذا رواه البخاري ، فأما ما يروى فيه من اريادة : « والله ما أبدلني
خيرا منها » فليس يصح سندها . وقد ذكرنا ذلك مطولا عند وفاة خديجة ، وذكرنا حجة من ذهب
إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته هنا . وروى البخاري عن عائشة أن النبي (ص) قال
يوماً : « يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا
أرى » وثبت في صحيح البخاري أن الناس كانوا يتحرون بهديايم يوم عائشة ، فاجتمع أزواجه إلى
أم سلمة وقلن لها : قولي له يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان ، فقالت أم سلمة : فلما دخل عليّ
قلت له ذلك فأعرض عني ، ثم قلن لها ذلك فقالت له فأعرض عنها ، ثم لما دار إليها قالت له فقال :
يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فانه والله ما نزل عليّ الوحي في بيت وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها »
وذكر أنهم بعثن فاطمة ابنته إليه فقالت : « إن نساءك ينشدونك العدل في ابنة أبي بكر بن أبي
قحافة ، فقال : يا بنية ألا تحبين من أحب ؟ قالت : قلت بلى ! قال : فأحبي هذه . ثم بعثن زينب
بنت جحش فدخلت على رسول الله (ص) ، وعنده عائشة فحكمت زينب وقالت من عائشة ،
فانتصرت عائشة منها وكلتها حتى ألحمتها ، فجعل رسول الله (ص) ينظر إلى عائشة ويقول : « إنها
ابنة أبي بكر » ، وذكرنا أن عماراً لما جاء يستسرخ الناس ويستنفرهم إلى قتال طلحة والزبير أيلم
الجل ، صعد هو والحسن بن عليّ على منبر الكوفة ، فسمع عمار رجلا ينال من عائشة فقال له :
اسكت مقبوحا منبوذا ، والله إنها لزوجة رسول الله (ص) ، في الدنيا وفي الآخرة ، ولكن الله ابتلاكم
ليعلم إياه تطيعون أو إياها . وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة ثنا عبد الله بن خنيم
حدثني عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكر أن - حاجب عائشة - أنه جاء عبد الله بن عباس
يستأذن على عائشة فجئت - وعند رأسها عبد الله بن أخيها عبد الرحمن - فقلت : هذا ابن عباس
يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن - وهي تموت -
فقلت : دعني من ابن عباس ، فقال : يا أمه ! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك

ويودعك ، قالت : ائذن له إن شئت ، قال فأدخلته . فلما جلس قال : أبشرى فقالت : بماذا ؟ قال : ما بينك وبين أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، وكنت أحب نساء رسول الله (ص) ، إليه ، ولم يكن رسول الله (ص) يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأبرياء فأصبح رسول الله (ص) وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فكان ذلك في سبيلك ، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا ينلى فيه آناء الليل وآناء النهار ، قالت : دعنى منك يا ابن عباس ، والذى نفسى بيده لوددت أنى كنت نسياً منسياً . والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة جداً . وقد كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين ، وقيل قبله بسنة ، وقيل بعده بسنة ، والمشهور في رمضان منه وقيل في شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان ، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً ، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر ، ونزل في قبرها خمسة ، وهم عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، من أختها أسماء بنت أبي بكر ، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة ، لأنه توفي رسول الله (ص) وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين ، فآله أعلم ورضى الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها شتى عمرو بن مرة الجهني في أرض الروم في البر ، قاله الواقدي ، ولم يكن فيها غزو في البحر ، وقال غيره : بل غزا في البحر عامئذ جنادة بن أبي أمية . وفيها عزل معاوية ابن أم الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم ، وولى عليهم النعمان بن بشير . وفيها ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد ولاية خراسان وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفان ، فصار عبد الله على البصرة ، وأخوه عبد الرحمن هذا على خراسان ، وعباد بن زياد على سجستان ، ولم يزل عبد الرحمن عليها والياً إلى زمن يزيد ، فقدم عليه بعد مقتل الحسين فقال له : كم قدمت به من هذا المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له : إن شئت حاسبناك ، وإن شئت سوغناكها وعزلناك عنها ، على أن تعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، قال : بل سوغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأعطيه ماقلت ومثلها معها ، فعزله وولى غيره ، وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من جهة أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف من قبلى . وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف أهل البصرة والعراق ، فاستأذن لهم عبد الله عليه على منازلهم منه ، وكان آخر من أدخله على معاوية الأحنف بن قيس ، - ولم يكن عبيد الله يحله - فلما رأى معاوية الأحنف رحب به

وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير، ورفع منزلته، ثم تكلم القوم فأتوا على عبيد الله والأخنف ساكت، فقال له معاوية: مالك يا أبا بجر لا تتكلم؟ فقال له: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا والياً ترضونه، فحكشوا أياماً يترددون إلى أشراف بني أمية، يسألون كل واحد أن يتولى عليهم فلم يقبل أحد منهم ذلك، ثم جمعهم معاوية فقال: من اخترتم؟ فاختلفوا عليه، والأخنف ساكت، فقال له معاوية: مالك لا تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فرأيتك فقال معاوية: قد أعدته إليكم. وقال ابن جرير: قال الأخنف: يا أمير المؤمنين إن وليت علينا من أهل بيتك فانا لانعدل بعبيد الله بن زياد أحداً، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك. فقال معاوية: قد أعدته إليكم. ثم إن معاوية أوصى عبيد الله ابن زياد بالأخنف خيراً، وقبح رأيه فيه وفي مبادئه، فكان الأخنف بعد ذلك أخص أصحاب عبيد الله، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأخنف بن قيس، والله أعلم.

قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله وعباد

ذكر ابن جرير عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن هذا الرجل كان شاعراً، وكان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، وضاق على الناس علف اللواب، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال: -

ألا ليت الله كانت حشيشاً * فنعلفها خيول المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً، فبلغه ذلك فغضب وتطلبه فهرب منه وقال فيه قصائد يهجو بها كثيرة فمن ذلك قوله: -

إذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قبك بانصداع
فأشهد أن أملك لم تباشر * أبا سفيان واضمة القناع
ولكن كان أمراً فيه لبس * على خوف شديد رارتباع

وقال أيضاً: -

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلفة من الرجل البماني
أنقض أن يقال أبوك عفا * وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحك من زياد * كرحم الفيل من ولد الأنان

فكتب عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه في قتله، فقال: لا تقتله، ولكن أدبه ولا تبلغ به القتل، فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استنصره وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد، وهو المنذر بن الجارود، وكانت

ابنته بحرية عند عبيد الله ، فأجبره وآواه إلى داره ، وجاء الجارود مسلماً على عبيد الله ، وبعث عبيد الله الشرط إلى دار المنذر فجاءوا بـ ابن مفرغ فأوقف بين يديه ، فقال المنذر : إني قد أجرته ، قال : يمدحك ويمدح أباك فترضى عنه ، ويهجوني ويهجو أبي ثم تجيره على ، ثم أمر عبيد الله بـ ابن مفرغ فسقى دواء مسهلاً وحملوه على حمار عليه إكاف وجعلوا يطوفون به في الأسواق وهو يسلمح والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنفى إلى سجستان إلى عند أخيه عباد ، فقال ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد : -
 يغسل الماء ما صنعت وقول * راسخ منك في العظام البوالى

فلما أمر عبيد الله بنى ابن مفرغ إلى سجستان ، كلم اليمانيون معاوية في أمر ابن مفرغ ، وأنه إنما بعثه إلى أخيه ليقته ، فبعث معاوية إلى ابن مفرغ وأحضره ، فلما وقف بين يديه بكى وشكى إلى معاوية مافضل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوته ، أأنت القاتل كذا ؟ أأنت القاتل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً ، وذكر أن القاتل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان ، وأحب أن يسندها إلى ، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنعه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد ، وأنشد ابن مفرغ ماقاله في الطريق في معاوية يخاطب راحلته : -

عسى ما لعباد عليك إمارة * فنجوت وهذا تحملي طليق
 لعمرى لقد نجاك من هوة الردى * إمام وجبل للأنام وثيق
 سأشكر ما أوليت من حسن نعمة * ومثل بشكر المنعمين حقيق

قال له معاوية : أما لو كنا نحن الذين هجوتنا لم يكن من أذانا شيء يصل إليك ، ولم تتعرض لتلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ارتكب في ما لم يرتكب مسلم من مسلم على غير حدث ولا جرم ، قال : أأنت القاتل كذا ؟ أأنت القاتل كذا ؟ فقد عفونا عن جرمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تعامل أحداً إلا بالحسن ، وانظر لنفسك أى البلاد أحب إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختار الموصل فأرسله إليها ، ثم استأذن عبيد الله في القدوم إلى البصرة والمقام بها فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عبيد الله فاسترضاه فرضى عنه وأنشده عبد الرحمن : -

لأنت زيادة في آل حرب * أحب إلى من إحدى بناني
 أراك أخاً وعماً وابن عم * فلا أدري بغيبي ما ترائي

فقال له عبيد الله : أراك والله شاعر سوء ، ثم رضى عنه وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وكان نائب المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وقاضها شريم ، وعلى البصرة

عبيد الله بن زياد ، وعلى سجستان عباد بن زياد ، وعلى كرمان شريك بن الأعور الحارثي ، من قبل عبيد الله بن زياد .

من توفي في هذه السنة من الأعيان

قال ابن الجوزي : توفي فيها أسامة بن زيد ، والصحيح قبلها كما تقدم .

الخطيئة الشاعر

واسمه جرول بن مالك بن جرول بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيسى ابن مليكة ، الشاعر الملقب بالخطيئة لقصره ، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن الصديق ، وكان كثير الهجاء حتى يقال إنه هجا أباه وأمه ، وخاله وعمه ، ونفسه وعمره ، فما قال في أمه قوله : -

تنحى فاقمدي عني بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا * وكانوا على المتحدثينا
جزاك الله شرا من عجوز * ولقائك العقوق من البينا

وقال في أبيه وعمه وخاله : -

لحاك الله نَمَّ لحاك حقا * أبأ ولحاك من عمٍ وخالٍ
فنعَم الشيخ أنت لدى المخازي * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
ومما قال في نفسه ينمها : -

أبت شفتاي اليوم أن تتكلما * بشر فما أدري لمن أنا قائله ؟
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضره وجبسه ، وكان سبب ذلك أن الزبرقان ابن بدر شكاه لعمر أنه قال له يهجو : -

دع المسكارم لا نرحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر : ما أراه هجاك ، أما رضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا ، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هجاء ولكن سلح عليه ، فعند ذلك حبسه عمر وقال : يا خبيث لا شغلنك عن أعراض المسلمين ، ثم شفع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه ، ويقال إنه أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقه ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحرامى عن عبد الله بن مصعب حدثني عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أمر عمر باخراج الخطيئة من الحبس وقد كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول : -

ماذا تقول لافراخ بنى مرح * زعب الحواصل لاماء ولا شجر
 غادرت كاسبهم في قعر مظلة * فارحم هداك ملك الناس يا عمر
 أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقى إليك مقاليد النهى البشر
 لم يوثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الاثر
 فامنن على صبية بالرمل مسكنهم * بين الأباطح يغشاهم بها القدر
 نفسى فداؤك كم بينى وبينهم * من عرض وادية يعى بها الخبر

قال : فلما قال الخطيئة : ماذا تقول الافراخ بنى مرح ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص :
 ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الخطيئة . ثم ذكروا أنه أراد
 قطع لسان الخطيئة لئلا يهجو به الناس فأجلسه على كرسى وجى بالموسى ، فقال الناس : لا يعود
 يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه قل : لا أعود ، فقال له عمر النجا ، فلما ولى قال له عمر : ارجع يا خطيئة ،
 فرجع فقال له : كأني بك عند شاب من قريش قد كسر لك نمرقة ، وبسط لك أخرى ، وقال :
 يا خطيئة غننا ، فاندفعت تنفيه بأعراض الناس ، قال أسلم : فرأيت الخطيئة بعد ذلك عند عبيد الله
 ابن عمر وقد كسر له نمرقة وبسط له أخرى ، وقال : يا خطيئة غننا فاندفع خطيئة يغنى ، فقلت له :
 يا خطيئة أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ ففزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حياً ما فعلنا
 هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل ، وقال الزبير :
 حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال عمر للخطيئة : دع قول الشعر . قال لا أستطيع ، قال : لم ؟
 قال : هو مأكلة عيالي ، وعلة لساني ، قال : فدع المدحة المحمفة ، قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال
 تقول بنو فلان أفضل من بنى فلان ، امدح ولا تفضل ، فقال : أنت أشعر منى يا أمير المؤمنين . ومن
 مدبجه الجيد المشهور قوله :

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم * من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
 أولئك قومي إن بنوا أحسنوا البنا * وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها * وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 قالوا : ولما احتضر الخطيئة قيل له أوص قال أوصيكم بالشعر ، ثم قال :
 الشعر صعب وطويل سلمة * إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
 زلت به إلى الخضيض قدمه * والشعر لا يستطيعه من يظلمه
 أراد أن يعر به فأعجمه

قال أبو الفرج ابن الجوزى فى المنتظم : توفى الخطيئة فى هذه السنة ، وذكر أيضا فيها وفاة

عبد الله بن عامر بن كريز، وقد تقدم في التي قبلها .

عبد الله بن مالك بن القشب

واسمه جندب بن نضلة بن بجيد الله بن رافع الأزدي ، أبو محمد حليف بني عبد المطلب ، المعروف بابن بجينة ، وهي أمه بجينة بذت الأرت ، واسمه الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أسلم قديماً ، وصحب رسول الله .س. ، وكان ناسكاً قواماً صواماً ، وكان ممن يسرد صوم الدهر كله ، قال ابن سعد : كان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة ، ومات في عمل مروان في المرة الثانية ، مابين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين ، والمعجب أن ابن الجوزي نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة - يعني سنة تسع وخمسين فآله أعلم

قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي

صحابي جليل كآبيه ، له في الصحيحين حديث ، وهو القيام للجنابة ، وله في المسند حديث في صوم عاشوراء ، وحديث غسل رسول الله .س. في دارهم وغير ذلك ، وخدم رسول الله .س. عشر سنين ، وثبت في صحيح البخاري عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي .س. بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وحمل لواء رسول الله .س. في بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة ، ولما بعث رسول الله .س. أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوا منها ، وأقاموا عليها شهراً حتى سمحوا ، وكان قيس سيداً مطاعاً كريماً ممدحاً شجاعاً ، ولله على نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمر بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [على] عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، فاستخفه معاوية ، ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند علي فشهد معه صفين والنهر وإن ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبيأه كما يبيعه أصحابه ، قال عبد الرزاق عن ابن عيينة قال قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية : وأنت يا قيس تلجم على مع من أجم ؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظفاري موجه ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية ، فقال له معاوية : ولم ؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار اليهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلت في الإسلام كارهاً ، وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مديك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت . زدت وزدت . وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية !! املأوا بيتها خبزاً ولحماً وخبزاً وتمراً .

وقال غيره : كانت له صحيفة يدار بها حيث دار ، وكان ينادى له مناد : هلموا إلى اللحم والثريد . وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله ، وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده ، فقال لزوجته - قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق - إنى أرى قلة من عادنى فى مرضى هذا ، وإنى لأرى ذلك من أجل مالى على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين بصكه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم ، وقيل : إنه أمر مناديه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه فى حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد ، وكان يقول : اللهم ارزقنى مالا وفعالا ، فانه لا يصلح الفعال إلا بالمال . وقال سفيان الثورى : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فترجع فيه . وقال الهيثم بن عدى : اختلف ثلاثة عند الكعبة فى أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عرابة الأوسى ، فماروا فى ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذى يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله فى الغرر ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله من الغرر وقال : ضع رجلك واستو عليها فهى لك بما عليها ، وخذما فى الحقيبة ولا تحدد عن عن السيف فانه من سيوف على ، فرجع إلى أصحابه بناقعة عظيمة وإذا فى الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف من خز وغير ذلك ، وأجل ذلك سيف على بن أبى طالب . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : فحاجتك أيسر من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار مافى دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا فى معاطن الأبل فخذلك ناقعة وعبدا ، واذهب راشدا . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعنتها شكرياً على صنيعها ذلك ، وقال : هلا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً ، فلعل الذى أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبيد له - وكان قد كف بصره - فقال له : يا عرابة ، فقال : قل ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فخلى عن العبدين ثم صفق بيديه ، بالمنى على اليسرى ، ثم قال أوّه أوّه ، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبدين ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذهما فهما حران ، فان شئت فأعنتى ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده ، قال : فأخذهما وجاء

بهما إلى صاحبيه ، قال فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن ذلك ليس بمستنكر له ، إلا أن السيف أجلبها . وأن قيسا أحد الأجواد حكم مملوكته في ماله بغير علمه واستحسن فعلها وعنتها شكرا لها على ما فعلت ، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عراة الأوسى ، لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك جهد من مقل . وقال سفیان الثوري عن عمرو عن أبي صالح قال : قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فأتى بها ، فولد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس ابن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حملا ، فاقسموا له معكم ، فقال قيس : إني لا أغير ما فعله سعد ولكن نصيب له . ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين فذكره . ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عطاء فذكره . وقال ابن أبي خيثمة : ثنا أبو نعيم ثنا مسعر عن معبد بن خالد . قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعا أصبعه المسبحة - يعني يدعو - وقال هشام بن عمار : ثنا الجراح بن مليح ثنا أبو رافع عن قيس بن سعد . قال : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسكر والخدعة في النار » : لكنت من أمكر هذه الأمة . وقال الزهري : دهات العرب حين ثارت الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بديل وكانا مع علي ، وكان المغيرة معتزلا بالطائف حتى حكم الخصان فصارا إلى معاوية . وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ، فأقره عليها على مدة يسيرة ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فنقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتبا له ليكون معهما على علي فامتنع وأظهر للناس مناصحته لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك عليا فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النخعي فأتى فأتى الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث على محمد بن أبي بكر فخفف أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذوا منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم سار إلى علي بن أبي طالب إلى العراق ، فكان معه في حروبه حتى قتل علي ، ثم كان مع الحسن ابن علي حين سار إلى معاوية ليقاتله ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيسا ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما ، وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدمه وحظي عنده ، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعت إلى بسراويل أطول رجل في العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلا قد احتجنا إلا سراريلك ؟ - وكان قيس مديد القامة جدا لا يصل أطول الرجال إلى صدره - فقام قيس فتنحى ثم خلع سراويله

فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك :-
 أردتُ بها كي يعلم الناس أنها * سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ
 وأن لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذِهِ * سراويلُ غادى سَمَدُ ونمودُ
 وإني من الحَيِّ اليماني لسيدة * وما الناس إلا سيدٌ ومسودُ
 فكدم بمنلى إن مثلى عليهم * شديدةٌ وخلقى فى الرجالِ مديدُ
 وفضلنى فى الناسِ أصلٌ ووالدٌ * وباعَ بهِ أعلو الرجالِ مديدُ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض ، وفي رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والاخر أطول الروم فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوة هذا وطول هذا ؟ فان كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ، ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوى ؟ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين ، إما محمد بن الحنفية ، أو عبد الله بن الزبير ، فحجى بمحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيم أرسلت إليك ؟ قال : لا ! فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلس لي أو أجلس إليك وتناولني يدك أو أتأولك يدي ، فأبىنا قدر على أن يقيم للآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد ؟ تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقمعه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلا ، فغلب الرومي : عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب ، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي اجلس لي ، فجلس وأعطى محمداً يده فقام معه أن أقامه سريعاً ، وورقه في الهواء . ثم ألقاه على الأرض فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً ، ونهض قيس بن سعد ففتح عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهم لذلك الرومي الطويل فلبسها فبلغت إلى تديسه وأطرافها تخط بالأرض ، فاعترف الرومي بالقلب ، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية ، وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس فقال : ذلك الشعر المتقدم معتزلاً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجة التي تقوم على الروم ، وأقطع لما حاولوه . ورواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً صغير الرأس لهحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خبط رجلاه بالأرض ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك .

معقل بن يسار المزني

صحابي جليل ، شهد الحديبية ، وكان هو الذي كان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله (س) ، وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السمر ، وهي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وقد ولاه عمر إمرة البصرة ففخر بها النهر المنسوب إليه ، فيقال نهر معقل ، وله بها دار ، قال الحسن البصري : دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله (س) ، ولم أكن على حالتي هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « من استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » . ومن توفي في هذه السنة

أبو هريرة النوسي رضي الله عنه

وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والاسلام ، واسم أبيه على أقوال متعددة ، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا التكميل ، وقد بسط ذلك ابن عساكر في تاريخه ، والأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو من الأزد ، ثم من دوس . ويقال : كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، وقيل عبد نهم ، وقيل عبد غم ، ويكنى بأبي الأسود ، فسماه رسول الله (س) ، عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وكناه بأبي هريرة ، وروى عنه أنه قال : وجدت هريرة وحشية فأخنت أولادها فقال لي أبي : ماهذه في حجري ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة . وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) قال له : « أبا هريرة » وثبت أنه قال له : « يا أبا هريرة » قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطبراني : اسم أمه ميمونة بنت صفيح بن الحارث بن أبي صعب بن هبة بن سعد بن ثعلبة ، أسلمت وماتت مسلمة . وروى أبو هريرة عن رسول الله (س) الكثير الطيب ، وكان من حفاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، ونضرة بن أبي نضرة ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحبار ، وعائشة أم المؤمنين . وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في التكميل ، كما ذكره شيخنا في تهذيبه . قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال عمرو بن علي الفلاس : كان ينزل المدينة وكان إسلامه سنة خير : قال الواقدي : وكان بنو الخليفة له دار ، وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا طفرتين ، أقرن الثنيتين . وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد : أبا هريرة ، خلة ، خالد بن دينار عن أبي العالية عن أبي هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله (س) . « ممن أنت ؟ قلت : من دوس ، فوضع يده على جبهته وقال : ما كنت أرى أن في دوس رجلا فيه خير » وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله (س) ، خير ، وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن

إسماعيل عن قيس . قال قال أبو هريرة : جئت يوم خيبر بعد ما فرغوا من القتال . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن أبي مرزوق ثنا الدراوردي . قال : حدثني خيثم عن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول الله (ص) واستخلف على المدينة سباع بن عرفة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة فهاجروا فصليت الصبح وراء سباع فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم ، وفي الثانية ويل للمطففين ، قال أبو هريرة : فقلت في نفسي : ويل لأبي فلان ، لرجل كان بأرض الأزد . وكان له مكيالان مكيال يكيل به لنفسه ، ومكيال يبخس به الناس » . وقد ثبت في صحيح البخاري أنه ضل غلام له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها رسول الله (ص) ، وأنه جعل ينشد .

يالية من طولها وعنائها على أنها من دائرة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله (ص) قال له : « هذا غلامك » ؟ فقال هو حر لوجه الله عز وجل . وقد لزم أبو هريرة رسول الله (ص) بعد إسلامه ، فلم يفارقه في حضر ولا سفر ، وكان أحرص شيء على سماع الحديث منه ، وتفقه عنه ، وكان يلزمه على شبع بطنه . وقال أبو هريرة - وقد تمخض يوماً في قميص له كتان - بخ بخ ، أبو هريرة يتمخض في الكتان ، لقد رأيتني آخر فيما بين المنبر والحجر من الجوع ، فيمر المار فيقول : به جنون وما بي إلا الجوع ، والله الذي لا إله إلا هو لقد كنت أعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد كنت أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه ، وما بي إلا أن يستبغني إلى منزله فيطعمني شيئاً ، وذكر حديث اللبث مع أهل الصفة كما قدمناه في دلائل النبوة . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ثنا عكرمة بن عامر حدثني أبو كثير - وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمي الأعمى - حدثني أبو هريرة . قال : والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبنى ، قلت : وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمي كانت امرأة مشركة ، وإني كنت أدعوها إلى الاسلام وكانت تأتي علي ، فدعوتها يوماً فأممعتني في رسول الله (ص) ما أكره ، فأنيت رسول الله (ص) ، وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الاسلام فكانت تأتي علي ، وإني دعوتها اليوم فأممعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال : « اللهم اهد أم أبي هريرة » فخرجت أعدوا أبشرها بدعاء رسول الله (ص) لها ، فلما أنيت الباب إذا هو مجاف ، وممعت خضخضة (خشخشة) وممعت خشف رجل - يعني وقعها - فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها ومجلت عن خمارها أن تلبسه ، وقالت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك ، قد هدى الله أم أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادعوا الله أن يهينني وأمي إلى عبادته المؤمنين ، فقال :

« اللهم حبب عبديك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحببهم إليهما » قال أبو هريرة : فما خلق الله بن مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني . وقد رواه مسلم من حديث عكرمة عن عمار نحوه . وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فإن أبا هريرة محبب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الأنصاف يوم الجمعة بين يدي الخطبة ، والأمام على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضى الله عنه . وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبري عن سالم مولى النضر بن أبي معمر أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنا بما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإنني قد اتخنت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فأجملها له قرابة بها عندك يوم القيامة » قال أبو هريرة : لقد رفع على رسول الله (ص) يوماً الدرة ليضربني بها فلأن يكون ضربني بها أحب إلي من حمر النعم ، ذلك بأنني أرجو أن أكون مؤمناً وأن يستجاب لرسول الله (ص) ، دعوته ، وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة . قال : قلت يارسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « أبسط رداك ، فبسطته ، ثم قال : ضمه فضمته فما نسيت حديثاً بعد » (رواه البخاري . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج . قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (ص) ، والله الموعود إني كنت امرأ مسكيناً أصحاب رسول الله (ص) على ملء بطن ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله (ص) يوماً مجلساً فقال : « من بسط رداه حتى أفضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني » . فبسطت بردة على حتى قضى مقالته ثم قبضتها إلى فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك . وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وله طرق أخر عنه . وقد قيل إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عدوى ولا طيرة » مع حديثه « لا يورد ممرض على مصح » وقيل : إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها والله أعلم . وقال الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الناس ، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » ورواه البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو به . وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « حفظت من

رسول الله (ص)، وعاءين فأما أحدهما فبثثته في الناس، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»
 رواه البخاري من حديث ابن أبي ذيب، ورواه غير واحد عن أبي هريرة، وهذا الوعاء الذي كان
 لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال، وما سبقه التي لو أخبر بها
 قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه، وردوا ما أخبر به من الحق، كما قال: لو أخبرتكم أنكم
 تقتلون إمامكم وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدتموني. وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من
 أهل الأهواء والبدع الباطلة، والأعمال الفاسدة، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو
 هريرة، ويعتقدون أن مام عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة، وما من مبطل مع
 تضاد أقوالهم إلا وهو يدعى هذا وكلهم يكذبون، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه بعده؟
 وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم كما أخبر بها هو وغيره من الصحابة، مما ذكرناه وما
 سند كره في كتاب الفتن والملاحم. وقال حماد بن زيد: حدثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ثنا أبو
 لزعة كاتب مروان بن الحكم أن مروان دعا أبا هريرة وأقعد خلف السرير، وجعل مروان يسأل
 وجعلت أكتب عنه، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به وأقعد من وراء الحجاب فجعل يسأله
 عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قدم ولا أخر. وروى أبو بكر بن عياش وغيره عن
 الأعمش عن أبي صالح. قال: كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله (ص)، ولم يكن بأفضلهم.
 وقال الربيع قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره. وقال أبو القاسم البغوي.
 حدثنا أبو خيثمة ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: تواعد الناس ليلة من
 الليالي إلى قبة من قباب معاوية فاجتمعوا فيها، فقام أبو هريرة فحدثهم عن رسول الله (ص)، حتى
 أصبح. وقال سفيان بن عيينة عن معمر عن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه. قال: سمعت
 أبا هريرة يقول: ما من أحد من أصحاب رسول الله (ص)، أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من
 عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثني محمد بن زرة
 الرعيثي ثنا مروان بن محمد ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب بن يزيد
 قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله (ص)، ولألحقنك
 بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار: لتترك الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة. قال
 أبو زرعة، وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحوه ولم يسند، وهذا محمول من
 عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ثافها
 من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ
 فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك. وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث، فقال مسدد:

حدثنا خالد الطحان ثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة . قال : بلغ عمر حديثي فأرسل إلى فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله (س) في بيت فلان ؟ قال قلت : نعم ! وقد علمت لم تسألني عن ذلك ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت : إن رسول الله (س) قال يومئذ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذا فاذهب فحدث . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - ثنا عاصم بن كليب حدثني أبي . قال : سمعت أبا هريرة يقول - وكان يتددى حديثه بان يقول : قال رسول الله (س) ، الصادق المصدوق : « من كذب على عامداً فليتبوأ مقعده من النار » . وروى مثله من وجه آخر عنه . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان . أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي . وقال صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله (س) ، حتى قبض عمر ، وقال محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال قال عمر : أقولوا الرواية عن رسول الله (س) ، إلا فيما يعمل به . قال ثم يقول أبو هريرة : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله إذا لا يقنت أن المحفة ستبأشر ظهري ، [فان عمر كان يقول ، اشتغلوا بالقرآن فان القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجد دوى بالقرآن كدوى النحل ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . هذا معروف عن عمر رضي الله عنه] وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر . أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي (س) ، أنه قال : من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، فان شهد دفنها فله قيراطان ، القيراط أعظم من أحد . فقال له ابن عمر : أبا هريرة انظر ما يحدث عن رسول الله (س) ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك بالله أسمع رسول الله (س) ، يقول : « من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فان شهد دفنها فله قيراطان » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله (س) ، غرس بالوادي وصفق بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله (س) ، كلمة يعلمنيها ، أو أكلة يطعمنيها ، فقال له ابن عمر : أنت يا أبا هريرة كنت ألزمتنا رسول الله (س) ، وأعلمنا بحديثه . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه . قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله (س) ، على المسلمين . وقد روى أن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمت في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث ، أي الا كثار منه في

الساعة الواحدة . وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا إسحاق بن سعد عن سعيد أن عائشة قالت لأبي هريرة : أكرت الحديث عن رسول الله (س) ، يا أبا هريرة ، قال : إني والله ما كنت تشغلني عنه المكحلة والخضاب ، ولكن أرى ذلك شغلك عما استكرت من حديثي . قالت : لعله . وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم الشامي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حلة وهو يتبختر فيها ، فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله (س) ، فهل سمعته يقول في حلتى هذه شيئاً ؟ قال : والله إنكم لتؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب [ليبيئنه للناس ولا يكتمونونه] ما حدثتكم بشيء ، سمعت أبا القاسم (س) يقول : « إن رجلاً من كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » . فوالله ما أدرى لعله كان من قومك أو من رهطك - شك أبو يعلى - وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح . قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوال ، وإن الوالى لغيرك فدعه - يعنى حين أرادوا يدفنون الحسن مع رسول الله (س) - ولكنك تدخل فيما لا يعينيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك - يعنى معاوية - قال : فأقبل عليه مروان مغضباً فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا إنك أكرت على رسول الله (س) الحديث ، وإني ما قدمت قبل وفاة النبي (س) ، بيسير ، فقال أبو هريرة : نعم ! قدمت ورسول الله (س) بخير سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقت معه حتى توفي ، وأدور معه في بؤت نسائه وأخدمه ، وأنا والله يومئذ مقل ، وأصلى خلفه وأحج وأغزو معه ، فكنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأَنْصار ، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله (س) منزلة ، وكل صاحب له ، وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله (س) ، أن يساكنه - يعرض بأبي مروان الحكم بن العاص - . ثم قال أبو هريرة : ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فانه يجده عندي منه علماً جماً ومقالاً ، قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه [وفي رواية أن أبا هريرة قال لمروان : إني أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً ، وأحببت رسول الله (س) ، حباً شديداً ، وأنتم أهل الدار وموضع الدعوة ، أخرجتم الداعي من أرضه ، وآذيتموه وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له واتفقاه] ^(١) وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ثنا محمد بن سلمة ثنا محمد بن إسحاق عن

عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال : قال لي أبي الزبير : ادنى من هذا البئاني - يعني أبا هريرة - فانه يكثر الحديث عن رسول الله (س)، قال : فأدنيته منه ، فجعل أبو هريرة يحدث ، وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب صدق ، كذب . قال : قلت يا أبة ما قولك صدق كذب ؟ قال : يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله (س)، فلا أشك ، ولكن منها ما يضعه على مواضعه ، ومنها ما يضعه على غير مواضعه . وقال علي بن المديني عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي اليسر بن أبي عمر . قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا البئاني أعلم برسول الله (س)، منك ، أم يقول على رسول الله (س)، ما لم يسمع ، أو ما لم يقل ؟ فقال طلحة : والله ما نشك أنه قد سمع من رسول الله (س)، ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، إنا كنا قوما أغنياء ، لنا بيوتات وأهلون ، وكنا تأتي رسول الله (س)، طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما كانت يده مع رسول الله (س)، ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما شك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع . وقد رواه الترمذي بنحوه . وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحدث عن أبي هريرة فقيل له : أنت صاحب رسول الله (س)، وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإني إن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله (س)، - يعني ما لم أسمع منه - وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثنا مروان الدمشقي عن الليث بن سعد حدثني بكير بن الأشج . قال قال لنا بشر بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا تجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله (س)، ويحدثنا عن كذب الأخبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجمل حديث رسول الله (س)، عن كذب ، وحديث كذب عن رسول الله (س)، ، وفي رواية يجعل ما قاله كذب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كذب ، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث . وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس - أي يروي ما سمعه من كذب وما سمعه من رسول الله (س)، ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر . وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه « من أصبح جيباً فلا صيام له » فانه لما حوَّق عليه قال : أخبرني به مخبر ولم أسمع من رسول الله (س)، . وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم . قال : كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة ، وروى الأعمش عن إبراهيم . قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً ، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار ، أو حث على عمل صالح ، أو نهى عن شرجاء القرآن به . وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة ورد هذا الذي قاله إبراهيم

النخعي . وقد قال ماقاله إبراهيم طائفة من الكوفيين ، والجمهور على خلافهم
وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم .
قال حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي . قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليال .
وامراته ثلثه ، وابنته ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا . وفي الصحيحين عنه أنه
قال : « أوصاني خليلي (ص) ، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن
أنام » : وقال ابن جريج عن حدثه . قال قال أبو هريرة : إني أجزئ الليل ثلاثة أجزاء فجزءاً
لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكر فيه حديث رسول الله (ص) . وقال محمد بن سعد :
ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا إسحاق بن عثمان القرشي ثنا أبو أيوب . قال كان لأبي هريرة مسجد في
مخدعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلى فيها
جميعها ، وإذا دخل صلى فيها جميعاً . وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبح كل ليلة ثنتي عشرة ألف
تسبيحة ، يقول : أسبح على قدر ديتي . وقال هشيم عن يعلى بن عطاء عن ميمون بن أبي ميسرة .
قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار
وعرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشي يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون
على النار ، فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله من النار . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن
عبدة عن زياد بن ثوبان عن أبي هريرة . قال : لا تقبطن فاجراً بنعمة فإن من ورائه طالباً حثيثاً طلبه ،
جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً . وقال ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوماً فلما
سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً
لابنة غزوان على شبع بطنه وحملته رجله [وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي : ثنا عفان ثنا سليم بن
حيان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً
لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أحذو بهم إذا ركبوا واحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي
جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً ،]^(١) ثم يقول : والله يا أهل الاسلام إن كانت إجارتي معهم
إلا على كسرة يابسة ، وعقبة في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زوجنيها الله فكنت أركب إذا ركبوا ، وأخدم
إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا . وقال إبراهيم بن يعقوب الجورجاني : حدثنا الحجاج بن نصر ثنا هلال
ابن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي سلمة . قال قال أبو هريرة وأبو ذر : بانه من
العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب نعلمه عملنا به أو لم نعمل به ، أحب إلينا من مائة
ركعة تطوعاً ، وقالوا : سمعنا رسول الله (ص) يقول « إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال

مات وهو شهيد » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه كان يتعوذ في سجوده أن يزني أو يسرق ، أو يكفر أو يعمل كبيرة . فقيل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يؤمنني وإبليس حي ، ومصرف القلوب يصرفها كيف يشاء ؟ . وقالت له ابنته : يا أبة إن البنات يعيرنني يقلن : لم لا يحملك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنية قولي لمن . إن أبي يخشى على حر اللهب وقال أبو هريرة أتيت عمر بن الخطاب فقلت له وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرته فلما انصرف دنوت منه فقلت : اقروني آيات من كتاب الله ، قال : وما أريد إلا الطعام ، قال فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمرني بطعام ، فلم أر شيئاً ، فلما طال على قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله (ص) ، فكلمني فقال : « يا أبا هريرة إن خلوف فمك الليلة لشديد ؟ فقلت : أجل يا رسول الله ، لقد ظلمت صائماً وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أفطر عليه ، قال : فانطلق ، فانطلقت معه حتى آتيت بيته فدعا جارية له سوداء فقال : إيتنا بتلك القصعة ، فأتينا بقصعة فيها وضر من طعام أراه شميراً قد أكل وبقى في جوانبها بمضه وهو يسير ، فسميت وجعلت أتبعه فأكلت حتى شبعتم » . وقال الطبراني : ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة قال لابنته : لا تلبسي الذهب فاني أخشى عليك حر اللهب . وقد روى هذا عن أبي هريرة من طرق . وقال الأمام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن أبي الربيع عن أبي هريرة أنه قال : إن هذه الكناسة مهككة دنياكم وآخرتكم - يعني الشهوات وما يأكلونه - وروى الطبراني عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد عمل من هو خير منك ؟ - أو قال : قد طلبه من هو خير منك - ؟ قال : من ؟ قال : يوسف عليه السلام فقال أبو هريرة : يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أمية ، فأخشي ثلاثاً أو اثنتين . فقال عمر : أفلا قلت خساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حلم ، وأن يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وقال سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال له : « ألا تسألني من هذه الغنائم التي سألتني أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، قال : فنزع نمرة على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كآني إلى القمل يدب عليها ، فحدثني حتى إذا استوعب حديثه قال : اجمعها إليك فصرها ، فأصبحت لا أستقط حرقاً مما حدثني » . وقال أبو عثمان النهدي : قلت لأبي هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أضوم أول الشهر ثلاثاً فإن حدث بي حدث كان لي أجر شهرى . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي أن أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه لياكل معهم فقال : إني صائم ، فلما كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل

يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إلي ، قد والله أخبرني أنه صائم ، فقال أبو هريرة : صدق ، إني سمعت رسول الله (س) يقول : « صوم شهر صوم الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » . وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله عز وجل . وروى الامام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل عن أبي المتوكل عن أبي هريرة أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا نطهر صيامنا . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا عثمان الشحام أبو سلمة ثنا فرقد السبخي قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لي من بطني ، إن أشبعته كعظي ، وإن أجعته أضعفني . وروى الامام أحمد عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثنتي عشرة ألف مرة ، وذلك على قدر ديتي . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام . وفي رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به ، وهو أصبح من الذي قبله . ولما حضره الموت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفرى وقلة زادى ، وإني أصبحت في صعود ومهبوط على جنة ونار ، لا أدري إلى أيهما يؤخذ بي . وروى قتيبة بن سعيد ثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : « إذا زوتم مساجدكم وحلتم مصاحفكم فالدمار عليكم » وروى الطبراني عن معمر قال : بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مر به جنازة قال روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا رائجون ، موعظة بليغة ، وعقلة سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له . وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي ثنا عبد المؤمن بن عبد الله السدوسي . قال : سمعت أبا يزيد المدني يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله (س) ، دون مقام رسول الله (س) ، بعتبة ، فقال : ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل لهم من إمارة الصبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب . وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن ثابت عن أسامة ابن زيد عن أبي زياد - مولى ابن عباس - عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة ثمرة فأفطرت على خمس وتسعرت بخمس وأبقيت خمسا لفطري . وقال أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل - يعني العبدى - عن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت لهم زنجية قد غتمهم بعملها ، فرفع عليها يوما السوط ثم قال : لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به ، ولكن سأيمعك ممن يوفيني ثمنك ، أجوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنت حرة لله عز وجل . وروى حماد بن سلمة عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لا ترجمها ، ثم قال : يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب

إلى أحدهم من الذهب الأحمر . وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم سنا فان كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني ، إذا أمرت السفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون بالدم ، وقطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة ، ونشأ نشويتهخذون القرآن مزامير . وقال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أباهريرة أقبل في السوق يحمل حزمتي حطب - وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم - فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ، [فقلت برحك الله يكفي هذا ! فقال : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه] وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة ، أسلم كما قدمنا عام خيبر ، فلزم رسول الله (ص) ، ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، ووصاه به ، فجعله العلاء مؤذنا بين يديه ، وقال له أبوهريرة : لا تسبقني بآمين أيها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمال . قال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين . أن عمر استعمل أباهريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه ؟ فقال أبوهريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكن عدو من عاداهما . فقال : فن أن هي لك ؟ قال : خيل نتجت ، وغلة ورقيق لي ، وأعطية تتابعمت علي . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك ؟ طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إن يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبوهريرة بن أمية وأخشى ثلاثاً واثنتين ، قال عمر : فهلا قلت خمسة ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، أو يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وذكر غيره أن عمر غرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفاً فلهدأ امتنع في الثانية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد . قال : كان معاوية يبعث أباهريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم ، فإذا جاء أبوهريرة إلى مروان حجه عنه ، فعزل مروان ورجع أبوهريرة ، فقال لمولاه : من جاءك فلا ترده واحجب مروان ، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد ، فلما دخل قال : إن الغلام حجبنا عنك ، فقال له أبوهريرة : إنك أحق الناس أن لا تفضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أباهريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أباهريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقي الرجل فيقول : الطريق قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ، وهو أمير ، فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجله

كأنه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ويفرون عنه ههنا وههنا يتضحكون .
 قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشاءه بالليل فيقول : دع العراق للأمير - يعني قطع اللحم -
 قال : فأنظر فإذا هو يريد بالزيت . وقال ابن وهب : حدثني عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي
 أن ثعلبة بن أبي مالك حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان
 فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك . فقلت : أصلحك الله تلتقي هذا ، فقال : أوسع الطريق
 للأمير والحزمة عليه . وقد تقدم هذا . وروى نحوه من غير وجه . وقال أبو الزعيرة كاتب مروان :
 بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه : إني غلطت ولم أردك بها ، وإني
 إنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه - وكان قد تصدق بها -
 وإنما أراد مروان اختباره . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الأعلى بن عبد الجبار ثنا حماد بن سلمة
 عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلم .
 وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحت صائما فدخلت على
 أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسيا ، فقال : طعمة أطعمكم الله لاعليك ، قال : ثم دخلت دارا لأهلي
 فجئني بلبن لقمعة فشربته ناسيا ، قال : لاعليك ، قال : ثم أت فاستيقظت فشربت ماء ، وفي رواية
 وجامعت ناسيا ، فقال أبو هريرة : إنك يا ابن أخي لم تعد الصيام . [وقال غير واحد : كان أبو هريرة
 إذا رأى الجنائزة قال : روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا راثون . وروى غير واحد أنه لما حضرته
 الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلة الزاد وشدة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إما إلى جنة
 أو إلى نار فما أدري إلى أيهما أصير] وقال مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري . قال : دخل
 مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهم
 إني أحب لقاءك فأحب لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات أبو هريرة . وقال يعقوب
 ابن سفيان عن دحيم عن الوليد بن جابر عن عمير بن هاني . قال قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني
 سنة ستين ، قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة ، وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، عن
 ثمان وسبعين سنة ، قال الواقدي : وهو الذي صلى على عائشة في رمضان ، وعلى أم سلمة في شوال سنة
 تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بمدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي
 هريرة . وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان ، وقيل سبع وخمسين ، والمشهور
 تسع وخمسين . قالوا : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابن عمر وأبو
 سعيد وخلق من الصحابة وغيرهم ، وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعقيق ،

فعمل إلى المدينة فصرى عليه ، ثم دفن بالبقيع رحمه الله ورضى عنه . وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظر ورثته فأحسن إليهم ، واصرف إليهم عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفا ، فانه كان ممن نصر عثمان ، وكان معه في الدار رحمهما الله تعالى :
سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت عزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية ، قال الواقدي : وفيها دخل جنادة بن أبي أمية جزيرة رودس ، وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله بن زياد إلى دمشق ، وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنينه . فروى ابن جرير من طريق أبي مخنف : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن محزمة أن معاوية لما مرض مرضه التي هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال : يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك الأعزاء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وإني لا أخوف أن ينزعك هذا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كما قدمنا ، فاما ابن عمر فهو رجل ثقة قد وقفته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بإيمك ، وأما الحسين فان أهل العراق خلفه لا يدعونه حتى يخرجونه عليك ، فان خرج فظفرت به فاصفح عنه ، فان له رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له حمة إلا في النساء واللهم . وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك فتدبرت عليه فقطعه إرباً إرباً . قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصيد ، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس القهري . وكان على شرطه دمشق . ومسلم بن عقبة فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له يتوصى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولى عليهم عاملاً فليفل ، فعزل واحد أحب إليك من أن يسئل عليك مائة ألف سيف ، أن يتوصى بأهل الشام ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقهم ، ولست أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة ، الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير . ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح ، فاما ابن عمر فقد وقفته العبادة ، وأما الحسين فرجل ضعيف وأرجو أن يكفيك الله تعالى بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً ، وقرابة من محمد (س) ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه فاصفح عنه فاني لو صاحبتة عفوت عنه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان شخص لك فانبد إليه إلا أن يلتبس منك صلحا ، فان فعل فاقبل منه ، واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة . ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها ، وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بادرج ، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك : وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وسيأتي بقية الكلام في آخر ترجمته . وقال أبو السكين زكريا بن يحيى : حدثني عم أبي زحرب بن حصين عن جده حميد بن منهب . قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قریش ، وكان له بيت للضيافة يقشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوماً فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يقشاه فوج البيت فلما رأى المرأة فيه ولى هارباً ، وراه الفاكه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : مارأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبئني أنت ، فقال لها : الحق بأبيك ، وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئني نبأك ، فان يكن الرجل عليك صادقاً دسست إليه من يقتله فيقطع عنك القالة ، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن ، فعند ذلك حلفت هند لأبها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه : يا هذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، [وعار كبير ، لا يفسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلة ومنقصة ، ولولا أنك منى ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاطك إلى كاهن اليمن] ^(١) فحاضني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم - أقاربه - وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن ، فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غداً نأتي الكاهن ، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغير وجهها ، وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنية قد أرى ما بك من تنكر الحال ، وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثته ، وعمل اقترفته ، فهلا كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغير الحال هو أني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب ، وأخاف أن يخطئ في أمري بشئ يكون عاره على إلى آخر الدهر ، ولا آمنه أن يسمي ميسماً تكون على سبة في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فاني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك ، فان

أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلم في أمرك . ثم إنه انفرد عن القوم - وكان راكباً مهراً - حتى تواري عنهم خلف رابية فترل عن فرسه ثم صفر له حتى أدلى ، ثم أخذ حبة بر فأدخلها في إحليل المهر ، وأوى عليها بسير حتى أحكم ربطها ، ثم صفر له حتى اجتمع إحليله ، ثم آتى القوم فظنوا أنه ذهب ليقضى حاجة له ، ثم آتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : انا قد جئت لك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك ، فأتى قد خبأت لك خبيئاً فانظر ماهو ، فأخبرنا به . قال الكاهن : ثمرة في كفرة ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : جبات بر في إحليل مهر ، قال : صدقت فخذ لما جئت لك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فأجلس النساء خلفه وهدن معهم لا يعرفها ، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها ويبريها ويقول : انهضى ، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى حصان رزان ، غير رسخا ولا زانية ، وتلدن ملكا يقال له معاوية . فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فتترت يدها من يده وقالت له : إليك عني ، والله لا يجمع رأسى ورأسك وسادة ، والله لأحرصن أن يكون هذا الملك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية أن أباه هو الذي قال للفاكه ذلك والله سبحانه أعلم .

وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه

وما ورد في مناقبه وفضائله

وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، القرشي الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أسلم معاوية عام الفتح ، وروى عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كنت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه ، فقلت له : لم آل نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل على رسول الله (س) مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فحجته فرحب بي ، وكتبت بين يديه . قال الواقدي : وشهد معه حنيناً ، وأعطاه مائة من الأبل ، وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها بلال ، وشهد اليمامة . وزعم بعضهم أنه هو الذي قتل مسيلة ، حكاة ابن عساكر ، وقد يكون له شرك في قتله ، وإنما الذي طعنه وحشى ، وجلله أبو دجانة سمك بن خرشة بالسيف ، وكان أبوه من سادات قریش ، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه ، وكان له مواقف شريفة ، وآثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله وما بعده ، وصحب معاوية رسول الله (س) ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب ، وروى عن رسول الله (س) . أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً

أبيض جميلاً ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يخضب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب . وقال غيره : كان أبيض طويلاً أجلى أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحناء والسكر . وقد أصابته لوعة في آخر عمره ، فكان يستروجه ويقول : رحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقد رمت في أحسن وما يبدو مني ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدى ، وكان حليماً وقوراً رئيساً سيداً في الناس ، كريماً عادلاً شهيداً . وقال المدائني عن صالح بن كيسان قال : رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير ، فقال : إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه . وقال الشافعي قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقه قر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ، ومعا صبي يلعب ، فرجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ، فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأماته الله ، وهو معاوية بن أبي سفيان . وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لمعظم الرأس ، وإنه خلقي أن يسود قومه ، فقالت هند : قومه فقط ، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إن بني معرقٍ كريمٍ * محببٍ في أهلٍ حلِيمٍ
ليس بفحاشٍ ولا لئيمٍ * ولا ضجورٍ ولا سؤومٍ
صخر بني فهرٍ به زعيمٍ * لا يخلف الظن ولا يخيم

قال : فلما ولي عمر يزيد بن أبي سفيان ماله من الشام ، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيت صار ابنك فابما لابني ؟ فقالت : إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني ، فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال أخوه معاوية ، قال : وصلت رحماً يا أمير المؤمنين . وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه : والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر ، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت . وقال له أبوه : يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعاً ، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم ، فانك تجرى إلى أمد فنافس فان بلغت أورتته عقبك ، فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان ، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده ، ولم تزل الفتوحات

والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها ، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان ، لم يقع في تلك الأيام فتح بالسكينة ، لا على يديه ولا على يدي على ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله ، وقهر جنده ودحاهم ، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يالعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم ، فانمقتت الكلمة على معاوية ، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا ، فلم يزل مستقلاً بالأمم في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته ، والجهاد في بلاد العدو قائم ، وكلمة الله عالية . والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل ، وصفح وعفو . وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس . قال قال أبو سفيان : يارسول الله ثلاثاً أعطينهن ، قال : نعم ، قال : تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : نعم ! قال ومعاوية تجمله كاتباً بين يديك ، قال : نعم : وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله (س) ، بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك باختها أم حبيبة ، فقال : « إن ذلك لا يحل لي » وقد تكلمنا على ذلك في جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه والله الحمد . والمقصود منه أن معاوية كان من جملة الكتاب بين يدي رسول الله (س) ، الذين يكتبون الوحي . وروى الامام أحمد ومسلم والحاكم في مستدركه من طريق أبي عوانة - الوضاح ابن عبد الله اليشكري - عن أبي حمزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس . قال : كنت ألعب مع الغلمان فاذا رسول الله (س) ، قد جاء فقلت : ما جاء إلا إلى ، فاخبتأت على باب فجاءني فخطأني خطاة أو خطأتين ، ثم قال « اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله (س) ، فقلت : إنه يأكل ، فقال : اذهب فدعاه ، فأتيته الثانية فقيل : إنه يأكل فأخبرته ، فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدها ، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ، أما في دنياه فانه لما صار إلى الشام اميراً ، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فياً كل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة . أن رسول الله (س) ، قال : « اللهم إنما أنا بشر فأباعد سببته أو جلده

أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارةً وقريةً تقر به بها عندك يوم القيامة». فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك. وقال المسيب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس. قال: «أتى جبريل إلى رسول الله (س)، فقال: يا محمد اقراء معاوية السلام واستوص به خيراً، فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين. ثم أورد ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان، ثم أورد أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله «أن رسول الله (س)، استشار جبريل في استكتابه معاوية، فقال: استكتبه فإنه أمين». ولكن في الأسانيد إلهما غرابة، ثم أورد عن علي في ذلك غرائب كثيرة عن غيره أيضاً. وقال أبو عوانة عن سليمان بن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقر الزبيدي عن عبد الله بن عمرو. قال: كان معاوية يكتب للنبي (س). وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ثنا السري عن عاصم ثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه هشام بن عروة عن عائشة. قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي (س)، دق الباب داق، فقال النبي (س) «انظروا من هذا؟ قالوا: معاوية، قال: ائذنوا له، فدخل وعلى أذنه قلم يخط به، فقال: ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟ قال: قلم أعدته لله ولرسوله، فقال له: جزاك الله عن نبيك خيراً، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله، كيف بك لو قصصك الله قيصاً - يعني الخلافة -؟ فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت: يا رسول الله وإن الله مقصصه قيصاً؟ قال: نعم! ولكن فيه هنات وهنات. فقالت: يا رسول الله فادع الله له، فقال: اللهم اهدم بالهدى، وجنبه الردى، واغفر له في الآخرة والأولى». قال الطبراني تفرد به السري عن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن هشام. وقد أورد ابن عساكر بعد هذا أحاديث كثيرة موضوعة، والمعجب منه مع حفظه وإطلاعه كيف لا ينبه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها والله الموفق للصواب. وقد أوردنا من طريق أبي هريرة وأنس ووائل بن الأسقع مرفوعاً: «الأماء ثلاثة، جبريل، وأنا ومعاوية» ولا يصح من جميع وجوهه، ومن رواية ابن عباس: «الأماء سبعة، القلم، واللوح، وإسرافيل، وميكائيل، وجبريل، وأنا، ومعاوية» وهذا أنكر من الأحاديث التي قبله، وأضعف إسناداً. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية - يعني ابن صالح - عن يونس بن سيف عن الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرياض بن سارية السلمي. قال: سمعت رسول الله (س) يدعونا إلى السحور في شهر رمضان: هلم إلى الغداء المبارك، ثم سمعته يقول: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب». تفرد به أحمد. ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي، وكذلك رواه

أسد بن موسى ، وبشر بن السري ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، بإسناده مثله . وفي رواية بشر بن السري « وأدخله الجنة » ورواه ابن عدى وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن عطاء عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » . وقال محمد بن سعد : ثنا سليمان بن حرب والحسين بن موسى الأشيب قال : ثنا أبو هلال محمد بن سليم ثنا جبلة بن عطية عن مسلمة بن مخلد ، وقال الأشهب : قال أبو هلال أو عن رجل عن مسلمة بن مخلد ، وقال سليمان بن حرب أو حدثه مسلمة عن رجل أنه رأى معاوية يأكل فقال لعمر بن العاص : إن ابن عمك هذا لمحضد : قال أما أنى أقول لك هذا وقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب » . وقد أرسله غير واحد من التابعين منهم الزهري وعروة بن رويم وجريير بن عثمان الرحبي الحمصي ، ويونس بن ميسرة بن حلبس . وقال الطبراني : ثنا أبو زرعة وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : ثنا أبو مسهر ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني - وكان من أصحاب النبي (ص) - أن رسول الله (ص) قال لمعاوية : « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الإسناد حديث العرابض الذي تقدم ، ثم روى من طريق الطبراني عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن سعيد عن ربيعة عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لمعاوية : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً واهديه » وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي (ص) أنه ذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً واهديه » وهكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز به . وقال حسن غريب . وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الحراني كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مسهر عن سعيد عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة . ورواه محمد بن المصنف عن مروان بن محمد الطاطري عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن ابن أبي عميرة أن رسول الله (ص) دعا لمعاوية فقال : « اللهم علمه العلم ، واجعله هادياً مهدياً ، واهداً واهديه » وقد رواه سلمة بن شبيب وصفوان بن صالح وعيسى بن هلال وأبو الأزهر عن مروان الطاطري ، ولم يذكروا أبا إدريس في إسناده . ورواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن علي بن سهل الرملي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . أنه سمع رسول الله (ص) وذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً » قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب . وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث وأطنب فيه وأطيب

وأطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن قد تبرز فيه على غيره من الحفاظ والنقاد . وقال الترمذى : حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية قال الناس : عزل عمر عميراً وولى معاوية ، فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، فأتى سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم اهدبه » تفرد به الترمذى وقال : غريب . وعمرو ابن واقد ضعيف ، هكذا ذكره أصحاب الأطراف فى مسند عمير بن سعد الأنصارى . وعندى أنه ينبغى أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، ليكون عنراً له فى توليته له . ومما يقوى هذا أن هشام بن عمار قال : حدثنا ابن أبي السائب - وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان - قال : وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان فقالوا : ولى حدث السن ، فقال : تلوموننى فى ولايته ، وأنا سمعت رسول الله (ص) يقول : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به » وهذا منقطع يقويه ما قبله .

قال الطبرانى : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا نعيم بن حماد ثنا محمد بن شعيب بن سابور ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الله بن بسر أن رسول الله (ص) : « استشار أبا بكر وعمر فى أمر فقال : أشيروا على ، فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : ادعوا معاوية ؟ فقال أبو بكر وعمر : أما فى رسول الله (ص) ، ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم ، حتى يبعث رسول الله (ص) ، إلى غلام من غلمان قريش ؟ فقال : ادعولى معاوية فدعى له ، فلما وقف بين يديه قال رسول الله (ص) : أحضروه أمرهم وأشهدوه أمرهم ، فانه قوى أمين » . ورواه بعضهم عن نعيم وزاد « وحملوه أمرهم » . ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك فى فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحا ، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات .

ثم قال ابن عساكر : وأصح ما روى فى فضل معاوية حديث أبي جمرة عن ابن عباس « أنه كان كاتب النبي (ص) منذ أسلم » أخرجه مسلم فى صحيحه ، وبعده حديث العرابض : « اللهم علم معاوية الكتاب » وبعده حديث ابن أبي عميرة : « اللهم اجعله هادياً مهدياً » قلت : وقد قال البخارى فى كتاب المناقب : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافى عن عثمان ابن الأسود عن ابن أبي مليكة قال : أوتر معاوية بعد العشاء بركة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس ، فقال : أوتر معاوية بركة بعد العشاء ، فقال : دعه فانه قد صحب رسول الله (ص) . حدثنا ابن أنى مريم ثنا نافع بن عمر ثنا ابن أبي مليكة . قال : قيل لابن عباس : هل لك فى

أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة! قال: أصاب، إنه فقيه. ثنا عمرو بن عباس ثنا جعفر ثنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت حمدان عن أبان عن معاوية. قال: إنكم لتصلون صلاة، لقد صحبتنا رسول الله (ص). فما رأيناه يصلهما، ولقد نهى عنهما - يعني الركعتين بعد العصر - ثم قال البخاري بعد ذلك: ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة: حدثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري حدثني عروة أن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إلى رسول الله (ص). فقالت: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك، فقال: وأيضا والذي نفسي بيده. فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك، فهل على من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا إلا بالمعروف. فملدحة في قوله: « وأيضا والذي نفسي بيده » وهو أنه كان يود أن هنداً وأهلها وكل كافر يذلوا في حال كفرهم، فلما أسلموا كان يجب أن يمزوا فأعزهم الله - يعني أهل خبائها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الادواة بعد أبي هريرة فتبع رسول الله (ص) بها - وكان أبو هريرة قد اشتكى - فبينما هو يوضئ رسول الله (ص) إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل. قال معاوية فما زلت أظن أني سأبتلى بعمل لقول النبي (ص). حتى ابتليت. تفرد به أحمد، ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الهمداني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو ابن يحيى بن سعيد. ورواه ابن منده من حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيى به. وقال أبو يعلى: حدثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده عن معاوية قال: « اتبعت رسول الله (ص). بوضوء، فلما توضأ نظر إلى فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق واعدل، فازات أظن أني مبتلى بعمل حق وليت ». ورواه غالب القطان عن الحسن. قال: سمعت معاوية يخطب وهو يقول: « صبيت يوما على رسول الله (ص). وضوءه فرفع رأسه إلى فقال: أما إنك ستلى أمر أمتي بمدى، فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم، وقال: فما زلت أرجو حتى قمت مقامى هذا ». وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير. قال قال معاوية: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله (ص): « إن ملكت فأحسن ». قال البيهقي: إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف، إلا أن للحديث شواهد. وروى ابن عساكر بإسناده عن نعيم بن حماد: ثنا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مريم ثنا محمد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال: « بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا - وهي يومئذ مسجد يصلى فيها - إذ انتبعت من نومي فاذا أنا بأسد يمشي بين يدي، فوثبت إلى سلاحي، فقال الأسد: ١٤٠! إنما أرسلت إليك

برسالة لتبلغها ، قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة ، فقلت له . ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان « ورواه الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي عن المعلبي بن الوليد القعقاعي عن محمد بن حبيب الخولاني عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني ، وفيه ضعف وهذا غريب جدا ، ولعل الجميع مناما ، ويكون قوله : إذ انتبهت من نومي مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مريم ، والله أعلم .

وقال محمد بن عائد عن الوليد عن ابن لهيعة عن يونس عن الزهري . قال : قدم عمر الجابية ففرع شرحبيل وأمر عمرو بن العاص بالسير إلى مصر ، ونفى الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة فاستخلف عياض بن غنم ، ثم توفي يزيد فأمر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : احتسب يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلت رحمايا أمير المؤمنين ، فكان معاوية على الشام ، وعمر بن سعد حتى قتل عمر ، رضي الله عنهم . وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عمواس واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر ، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق وبلبك والبلقاء ، وولى سعد بن عامر بن جذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أمره عثمان بن عفان على الشام . وقال إسماعيل بن أمية : أفرد عمر معاوية بامرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلها عثمان بن عفان ، وأما عمر فانه إنما ولاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عزيت هند في يزيد بن أبي سفيان - ولم يكن منها - قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يجعل خلفاً من أحد ؟ فوالله لو أن العرب اجتمعت متوافرة ثم رمى به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها) شاء . وقال آخرون : ذكر معاوية عند عمر فقال : دعوا فني قرش وابن سيدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن قدامة الجوهري حدثني عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له . قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولم تفعل هذا ؟ لقد هممت أن أمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز ، قال : يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به ، فان أمرتني ففعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ، لأن كان ما قلت حقاً إنه

لأرى أريت ، ولئن كان باطلا إنه لخديعة أدبت . قال : ففرني يا أمير المؤمنين بما شئت ، قال : لا أمرك ولا أنهلك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ؟ ! فقال عمر : لحسن موارده ومصادره جشمناه ماجشمناه . وفي رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام ، ومعاوية في موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشر بهما ، فقيل له : إنك جاوزت أمير المؤمنين ، فرجع ، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين ! ؟ فقال : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد : أخبرنا محمد بن ذئب عن مسلم بن جندب عن أسلم مولى عمر قال : قدم علينا معاوية وهو أبيض نص وباص ، أبض الناس وأجملهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعه على متن معاوية ثم يرفعها عن مثل الشراك ، فيقول : بخ بخ ، نحن إذا خير الناس ، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدثك ما بك إلا إطفائك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك ، وذورا الحاجات وراء الباب . فقال : يا أمير المؤمنين علمني أمثل . قال : فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحا كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم فيخرج حاجا مقلتا حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما ؟ ! فقال معاوية : إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشرين وقومى ، والله لقد بلغنى أذاك ههنا وبالشام ، فأنه يعلم أنى لقد عرفت الحياء فيه ، ثم نزع معاوية ثوبيه ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي عن هشام بن محمد عن أبي عبد الرحمن المدني . قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب . وهكذا حكى المدائني عن عمر أنه قال ذلك . وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى عن جده . قال : دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وتب إليه بالدرة فجعل يضربه بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين الله الله في ، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم : لم ضربته يا أمير المؤمنين ؟ وما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلا خيرا ، وما بلغنى إلا خيرا ، ولو بلغنى غير ذلك لكان منى إليه غير ما رأيتم ، ولكن رأيته - وأشار بيده - فأجبت أن أضع منه ماشمخ . وقد قال أبو داود : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن أبي مريم أن القاسم بن مخيمرة أخبره أن أبا مريم الأزدي أخبره . قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها

العرب - فقلت : حديث سمعته أخبرك به ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجه وخلته وفقره » . قال : فجعل معاوية حين سمع هذا الحديث رجلاً على حوائج الناس . ورواه الترمذى وغيره .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ثنا حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز . قال : خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . [وفي رواية . قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير فقام له ابن عامر ولم يقم له ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : إجلس ! فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « من أحب أن يتمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . ^(١) ورواه أبو داود والترمذى من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذى : حديث حسن . وروى أبو داود من حديث الثوري عن ثور بن يزيد عن راشد بن ساعد المقرئ الحمصي عن معاوية . قال : قال رسول الله (ص) : « إنك إن تتبععت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » . قال : كلمة سمعها معاوية ففعله الله بها . تفرد به أحمد - يعني أنه كان جيد السيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير الستر رحمه الله تعالى - وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية . أنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من يرد الله به خيراً يققه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، ولا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » . وفي رواية « وهم على ذلك » وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك ابن يخامر بخبر عن معاذ أن رسول الله (ص) قال وهم بالشام - بحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق : « وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها » وهذا مما كان يحتاج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق . وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب . وقال غيره : وفتح قبرص سنة خمس وقيل سبع ، وقيل ثمان وعشرين في أيام عثمان . قالوا : وكان عام غزوة المضيق - يعني مضيق القسطنطينية - في سنة ثنتين وثلاثين في أيامه وكان هو الأمير على الناس عامئذ . وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام ، وقيل إن عمر هو الذي جمعها له ، والصحيح عثمان . واستقضى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبي الدرداء ، ثم كان ما كان بينه وبين علي بعد قتل عثمان ، على سبيل الاجتهاد والرأى ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا ، وكان الحق والصواب مع علي ، ومعاوية معنود . عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالأسلام للفريقين من الطرفين - أهل العراق وأهل الشام - كما ثبت في الحديث الصحيح

« تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين ، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق » فكانت المارقة الخوارج ، وقتلهم على وأصحابه ، ثم قتل على فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يغزو الروم في كل سنة مرتين ، مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس ، وحج هو سنة خمسين ، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين . وفيها أوفى التي بعدها أغزاه بلاد الروم [فصار معه خلق كثير من كهراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية ، وقد ثبت في الصحيح : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .] وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح . قال : كان الحادى يحدو بعثمان فيقول : إن الأمير بعده على * وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعنى معاوية - فقال : يا أبا إسحاق تقول هذا وهما على والزبير وأصحاب محمد (س) ؟ فقال : أنت صاحبها . ورواه سيف عن بدر بن الخليل عن عثمان ابن عطية الأسدى عن رجل من بنى أسد . قال : مازال معاوية يطعم فيها منذ سمع الحادى في أيام عثمان يقول : إن الأمير بعده على * وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : كذبت ! بل صاحب البغلة الشهباء بعده - يعنى معاوية - فقال له معاوية في ذلك فقال : نعم ! أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لاتصل إليك حتى تكذب بحديثى هذا ، فوقعت في نفس معاوية .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عباد المكي ثنا سفيان بن عيينة عن أبى هارون قال قال عمر : إياكم والفرقة بعدى ، فان فعلتم فان معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وكلمت إلى رأيكم كيف يستبزها دونكم . ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه . وقد روى ابن عساكر عن عامر الشعبي أن علياً حين بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية قبل وقعة صفين - وذلك حين عزم على على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك - وكتب معه كتاباً إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته ، لانه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فان لم تبائع استعنت بالله عليك وقاتلتك . وقد أكرت القول في قسلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى أحلك وإياهم على كتاب الله ، في كلام طويل . وقد قدمنا أكثره ، فقرأ معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس ، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحذره من الخالفة والمعاندة ، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف . فقال معاوية : انتظر حتى آخذ رأى أهل الشام ، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية منادياً فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمد لله الذى جعل النعام للإسلام أركانا ، والشرائع للإيمان برهانا ، يتوقد مصباحه

بالسنة في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فأحلها أهل الشام ورضيهم لها ، ورضيها لهم ؛ لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أو لياؤه فيها ، والقوام بأمره ، الذابن عن دينه وحرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي أعلام الخير عظاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ماتشعت من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة ، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبلنا ، وقد يعلم الله أننا لا نريد لهم عقاباً ، ولا نهتك لهم حجاباً ، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن نزرعه طوعاً ماجابو الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، وقد علمنا أن الذي حملهم على خلافنا البغي والحسد لنا ، فالله نستعين عليهم . أيها الناس ! قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأني خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأني لم أقم رجلاً منكم على خزائنه قط ، وإني ولي عثمان وابن عمه ، قال الله تعالى في كتابه : [ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً] وقد علمتم أنه قتل مظلوماً ، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلب بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم ، أو يدركوا بثأره ، أو يفنى الله أرواحهم قبل ذلك ، فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية مارأى ، أفرغه ذلك ، وعجب منه . وقال معاوية لجرير : إن ولاني على الشام ومصر بايعته على أن لا يكون لاحد بعده على بيعة ، فقال : اكتب إلى علي بما شئت ، وأما أكتب معك ، فلما بلغ علياً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألتني المغيرة بن شعبة أن أولى معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك [وما كنت متخذ المضلين عضداً] ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه ، فها قسم إلا وقد اجتمعت المساكر إلى علي ، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وكان معتزلاً بفلسطين حين قتل عثمان - وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ، فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشيره في أموره فركب إليه فاجتمعا على حرب علي . وقد قال عقبة بن أبي معيط في كتاب معاوية إلى علي حين سألته نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ذلك ويعرض بأسياء فيه .

معاوي إن الشام شامك فاعتصم * بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا
فإن علياً ناظر ما تحببه * فأهدله حرباً يشيب النواصيا
وحام عليها بالقتال وبالقتنا * ولاتك مخشوش الذراعين وانيا
وإلا فسلم إن في الأمن راحة * لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

وإن كتاباً يا ابن حرب كتبته * على طمع جان عليك الدواھيا
سألت علياً فيه مالا تناله * ولو نلتها لم يبق إلا لياليا
إلى أن ترى منه الذي ليس بعدها * بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا
ومثل علي تفتره بخدعة * وقد كان ما خربت من قبل بانيا
ولو نشبت أظفاره فيك مرة * فراك ابن هندی بعد ما كنت فاريا

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجاعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع علياً أم أنت مثله ؟ فقال : والله إنى لأعلم أنه خير مني وأفضل ، وأحق بالأمر مني ، ولكن ألسن تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلى ؟ فقالوا له : فليسلم إلى فتلة عثمان وأنا أسلم له أمره . فأتوا علياً فكلّموه في ذلك فلم يدفع إليهم أحداً ، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية . وعن عمرو بن شعمر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي وأبي جعفر الباقر . قال : بعث علي رجلاً إلى دمشق ينذرهم أن علياً قد نهد في أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلما قدم أمر معاوية فنودي في الناس : الصلاة جامعة ، فلأوا المسجد ثم صعد المنبر فقال في خطبته : إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي ؟ فضرب كل منهم على صدره ، ولم يتكلم أحد منهم ، ولا رفعوا إليه أبصارهم ، وقام ذو الكلاع فقال : يا أمير المؤمنين عليك الرأي وعلينا الفعّال ، ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاث ، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه ، فاجتمعوا كلهم ، فركب ذلك الرجل إلى علي فأخبره ، فأمر علي منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم ، فما الرأي ؟ فقال كل فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم في بعض ، فلم يدر على مما قالوا شيئاً ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله بها ابن آكلة الأكباد . ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً في سنة ست وثلاثين . وقد قال أبو بكر بن دريد : أنبأنا أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال قال معاوية : لقد وضعت رجلي في الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة ، فما منعني إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول : -

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمد بالثمن الربيع
وإكراهي على المكروم نفسي * وضربني هامة البطال المشيع
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك نحمدى أو تستريحي

وروى البيهقي عن الامام أحمد أنه قال : الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، قليل له : فعماوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي ، ورحم الله معاوية . وقال علي بن المديني :

سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما كانت في علي خصلة تقصر به عن الخلافة ، ولم يكن في معاوية خصلة ينازع بها علياً . وقيل لشريك القاضي : كان معاوية حليماً ؟ فقال : ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علياً . رواه ابن عساكر . وقال سفيان الثوري ، عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه ذكر معاوية وأنه لبي عشيّة عرفة فقال فيه قولاً شديداً ، ثم بلغه أن علياً لبي عشيّة عرفة فتركه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عباد بن موسى ثنا علي بن ثابت الجزري عن سعيد بن أبي عروبة عن عمر بن عبد العزيز . قال : رأيت رسول الله (ص) في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتنا وأجيف الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضى لي ورب الكعبة ، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة . وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أبغض معاوية ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحك إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فأي دخل لك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما . وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقرأ [تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون] وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال الأوزاعي : سئل الحسن عما جرى بين علي وعثمان فقال : كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة ، ولهذا قرابة ولهذا قرابة ، فابتلى هذا وعوفي هذا . وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال : كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ، ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة ، فابتليا جميعاً . وقال كلثوم بن جوشن : سأل النضر أبو عمر الحسن البصري فقال : أبو بكر أفضل أم علي ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء ، سبقت لعل سوابق يشركه فيها أبو بكر ، وأحدث على حوادث لم يشركه فيها أبو بكر ، أبو بكر أفضل . قال : فعمر أفضل أم علي ؟ فقال : مثل قوله في أبي بكر ، ثم قال : عمر أفضل . ثم قال : عثمان أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله الأول ، ثم قال : عثمان أفضل . قال : فلي أفضل أم معاوية ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء سبقت لعل سوابق لم يشركه فيها معاوية ، وأحدث على أحداثا يشركه فيها معاوية ، علي أفضل من معاوية . وقد روى عن الحسن البصري أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء ، قتاله علياً ، وقتله حجر بن عدي ، واستلحاقه زياد بن أبيه ، ومبايعته ليزيد ابنه . وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة . قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدري ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم ، وفي رواية أنها قالت له بالأمس قاتلته واليوم تبكيه ؟

قلت : وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين ، ولهذا قال الليث بن سعد : إن معاوية يبيع

له بإيليا بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين ، والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور انه
 ببيع له بإيليا في رمضان سنة أربعين ، حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنه إنما دخل الكوفة
 بعد مصلحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان
 يقال له أدرج ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الانبار ، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن
 مات سنة ستين . قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل بل كان : لا قوة
 إلا بالله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور قالا : ثنا أبو معاوية
 لنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد . قال : صلى بنا معاوية بالأنخيلة - يعني خارج
 الكوفة - الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال : ما قاتلتكم لنصوموا ولا نتصلوا ولا نتحجوا ولا لتزكوا ،
 قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم
 كارهون . رواه محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن الأعمش به . وقال محمد بن سعد : حدثنا
 عازم ثنا حماد بن يزيد عن معمر عن الزهري أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يحرم فيه ، ثم إنه
 بعد عن ذلك . وقال نعم بن حماد : حدثنا ابن فضيل عن السري بن إسماعيل عن الشعبي حدثني
 سفيان بن الليل قال : قلت للحسن بن علي لما قدم من الكوفة إلى المدينة : يا منل المؤمنين ، قال :
 لا تقل ذلك فأنى سمعت رسول الله (ص) ، يقول : « لا تنهيب الأيام والليال حتى يملك معاوية » .
 فقلت أن أمر الله واقع ، فكرهت أن تهراق بيني وبينه دماء المسلمين . وقال مجاهد عن الشعبي عن
 الحارث الأعور . قال قال علي بعد ما رجع من صفين : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم
 لو قدتموه رأيتم الرقوس تنسدر عن كواهلها كأنها الحنظل . وقال ابن عساكر بإسناده عن أبي داود
 الطيالسي : ثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال قلت لعائشة : ألا تعجبين
 لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله (ص) في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو
 سلطان الله يؤتية البر والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعين سنة ، وكذلك غيره من الكفار .
 وقال الزهري : حدثني القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة
 فكلما خالين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكر أن أبو عمرو ومولى عائشة ، فقالت : أمنت أن أخبأك
 رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً ؟ فقال : صدقي ، فلما قضى معاوية كلامه معها تشبهت عائشة ثم
 ذكرت ما بعث الله به نبيه (ص) من الهدى ودين الحق ، والذي سن الخلفاء بعده ، وحضت معاوية
 على العدل واتباع أثرهم ، فقالت في ذلك فلم يترك له عنراً ، فلما قضت مقالها قال لها معاوية : أنت
 والله العاملة بأمر رسول الله (ص) ، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة ، حضضت على الخير ،
 وأمرت به ، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا مصلحة ، وأنت أهل أن تطاعى . وكنكمت هي ومعاوية

كلاماً كثيراً . فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال : والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله (ص) أبْلغ من عائشة . وقال محمد بن سعد : حدثنا خالد بن مخلد البجلي ثنا سليمان بن بلال حدثني علقمة ابن أبي علقمة عن أمه . قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة : أن ارسلي بانبجانية رسول الله (ص) ، وشعره ، فأرسلت به معي أحمله ، حتى دخلت به عليه ، فأخذ الانبجانية فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشربه وأفاض على جلده . وقال الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي قال : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلا أمرك . فماد عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصده المسجد وعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ! فإني والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت على وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم ؟ رحمة الله ورضوانه عليهم ، غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة ، ولكم فيه مثل ذلك . ولكل فيه مواكبة حسنة ، ومشاركة جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فإن لم تجدونني خيركم فأنا خير لكم ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه ، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبراً أدنى ، وإن لم تجدونني أقوم بحقوقكم كله فارضوا مني ببيعته ، فإنها بقايبه قوبها ، وإن السيل إذا جاء يبرى ، وإن قل أغنى ، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، وتورث الاستيصال ، أستغفر الله لي ولكم ، أستغفر الله . ثم نزل . - قال أهل اللغة : القايبة البيضة ، والقوب الفرخ ، قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ . -

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج في سنة أربع وأربعين ، أوفى سنة خمسين ، لافي عام الجماعة . وقال الليث : حدثني علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فليقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان ، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباه ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإن لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف وقال لها : يا بنت أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلاً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، فبعناهم هذا بهذا ، وباعونا هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقدنا وغمطناهم بحقدهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فإن نكشناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندرى أتكون

لنا الدائرة أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكوني أمة من إماء المسلمين ، ونعم الخلف أذاك بعد إليك . وقد روى ابن عدى من طريق علي بن زيد وهو ضعيف عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، ومن حديث مجالد وهو ضعيف أيضاً عن أبي الوداك عن أبي سعيد . أن رسول الله (ص) قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » . وأسند أيضاً من طريق الحكم بن ظهير - وهو متروك - عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً . وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك ، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم . وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري ، قال أيوب : وهو كذب ورواه الخطيب البغدادي بإسناد مجهول عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه ^(١) فانه أمين مأمون »

وقد قال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي قال : أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك ، ورجال أكثر وأطيب ممن مميئنا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيله ، ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم ، وأخذوا عن رسول الله (ص) تأويل القرآن . ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله ، منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن محيريز ، وفي أشباه لهم لم ينزعوا يدا من جماعة في أمة محمد (ص) .

وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز . قال : لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سرية في الصيف ويشتوا بأرض الروم ، ثم تقفل وتقبها أخرى ، وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام ، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم . وقال ابن وهب عن يونس عن الزهري قال . حج معاوية بالناس في أيام خلافته مرتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلا شهراً . وقال أبو بكر بن عياش : حج بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وسنة خمسين . وقال غيره : سنة إحدى وخمسين والله أعلم . وقال الليث بن سعد : حدثنا بكير عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال : ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب - يعني معاوية - وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ثنا المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية . قال :

(١) لعله فاقبلوه بدليل قوله في سياق الكلام : فانه أمين مأمون ، ولا يطمئن في الحديث

فلما دخلت عليه - حسبت أنه قال سلمت عليه - فقال : ما فعل طعنك على الأئمة يامسور ؟ قال : قلت : ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له ، فقال : لتكلمني بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به ، فقال : لاتبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال : قلت : نعم ! إن لي ذنوباً إن لم تغفرها هلكت بسببها ، قال : فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة مني ، فوالله لما إلى من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي لا يخصصها إلا الله ولا يخصها أكثر مما تذكر من العيوب والذنوب ، وإني لعل دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، والله على ذلك ما كنت لأخبر بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه ، قال : ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني . قال : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير . وقد رواه شعيب عن الزهري عن عروة عن المسور بنحوه .

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العنبي قال قال معاوية : يا أيها الناس ! ما أنا بخيركم وإن منكم لمن هو خير مني ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنكاكم في عدوكم ، وأدركم حلباً . وقد رواه أصحاب محمد عن ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك . وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن حليس قال سمعت معاوية على منبر دمشق يوم جمعة يقول : أيها الناس اعقلوا قولي ، فلن تجحدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني ، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم ، خذوا على أيدي سفهاءكم أو ليسلطن الله عليكم عدوكم فليسومنكم سوء العذاب . تصدقوا ولا يقولن الرجل إني مقل ، فإن صدقة المقل أفضل من صدقة الغني ، إياكم وقنف المحصنات ، وأن يقول الرجل : سمعت وبلغني ، فلو قنف أحدكم امرأة على عهد نوح اسئل عنها يوم القيامة . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا يزيد ابن طهمان الرقاشي ثنا محمد بن سيرين . قال : كان معاوية إذا حدث عن رسول الله (ص) لم ينهم . ورواه أبو القاسم البغوي عن سويد بن سعيد عن همام بن إسماعيل عن أبي قبيل . قال : كان معاوية يبعث رجلاً يقال له أبو الجليش في كل يوم فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود ؟ أو قدم أحد من الوفود ؟ فإذا أخبر بذلك أنبت في الديوان - يعني ليجري عليه الرزق - وقال غيره : كان معاوية متواضعاً ليس له مجالد إلا كمجالد الصبيان التي يسمونها الخاريق فيضرب بها الناس . وقال هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حليس . قال : رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردف وراءه وصفياء عليه قميص مرقوع الجيب ، وهو يسير في أسواق دمشق ، وقال

الأعمش عن مجاهد ، إنه قال : لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي . وقال هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن ابن عمرو . قال : مارأيت أحداً أسود من معاوية ، قال قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه . ورواه أبو سفيان الخيري عن العوام بن حوشب به . وقال : مارأيت أحداً بعد رسول الله س ، أسود من معاوية ، قيل ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود . وروى من طرق عن ابن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : عن معمر عن همام سمعت ابن عباس يقول : مارأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية ، وقال حنبل بن إسحاق : حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبي عتيبة عن شيخ من أهل المدينة قال قال معاوية . أنا أول الملوك . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف حدثنا حمزة عن ابن شوذب قال : كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة ، قلت : والسنة أن يقال لمعاوية ملك ، ولا يقال له خليفة لحديث « سفينة الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً » .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال : مارأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيته أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية . وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً ، فقيل له لو سطوت عليه ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن يضيق خلعي عن ذنب أحد من رعيتي . وفي رواية قال له رجل : يا أمير المؤمنين ما أحلك ؟ فقال : إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي . وقال الاصمعي عن الثوري : قال قال معاوية : إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، أو جهل أكبر من حلمي ، أو تكون عورة لا أواربها بستري . وقال الشعبي والاصمعي عن أبيه قالا : جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمراً لمعاوية ، فأطرق معاوية . ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجهم إياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ أخذ الأسد ، وإن قلبه يغلب كثير الناس . ثم أمر معاوية لأبي الجهم بمال فقال : أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية .

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا * نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا

نَقْلُهُ لِنَخْبَرِ حَالَتِهِ * فَنَخْبَرُ مِنْهَا كَرَمًا وَلِينًا

وقال الأعمش : طاف الحسن بن علي مع معاوية فكان معاوية يمشي بين يديه ، فقال الحسن ما أشبه أليتيه بأليتي هند ؟ ! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان . وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية : إن فلاناً يشتمني ، فقال له : طأطأ لها فتمر فتجاوزك . وقال ابن الأعرابي : قال رجل لمعاوية : مارأيت أندل منك ، فقال معاوية : بلى من واجه الرجال بمثل

هذا . وقال أبو عمرو بن العلاء قال معاوية : ما يسرني بذل الكرم حمر النعم . وقال : ما يسرني بذل الحلم عز النصر . وقال بعضهم : قال معاوية : يا بني أمية فارقوا قريشا بالحلم ، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأوسعته حلمًا ، فأرجع وهو لي صديق ، إن استنجدته أنجدني ، وأثور به فيثور معي ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ، ولا زاده إلا كرمًا وقال : آفة الحلم الذل . وقال : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم . وقال عبد الله بن الزبير : لله در ابن هند ، إن كنا لنفرقه وما الليث على برائته بأجرأ منه ، فيتفارق لنا ، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتحادع لنا ، والله لوددت أنا متعنا به مادام في هذا الجبل حجر - وأشار إلى أبي قبيس - وقال رجل لمعاوية : من أسود الناس ؟ فقال : أسخام نفسا حين يسأل ، وأحسنهم في المجالس خلقًا ، وأحلمهم حين يستجبل . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيرًا

فما قتل السفاهة مثل حلم * يعود به على الجهل الحليم
فلا تسفه وإن ملئت غيظًا * على أحد فان الفحش لوم
ولا تقطع أخاك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم

[وقال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية : وحكى أن معاوية أتى بلصوص فقطعهم حتى

بقي واحد من بينهم ، فقال :

يمنى أمير المؤمنين أعينها * بعفوك أن تلقى مكاناً يشينها
يدى كانت الحسناء لوتم سترها * ولا تعدم الحسناء عيباً يشيها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ماشى فارقها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . نفخى سبيله ، فكان أول جد ترك في الاسلام [. وعن ابن عباس أنه قال : قد علمت بم غلب معاوية الناس ، كانوا إذا طاروا وقع ، وإذا وقع طاروا ، وقال غيره : كتب معاوية إلى فائبه زياد : إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسة واحدة باللين فيمرحوا ، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك ، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة ، وأنا للين والألفة والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه . وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز . قال : قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس . وقال هشام بن عروة عن أبيه . قال : بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف

ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمها : هلا أبقيت لنا درهماً نشترى به لحماً تفطري عليه ؟ فقالت : لو ذكرتيني لفعلت . وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف قبلته . وقال زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة . قال : قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له : لأجيزتك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي ، فأعطاه أربع مائة ألف . ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين : ولم تعط أحداً أفضل منا . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن مغيرة . قال : أرسل الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال ، فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - بمائة ألف ، فبلغ ذلك علياً فقال لهما : ألا تستحيان ؟ رجل نطعن في عينه غدوةً وعشياً تسأله المال ؟ فقالا : بل حرمتنا أنت وجاد هولنا . وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمائة ألف ، وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمّة رسول الله ، وأمر له بمائة ألف . وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف قسمها على جلسائه ، وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها ، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف قسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً ، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف . فقال معاوية : إنه لمقتصد يحب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول : لم جئت بها بالنهار ؟ هلا جئت بها بالليل ؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية : إنه نخب ضب ، كانك به قد رفع ذنبه وقطع حبله . وقال ابن دآب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، ويقضى له معها مائة حاجة ، فقدم عليه عاباً فأعطاه المال وقضى له الحاجات ، وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أصبغ هند سجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد ، و وعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف ، فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ، ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصدته الدهقان فكلم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكلفة المائة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإنّا أهل بيت لا يبيع انعموف بالنمن . فبلغ ذلك معاوية فقال : لأن يكون يزيد قالها أحب إلى من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلا كرمًا وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض الأوقات دين خمسمائة ألف ، فألح عليه

غرماءه فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه فقال له :
 ما أقدمك يا ابن جعفر ؟ فقال : دين ألح على غرماءه ، فقال : وكم هو ؟ قال : خمسمائة ألف .
 فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيتك في وقتها . وقال ابن سعيد : حدثنا موسى بن إسماعيل
 ثنا ابن هلال عن قتادة . قال قال معاوية : يا عجبا للحسن بن علي !! شرب شربة غسل يمانية بماء
 رومة فقتضى نجبه ، ثم قال لابن عباس : لا يسؤك الله ولا يحزنك في الحسن بن علي ، فقال ابن عباس
 لمعاوية : لا يحزنني الله ولا يسوءني ما أبقي الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً
 وأشياء ، وقال : خذها فاقسمها في أهلك . وقال أبو الحسن المدايني عن سلمة بن محارب قال : قيل
 لمعاوية أيكم كان أشرف ، أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنا أكثر أشرافاً وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم
 يكن في بني عبد مناف مثل هاشم ، فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، وكان فيهم
 عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ، ولم يكن فيهم واحد
 كواحدنا ، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا : منا نبي ، فجاء نبي لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ،
 محمد (ص) ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟ . وروى ابن أبي خيثمة عن موسى بن إسماعيل
 عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر بن العاص قصّ
 على معاوية مناماً رأى فيه أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسبون على ما وكّوه في أيامهم ، ورأى معاوية
 وهو موكل به رجلان يحاسبانه على ما عمل في أيامه ، فقال له معاوية : وما رأيت ثم دنابر مصر ؟
 وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي . قال : دخل عمرو على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه
 تمزية له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص : —

تموت الصالحون وأنت حي * نخطأك المنايا لا تموت

فقال له معاوية : —

أترجو أن أموت وأنت حي * فليست بميتٍ حتى تموت

وقال ابن السكّال قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فانه لا يرضيه إلا
 زوالها ، وقال الزهري عن عبد الملك عن أبي بحرية . قال قال معاوية : المروءة في أربع ، العفاف
 في الاسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الأخوان ، وحفظ الجار . وقال أبو بكر الهذلي : كان معاوية
 يقول الشعر فلما ولي الخلافة قال له أهله : قد بلغت الغاية فإذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال : —

صرمتُ سفاهتي وأرحتُ حلمي * وفيّ على تحملي اعتراض

على أني أجيبُ إذا دعيتُ * إلى حاجاتها الحق المراض

وقال مغيرة عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه . وكذا

روى عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية . وقال أبو المليح عن
 ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية واستأذن الناس في الجلوس . وقال قتادة عن سعيد بن
 المسيب : أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية . وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة
 لا أغلق لها ، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية . وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري : مضت
 السنة أن لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى
 بذلك بنو أمية بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة ، وأعاد هشام ما قضى به معاوية
 وبنو أمية من بعده ، وبه قال الزهري ، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية
 أول من قصرها إلى النصف ، وأخذ النصف لنفسه . وقال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال :
 سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله (ص) ، فقال لي : اسمع يا زهري ، من مات محباً لأبي
 بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية ، كان حقاً على الله أن لا يناقشه
 الحساب . وقال سعيد بن يعقوب الطالقاني : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : تراب في أنف
 معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال محمد بن يحيى بن سعيد : سئل ابن المبارك عن معاوية
 فقال : ما أقول في رجل قال رسول الله (ص) : سمع الله لمن حمده ، فقال خلفه : ربنا ولك الحمد ،
 فقيل له : أيهما أفضل ؟ هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول الله
 (ص) خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال غيره عن ابن المبارك قال معاوية : عندنا محنة فمن
 رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القول - يعني الصحابة - وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي
 وغيره : سئل المعافى بن عمران أيهما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل :
 أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ معاوية صاحبه وصهره وكتابه وأمينه على وحي
 الله . وقد قال رسول الله (ص) : « دعوا لي أصحابي وأصهارى ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
 والناس أجمعين » . وكذا قال الفضل بن عتيبة . وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي : معاوية ستر
 لأصحاب محمد (ص) ، فإذا كشف الرجل السترا جترأ على ما وراءه . وقال الميموني قال لي أحمد بن
 حنبل : يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام . وقال الفضل
 ابن زياد : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمر بن العاص أيقال له رافضى ؟ فقال :
 إنه لم يجترأ عليهما إلا وله خبيثة سوء ، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء .
 وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة . قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب
 إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية ، فانه ضربه أسوأطاً . وقال بعض السلف : بينما أنا على جبل بالشام
 إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصديق فذاك زنديق ، ومن أبغض عمر فإلى جهنم زمرا ، ومن

أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمن ، ومن أبغض علياً فذاك خصمه النبي ، ومن أبغض معاوية سحبه الزبانية ، إلى جهنم الحامية ، يرمى به في الحامية الهاوية . وقال بعضهم : رأيت رسول الله (ص) ، وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، إذ جاء رجل فقال عمر : يا رسول الله هذا يتنقصنا ، فكأنه اتهمه رسول الله (ص) ، فقال : يا رسول الله إني لا أنتقص هؤلاء ، ولكن هذا - يعني معاوية - فقال : « ويلك ! أو ليس هو من أصحابي ؟ قالها ثلاثاً ، ثم أخذ رسول الله (ص) حربة فناولها معاوية فقال : جابها في لبتة » فضربه بها وانقبت فبكرت إلى منزلي فاذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي . وروى ابن عساکر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتلى بحب الدنيا . وقال العتيبي : قيل لمعاوية أسرع إليك الشيب ؟ فقال : كيف لا ولا أزال أرى رجلاً من العرب قائماً على رأسه يلقي لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت بها البرود . وقال الشعبي وغيره : أصابت معاوية في آخر عمره لوقة [وروى ابن عساکر في ترجمة خديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلها عليه مجردة ، وبيده قضيب ، فجعل يهوى به إلى متاعها - يعني فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان لي متاع ، أذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ! ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي - وكان فقيهاً - فلما دخل عليه قال : إن هذه أتيت بها مجردة فأريت منها ذلك وذلك ، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ! فانها لا تصلح له ، فقال : نعم ما رأيت ، قال : ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزاري مولى فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وكان أسود فقال له : بيض بها ولذلك ، وهذا من فقه معاوية ونحره ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها ، فتخرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى [ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء] وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشي الدمشقي

[وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم في وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم في الطريق : إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فانه لا يحب ذلك ، فلما دخل عليه عمرو وقبلهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعز إليه أن يخوفهم في الدخول ويرعبهم ، وقال : إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء ؟ . فلما أدخلهم عليه - وقد أهانهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلما نهض عمرو من عنده قال : قبحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة .

وذكر أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعده في بناء داره باثني عشر ألف جنج من الخشب .

فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : ولم اتساعها ؟ قال : فرسخان في فرسخين ، قال : لا تقل داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة في داري . وذكر أن رجلاً دخل بابن معه فجلسا على سباط معاوية فجعل ولده يأكل كلاً ذريماً ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهيه عن ذلك فلا يظن ، فلما خرجا لأمه أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : ابن ابنك التلقامة ؟ قال : اشتكى . قال : قد علمت أن أكله سيورثه داء . قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة فجعل يزدرية ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك لا تخاطب العباءة ، إنما يخاطبك من بها . وقال معاوية : أفضل الناس من إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا وعد أنجز ، وإذا أساء استغفر . وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : إذا الرجال ولدت أولادها ، واضطربت من كبر أعضادها وجعلت أسقامها تعتادها ، فهي زروع قد دنا حصاها . فقال معاوية : نعى إلى نفسي [

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ! إن من زرع قد استحصد ، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير مني ، وإنما يليكم من هو شر مني ، كما كان من وليكم قبلي خيراً مني ، ويا يزيد إذا دنا أجل فول غسلي رجلاً ليبيّاً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الفسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله (ص) ، وقراصة من شعره وأظفاره ، فاستودع القراصة أنفي وفي ، وأذني وعيني ، واجعل ذلك الثوب مما يلي مجلدي دون لفافي ، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين ، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتوني في حفرتي نخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل يقول : -

لعمري لقد عمرت في الدهر رهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوائر
وأعطيت حرّ المال والحكم والنهي * ولي سلّ كلّ الملوك الجبار
فأضحى الذي قد كان مما يسرني * كحكم مضى في المزنات الغواير
فياليتني لم أعن في الملك ساعة * ولم أسمع في لذات عيش نواضر
وكنْتُ كذى طمرين عاش بيلغة * فلم يك حتى زار ضيق المقابر

وقال محمد بن سعد . أنبأنا علي بن محمد عن محمد بن الحكم عن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال - كأنه أراد أن يطيب له - لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله . وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقيل يغمه ، فأتخذ له

نوبا من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تباً لك من دار ، ملكتك أربعين سنة ،
عشرين أميراً ، وعشرين خليفة ، ثم هذا حالى فيك ، ومصيرى منك ، تباً للعالم والحبيبها . وقال
محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة عن أبي يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير . قال : لما ثقل معاوية
وتحدث الناس بموته قال لأهله : احشوا عيني إنمداً ، وأوسعوا رأسى دهناً ، ففعلوا وغرقوا وجهه
بالدهن ، ثم مهد له مجلس وقال : اسندونى ، ثم قال : إيدنوا للناس فليسلموا على قياما ولا يجلس
أحد ، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً متدهناً فيقول متقول الناس إن أمير المؤمنين
لما به وهو أصح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية فى ذلك : -

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعض
وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تيممة لا تنفع

قال : وكان به النقابة - يعنى لوقه - فمات من يومه ذلك رحمه الله . وقال موسى بن عقبة : لما نزل
بمعاوية الموت قال : ياليتنى كنت رجلاً من قریش بنى طوى ، ولم أَل من هذا الأمر شيئاً . وقال
أبو السائب الخزومى : لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر : -

إن تناقش يكن نقاشك يارب * عذاباً لا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز تجاوز العفو واصفح * عن مسيء ذنوبه كالتراب

وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل أهله يقلبونه فقال لهم : أى شيخ تقلبون ؟ إن نجاه الله من
عذاب النار غداً .

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية لما احتضر يضع خدماً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع
الخد الآخر ويكي ويقول : اللهم إنك قلت فى كتابك [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء] اللهم فاجعلنى فيمن تشاء أن تغفر له . وقال العتبى عن أبيه : تمثل معاوية عند موته
بقول بعضهم وهو فى السياق

هو الموت ، لا منجاة من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وتجاوز بحملك عن جهل من لم يرج غيرك ، فانك
واسع المغفرة ، ليس لذى خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك . ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن
أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله ، وزاد : ثم مات . وقال غيره : أغمى عليه ثم أفاق
فقال لأهله : اتقوا الله فان الله تعالى يقى من اتقاه ، ولا يقى من لا يتقى ، ثم مات رحمه الله . وقد
روى أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل . قال : لما مات معاوية صعد الضحاك بن قيس المنبر فخطب
الناس - وأكفان معاوية على يديه - فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذى كان سور

العرب وعونهم وخدمهم ، قطع الله به الفتنة ، وملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قدم مات وهذه أ كفافه ، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ، ثم هول البرزخ إلى يوم القيامة ، فن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويستحثه على المجيء .

ولاخلاف أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين . فقال جماعة : ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وقيل ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . قاله ابن إسحاق وغير واحد ، وقيل لأربع خلت من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم لمسهل رجب ، قال محمد بن إسحاق والشافعي : صلى عليه ابنه يزيد ، وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفن في ثوب رسول الله (ص) الذي كساه إياه ، وكان مُدْخِراً عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامه أظفاره في فمه وأنفه وعينه وأذنيه . وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائباً فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن فقيلاً بدار الامارة وهي الخضراء ، وقيل بمقابر باب الصغير ، وعليه الجمهور قاله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر والله أعلم . ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية - وكان يزيد بحوارين - فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بخنق وعليه الحزن ظاهر ، فسلم عليه الناس بالامارة وعزوه في أبيه ، وهو يخفض صوته في رده عليهم ، والناس صامتون لا يتكلم معه إلا الضحاك بن قيس ، فأنهى إلى باب توما ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ، فأجازه مع السور حتى انتهى إلى الباب الشرقي ، فقيلاً : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى الباب الصغير فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلما وصل إلى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انقل ، فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب .

ثم دخل البلد وأمر فنودي في الناس إن الصلاة جامعة ، ودخل الخضراء فاغتسل ولبس ثياباً حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس ! إن معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممن بعده ودون من قبله ، ولا أركيه على الله عز وجل فإنه أعلم به ، إن عني عنه فيرحته ، وإن عاقبه فيذنبه ، وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طلب ، ولا أعتذر من تفريط ، وإذا أراد الله شيئاً كان . وقال لهم في خطبته هذه : وإن معاوية كان يفرجكم في البحر ، وإنى لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر ، وإن معاوية كان يشتبكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بأرض الروم ، وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون

عليه أحداً . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية وهو مريض إلى ابنه يزيد ، فلما جاءه البريد ركب وهو يقول : -

جاءَ البريدَ بقرطاسٍ يخبُّ به * فأوجسُ القلبُ من قرطاسِهِ فزعا
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم * قال الخليفةُ أمسى مثقلاً وجعا
فادت الأرضُ أو كادتْ تميدُبنا * كأنَّ أغبرَ من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا إلى خوصٍ مضمرٍ * نرمى الفجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالي إذا بَلَّغْنَ أرجلنا * ما ماتَ منهنَّ بالمرماتِ أو طلعا
لما انتهينا وبابُ الدارِ منصفٍ * بصوتِ رملَةٍ ريعَ القلبُ فانصدعا
من لا تزلُ نفسه توفى على شرفٍ * توشكُ مقاليدُ تلك النفسِ أن تقعا
أودى ابنُ هندٍ وأودى المجديتبعه * كأننا جميعاً خليطاً سالمين معا
أغرَّ أبلجٌ يستسقي النعمانَ به * لو قارعَ الناسَ عن أحلامهم قرعا
لا يرقعَ الناسَ ما أوهى وإن جهدوا * أن يرقعوه ولا يوهونَ ما رقعا

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين من الأعشى ، ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق وأنه أوصى إليه ، وهذا قد قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس كما قدمناه والله أعلم . وقال أبو الورد العنبري يرثي معاوية رضي الله عنه : -

ألا أنعى معاويةَ بنَ حربٍ * نعمةَ الحلِّ للشهرِ الحرامِ
نعماءَ الناعياتِ بكلِّ فجٍ * خواضعُ في الأزيمةِ كالسهامِ
فهايتك النجومُ وهُنَّ خرسٌ * ينحنُ على معاويةَ الهمامِ
وقال أيمن بن خريم يرثيه أيضا : -

رمى الحدَّانِ نسوةَ آلِ حربٍ * بمقدارِ سمنٍ له سمودا
فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضاً * وردَّ وجوههنَّ البيضُ سودا
فأنك لو شهدت بكاءَ هندی * ورملةٌ إذ يصفقن الخدودا
بكيتَ بكاءَ معولةٍ قريحٍ * أصابَ الدهرُ واحدها الفريدا

ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وكان ضعيف العقل ، وأمهما فاختة بنت قرظة ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعدها ، وهي كنوة بنت قرظة وهي

التي كانت معه حين افتتح قبرص ، وتزوج نائلة بنت عمار الكلبية فأعجبته وقال ليسون بنت
بجمل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك ، فدخلت فسالها عنها فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكن
رأيت تحت سرتها خلا ، وإني لأرى هذه يقتل زوجها ويضع رأسه في حجرها . فطلقها معاوية
فتزوجها بعده حبيب بن سلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه في
حجرها . ومن أشهر أولاده يزيد وأمه مبسون بنت بجمل بن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبي ، وهي
التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة
وعقلا ودينا ، دخل عليها معاوية يوما ومعه خادم خصي فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟
فقال : إنه خصي فظهرى عليه ، فقالت : ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه ، وحجبت عنها .
وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مثلتك له لن تحل ما حرمه الله عليه ، فلهذا أولى الله ابنها يزيد
الخليفة بعد أبيه . وذكر ابن جرير أن ميسون هذه ولدت لمعاوية بنتا أخرى يقال لها : أمة رب
المشارق ، ماتت صغيرة ، ورملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة
السملك تجاه زقاق الرمان ، قاله ابن عساكر قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن ، وهند بنت معاوية
تزوجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه
وأبت أشد الأباء ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجوارى صوتها صرخن وعلت أصواتهن ، فسمع
معاوية فنهض إليهن فاستعلمهن ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحننا ، فدخل فاذا بها تبكي
من ضربه ، فقال لابن عامر : ويحك ! ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من
هنا ، فخرج ابن عامر وخلاها معاوية فقال لها : يا بنية إنه زوجك الذي أحله الله لك ، أو ما سمعت
قول الشاعر : -

من الخفريات البيضُ أما حرامها * فصعبٌ وأما حلها فذلولُ ؟

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهدت لك خلعها ووطأته . فدخل ابن عامر
فوجدتها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها رحمهم الله تعالى .

كان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلما حضره الموت أشار على معاوية
بتولية فضالة بن عبيد ، ثم مات فضالة فولى أبا إدريس الخولاني . وكان على حرسه رجل من الموالي
يقال له المختار وقيل مالك ، ويكنى أبا المخارق - مولى حمير - وكان معاوية أول من اتخذ الحرس ،
وعلى حجابته سعد مولاه وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زميل بن عمرو العنزي ، ثم الضحاك بن

قيس الفهرى ، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومى . وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وختم الكتب

ومن ذكر أنه توفي في هذه السنة - أعنى سنة ستين - (صفوان بن المعطل) بن رخصة بن المؤمل ابن خزاعي أبو عمرو ، وأول مشاهده المريسيع ، وكان في الساقة يومئذ ، وهو الذى رماه أهل الافك بأم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا ، وكان من سادات المسلمين ، وكان ينام نوما شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله (ص) : « إذا استيقظت فصل » وقد قتل صفوان شهيداً .

ابو مسلم الخولاني

عبد بن ثوب الخولاني من خولان ببلاد اليمن . دعاه الأسود العنسى إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فأجج له ناراً وألقاه فيها فلم تضره ، وأنجاه الله منها فكان يشبهه إبراهيم الخليل ، ثم هاجر فوجد رسول الله (ص) قد مات ، فقدم على الصديق فأجلسه بينه وبين عمر وقال له عمر : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى فى أمة محمد من فصل به كما فعل إبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيه ، وكانت له أحوال ومكاشفات والله سبحانه أعلم . ويقال إنه توفي فيها النعمان بن بشير ، والأظهر أنه مات بعد ذلك كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه

بويع له بالخلافة بعد أبيه في رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة ، فأقر نواب أبيه على الأقاليم ، لم يعزل أحداً منهم ، وهذا من ذكائه . قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي الأخبارى : ولّى يزيد فى هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، وأمير الكوفة النعمان بن بشير ، وأمير البصرة عبد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همّة حين ولّى إلا البيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له ، فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ومات برّاً تقياً والسلام .

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذن الفأرة : أما بعد فنحن حديننا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام . فلما آتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه ، فبعث إلى مروان ققرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعوهم قبل أن يعلوا بموت معاوية إلى البيعة ، فإن أبو ضربت أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير - وهما في المسجد - فقال لهما : أجييا الأمير ، فقالا : انصرف الآن نأتيه ، فلما انصرف عنهما قال الحسين لابن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد هلك ، قال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير فاستأذن فأذن له ، فدخل وحده ، وأجلس مواليه على الباب ، وقال : إن سمعتم أمراً يريكم فادخلوا ، فسلم وجلس ومروان عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر ، فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين : إن مثلي لا يبايع سرا ، وما أراك تجترى مني بهذا ، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً ، فقال له الوليد - وكان يحب العافية - فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرن القتل بينكم وبينه ، فاحبسه ولا تخرجه حتى يبايع وإلا ضربت عنقه ، فنهض الحسين وقال : يا ابن الزرقاء أنت تقتلني ؟ كذبت والله وأنت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله لا تراه بعدها أبداً . فقال الوليد : والله يا مروان ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل حسينا أن قال لا أبايع ؟ والله إني لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة . وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فامتنع عليه وما طله يوماً وليلة ، ثم إن ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفرا وسار إلى مكة على طريق الفرع ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدرُوا على رده ، وقد قال جعفر لأخيه عبد الله وهما سائران متمثلا بقول صبرة الحنظلي : -

وكلُّ بني أمِّ سيمسونَ ليلةٌ * ولم يبقَ من أعقابهم غير واحدٍ

فقال : سبحان الله ! ما أردت إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردت به شيئا يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إلي ، قالوا وتطير به . وأما الحسين بن علي فإن الوليد تشاغل عنه بابن الزبير وجعل كلما بعث إليه يقول حتى تنظر وتنظر ، ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد ليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية ، فانه قال له : والله يا أخي لانت أعز أهل الأرض علي ، وإني ناصح لك لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس فاذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل مصر ، وإن أبيت إلا سكني المصر فاذهب إلى مكة ، فإن رأيت مأجب وإلا ترفعت

إلى الرمال والجبال فقال له: جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت، وسار الحسين إلى مكة فاجتمع هو وابن الزبير بها، وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع يزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: إنما تريد أن تختلف الناس ويقتتلون حتى يتفانوا، فإذا لم يبق غيرك يا بعوك؟ فقال ابن عمر: لا أحب شيئاً ما قلت، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت، وكانوا يتخوفونه. وقال الواقدي: لم يكن ابن عمر بالمدينة حين قدم نعي معاوية، وإنما كان هو وابن عباس بمكة فلقبهما وهما مقبلان منها الحسين وابن الزبير، فقال: ما وراءكما؟ قالوا: موت معاوية والبيعة ليزيد بن معاوية، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين، وقدم ابن عمر وابن عباس إلى المدينة فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر مع الناس، وأما الحسين وابن الزبير فأتتهما قدما مكة فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص نخافاه وقالوا: إنا جئنا عواذاً بهذا البيت.

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة، فقدم المدينة في رمضان، وقيل في ذي القعدة، وكان متألفاً متكبراً، وسلط عمرو بن الزبير - وكان عدواً لأخيه عبد الله - على حربه وجرده له، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير. وقد ثبت في الصحيحين أن أبا شريح الخزاعي قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: إني نذرت لي أنها الأمير أن أحدثك حديثاً قام به رسول الله (ص)، القد من يوم الفتح، سمعته أذنائي ووعاه قلبي حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه وقال: «إن مكة حرما لله ولم يحرمها الناس، وإنه لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلي، ولم تحل لأحد بعدى، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، ثم قد صارت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب». وفي رواية «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله (ص) فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم» فقبل لأبي شريح: ما قال لك؟ فقال: قال لي نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة.

قال الواقدي: ولي عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرو بن الزبير فتبع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير، وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة، فضرب المنذر بن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم، ضربهم من الأربعين إلى الحسين إلى الستين جلدة، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس من مكة ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلب ابن الزبير، وأنه لا يقبل منه وإن

بايع حتى يؤتى به إلى في جامعة^(١) من ذهب أو من فضة تحت برنسه ، فلا ترى إلا أنه يسمع صوتها ، وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد الخزومي من أن يصلي بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمم عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه من هو أنكى له مني ، فعينه على تلك السرية وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعائة مقاتل . وقال الواقدي : إنما عينهما يزيد بن معاوية نفسه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد ، فعسكر أنيس بالجرف وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزو مكة وأن يترك ابن الزبير بها ، فانه عما قليل إن لم يقتل يمت ، فقال أخوه عمرو بن الزبير : والله لنغزونه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم . فقال مروان : والله إن ذلك ليسرني . فسار أنيس واتبعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأبطح ، وقيل بداره عند الصفا ، ونزل أنيس بندي طوى ، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ، ويصلي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له : برمين الخليفة ، وأته وفي عنقك جامعة من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضا ، واتق الله فانك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعذك المسجد . وبعث عبد الله ابن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية في سرية فاقتلوا مع عمرو بن أنيس الأسلمي فهزموا أنيسا هزيمة قبيحة ، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تجير من في عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فانهما أبيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فمضى سجن عارم ، وقد قيل إن عمرو بن الزبير مات تحت السياط والله أعلم .

قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة

في طلب الأمانة وكيفية مقتله

ولنبداً قبل ذلك بشيء من ترجمته ثم تتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله .

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي ، السبط الشهيد بكر بلاء ابن بنت رسول الله (ص) ، فاطمة الزهراء ، وريحانته من الدنيا ، ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة ، وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قتادة : ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء في الحرم سنة إحدى وستين ، وله

(١) الجامعة الغل بضم الغين . وهو ما يوضع في اليد أو العنق .

أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضى الله عنه . وروى عن النبي (ص) : أنه حنكه وتفل في فيه ودعاه وسماه حسيناً ، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حرباً ، وقيل جعفراً ، وقيل : إنما سماه يوم سابعه وعق عنه . وقال جماعة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله (ص) ، ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به ما بين أسفل من ذلك ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الخزاعي . قال : كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله (ص) ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله (ص) . وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة ، عن أنس . قال : كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ، قلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله (ص) . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي زياد : رأيت الحسين ؟ قال : نعم أسود الرأس واللحية إلا شعرات ههنا في مقدم لحيته ، فلا أدري أخضب وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله (ص) ، أولم يكن شاب منه غير ذلك ؟ وقال ابن جريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيت الحسين بن علي يصبغ بالوشمة ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد ، فأما الحديث الذي روى من طريقين ضعيفين أن فاطمة سألت رسول الله (ص) في مرض الموت أن ينحلّ ولديها شيئاً فقال : « أما الحسن فله هينتي وسوددي ، وأما الحسين فله جرأتي وجودي » فليس بصحيح ، ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب المعتبرة ، وقد أدرك الحسين من حياة النبي (ص) خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث ، وقال مسلم بن الحجاج له رؤية من النبي (ص) ، وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : إنه تابعي ثقة ، وهذا غريب فلاّن يقول في الحسين إنه تابعي بطريق الأولى

وسند كرم ما كان رسول الله (ص) يكرمهما به ، وما كان يظهر من محبتهما والحنو عليهما . والمقصود أن الحسين عاصر رسول الله (ص) وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصديق يكرمه ويمظمه ، وكذلك عمر وعثمان ، وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في منازيه كلها ، في الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل ، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسد رأى أخيه في ذلك ، بل حثه على قتل أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم ، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرهما معاوية إكراماً زائداً ، ويقول لهما : مرحبا وأهلا ، ويعطيهما عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف ، وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله

لا يعطيكها أحد قبلي ولا بعدي ، فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين ينفذ إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه ، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد ، في سنة إحدى وخمسين . ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك ، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد ، بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمم على مخالفة الحسين وابن الزبير ، وخرجوا من المدينة فآووا إلى مكة فأقاموا بها ، فعكف الناس على الحسين يقدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حوله ، ويستمعون كلامه ، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد ، وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة ، وجعل يتردد في غيبت ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين ، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديرهم إياه عليه ، غير أنه قد تعينت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقضت السرايا عن مكة فلولين وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيديين ، وضرب أخاه عمرًا وسجنه واقتص منه وأهانته ، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتهر أمره وبعد ضيقه ، ومع هذا كله ليس هو معظمًا عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لانه السيد الكبير ، وابن بنت رسول الله (ص) ، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة الزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد ، ومسير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد - فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وال ، معهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقدموا على الحسين لعشر مضي من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفرًا منهم قيس بن مسهر الضدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن السكا الأرحبي ، وعمار بن عبد الله السلولي ، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السير إليهم ، وكتب إليه شيث بن ربي ، وحجار بن أبيجر ، ويزيد بن الحارث ابن رويم ، وعمرو بن حجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي : أما بعد فقد اخضرت الجنان وأينعت الثمار ولطمت الجمام ، فاذا شئت فأقدم على جندك مجندة والسلام عليك . فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليأبى لهم عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ويتكلمون في دونه ، وأنهم

لما يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم ، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحماً وأمرأ حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك ، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسارا به على براري مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك ، وذلك من شدة العطش ، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له المضيق ، من بطن خبيث ، فتطير به مسلم بن عقيل ، فكتب مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر فكتب إلى الحسين يستشير في أمره ، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخير خبرهم . فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي ، وقيل نزل في دار المختار ابن أبي عبيد الثقفي فله أعلم . فتسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصره بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدّم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور ، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سذكروه . وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خبره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعأ به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسنة ، وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب على ، ولا آخذكم بالغلظة ، ولكن والله الذي لا إله إلا هو لئن فارقت إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنكم مادام في يدي من سبي قائمته . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي فقال له : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة ، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأقوياء الأعزى في معصية الله . ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة ابن عتبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، فبعث يزيد فزول النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد يستشير ، فقال سرجون : أ كنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً ؟ قال : نعم ! قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد ، فوله إياها . وكان يزيد ينفذ عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريد الله به وبغيره .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفضه ، وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى

الكوفة ، فلما دخلها دخلها مثلثا بعمامة سوداء ، فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه - وتكثر الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر ركبا ، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد : تأخروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد ، فلما علموا ذلك علمهم كآبة وحزن شديد ، فتحقق عبيد الله الخبير ، ونزل قصر الأمارة من الكوفة ، فلما استقر أمره أرسل مولى أبي رهم - وقيل كان مولى له يقال له معقل - ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها ، وهي دار هاني بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى ، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياماً حتى اطلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبي نمارة العامري بأمر مسلم بن عقيل - وكان هو الذي يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشتري السلاح - وكان من فرسان العرب ، فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها ، وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هاني بن حميد بن عروة المرادي ، ثم إلى دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هاني يقول له : ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقول عبيد الله إذا جاء يعودني ، فبعثه إليه فقال له شريك : كن أنت في الخباء ، فإذا جلس عبيد الله فاني أطلب الماء وهي إشارتي إليك ، فاخرج فاقتله ، فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هاني بن عروة ، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران ، فتحدث عنده ساعة ثم قال شريك : اسقوني ، فتجنب مسلم عن قتله ، وخرجت جارية بكوز من ماء فوجست مسلماً في الخباء فاستحييت ورجعت بالماء ثلاثاً ، ثم قال : اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي أحموني من الماء ؟ ففهم مهران القدر فغمز مولاة فنهض سريراً وخرج ، فقال شريك : أيها الأمير ، إني أريد أن أوصي إليك ، فقال : سأعود ! نخرج به مولاة فأركبه وطرد به - أي ساق به - وجعل يقول له مولاة : إن القوم أرادوا قتلك فقال : ويحك إني بهم لرفيق . فسا بالهم ؟ وقال شريك لمسلم : مامنك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغني عن رسول الله (ص) ، أنه قال « الإيمان ضد الفتك ، لا يفتك مؤمن » وكرهت أن أقتله في بيتك ، فقال : أما لو قتلته لجلست في القصر لم يستعد منه أحد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظالماً فاجراً ، ومات شريك بعد ثلاث . ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم ، فأغلق باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، فقال له عبيد الله : افتح لافتحته ، ففتح وهو يظنه الحسين ، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده ، فدخل عبيد الله إلى قصر الأمارة وأمر منادياً فنادى : إن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن

أمير المؤمنين قد ولائى أمركم وتفرم وفاقاًكم ، وأمرنى بأنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممثّل فيكم أمره ومنفذ عهده ، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق ، وأما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نقي وأسقطت عرافته من الديوان - وكان هانىء أحد الامراء الكبار - ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : ما بال هانىء لم يأتنى مع الامراء ؟ فقالوا : أيها الأمير إنه يشتكى ، فقال : إنه بلغنى أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عادته قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده ، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هانىء لكونه فى داره ، فجاء الامراء إلى هانىء بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت عبيد الله إلى القاضي شريح فقال متمثلاً بقول الشاعر :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قَتلى * عذيرُكَ منْ خليلِكَ منْ مرادٍ

فلما سلم هانىء على عبيد الله قال : يا هانىء أين مسلم بن عقيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التميمي الذى دخل دار هانىء فى صورة قاصد من حمص فبايع فى داره ودفع الدراهم بحضرة هانىء إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! فلما رآه هانىء قطع وأسقط فى يده ، فقال : أصاح الله الأمير ، والله ما دعوته إلى منزلى ، ولكم جاء فطرح نفسه على ، فقال عبيد الله : فأتنى به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، فقال : أدنوه منى ، فأدنوه فصر به بحربة على وجهه فشجه على حاجبه وكسر أنفه ، وتناول هانىء سيف شرطى ليسله فدفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحل الله لى دمك ، لانك حرورى ، ثم أمر به فحبسه فى جانب الدار وجاء قومه من بنى مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل ، فسمع عبيد الله لهم جلبة ، فقال اشريح القاضي وهو عنده : اخرج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل ، فقال لهم : إن صاحبكم حى وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فنفروا إلى منازلهم ، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب وفادى بشعاره « يا منصور امت » وافتجع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبى عبيد ، ومعه راية خضراء ، عبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو فى القلب إلى عبيد الله ، وهو يخطب الناس فى أمر هانىء ويحذرهم من الاختلاف ، وأشرف الناس وأمرأؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون : جاء مسلم بن عقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله فى القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهددوهم وتوعدوهم ،

وأخرج عبيد الله بعض الامراء وأمرهم أن يركبوا في السكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه : كأنك غداً بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصرموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفس ، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً ، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه فبقى وحده ليس معه من يده على الطريق ، ولا من يؤانسه بنفسه ، ولا من يأويه إلى منزله ، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدرى أين يذهب ، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طووعة ، كانت أم ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد ، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنظره ، فقال لها مسلم بن عقيل : اسقني ماء فسقته ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى ! قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك ، فقام فقال : يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل إلى أجر ومعرفة وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبد الله وما هو ؟ قال أنا مسلم بن عقيل ، كذبتني هؤلاء القوم وغرّوني ، فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم ! قالت ادخل ! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فآراها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها فقالت : يا بني اله عن هذا ، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً ، فأخبرته خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلم . وأما عبيد الله بن زياد فانه نزل من القصر بمن معه من الامراء والاشراف بعد العشاء الآخرة فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه ، ومن وجد عنده ولم يعلم به قدمه هدر ، ومن جاء به فله دية ، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهدهم . فلما أصبح ابن تلك المعجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسار آباءه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارك به ؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال : قم فأتني به الساعة . وبعث ابن زياد عمر بن حريث الخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأصيبت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنا القصب فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده ، وجاؤا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ،

فئس من نفسه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض من حوله : إن من يطلب مثل الذى تطلب لا يبكى إذا نزل به هذا ، فقال : أما والله لست أبكى على نفسى ، ولسكن أبكى على الحسين ، وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة ، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن سئطمت أن تبعث إلى الحسين على لسانى تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصق الرسول فى ذلك ، وقال : كل ما حم الاله واقع . قالوا : ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعة من الامراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضب بالدماء فى وجهه وثيابه ، وهو مشخن بالجراح ، وهو فى غاية العطش ، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك : والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا ابن ناهلة ، أنت أولى بالحميم والخلود فى نار الجحيم منى ، ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش ، فبعث عمار بن عقبة بن أبى معيط مولى له إلى داره فجاء بقلعة عليها منديل ومعه قدح ، فجعل يفرغ له فى القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التى تملو على الماء مرتين أو ثلاثا ، فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقى لى من الرزق المقسوم شربة ماء ، ثم أدخل على ابن زياد ، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه ، فقال له الحرسى : ألا تسلم على الأمير ؟ فقال : لا ، إن كان يريد قتلى نلا حاجة لى بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلى فسأسلم عليه كثيراً ، فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض ؟ قال : كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : وما أنت وذاك يا فاسق ؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا أشرب الخمر ! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلت بغير علم ، وأنت أحق بذلك منى ، [فأتى لست كما ذكرت ، وإن أولى بها منى من يبلغ فى دماء المسلمين ولغا ، ويقتل النفس التى حرم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظن ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئا . فقال له ابن زياد : يا فاسق إن نفسك تمنحك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يرك أهله ، قال : فن أهله يا ابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن أن لكم فى الأمر شيئا ؟ قال : لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين . قال له : قتلتى الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام من الناس . قال : أما إنك أحق من أحدث فى الاسلام ما لم يكن فيه ،

أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً ، ومسلم ساكت لا يكلمه رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة . ثم قال له ابن زياد : إني قاتلك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي ، قال : أوص . فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص . فقال : يا عمر إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سرفقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد ، فقام فتنحى قريباً من ابن زياد فقال له مسلم : إن علي ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني ، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وأبعث إلى الحسين ، فإني كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً ، فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله ، وقال : أما الحسين فانه لم يردنا لا نردة ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غررنا وخذلونا ، ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير ابن حمران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهائي بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكناسة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة : -

فان كنت لا تدبرن ما الموت فأنظري * إلى هائي في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الامام فأصبحا * أحاديث من يغشئ بكل سبيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوي في طمار قتيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سأل كل مسيل
فان أنتم لم تثاروا بأخيك * فكونوا بغياً أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معها أناساً آخرين ، ثم بعث برؤسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة يوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتن والتفرق ، وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي . قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشرف أهل البصرة فيه : أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهل وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه

في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا من تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحرروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم ، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ، فتسمعوا قولی وتطيعوا أمری ، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله . وعندی في صححة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرز بكلام مرید من بعض رواة الشيعة . قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتبه إلا المنذر بن الجارود فإنه ظن أنه دسيصة من ابن زياد فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فوالله ما بي تقرن الصعبة ، وما يقع لي بالشنان ، وإني لنكال لمن عاداني ، وسهام لمن حاربني ، أنصف « القارة » ^(١) من دهاها ، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، وإياكم والخلاف والارجاف ، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ، ولا آخذن الأذى بالأقصى ، حتى يستقيم لي الأمر ، ولا يكن فيكم مخالف ولا مشاقق ، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ، ولم يتزعنى شبه خال ولا عم . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم ابن عمرو الباهلي فكان من أمره ماتقدم .

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال : كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد ، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة ، وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية وفي رواية ذكرها ابن جرير أن مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد الله بن عباس السلمي . إن من يطلب مثل ما يطلب لا يبكي إذ أنزل به مثل الذي نزل بك ، قال : إني والله مالنفسى أبكي ، ومالها من القتل أدنى ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكنني أبكي لأهل المقبلين إلى الكوفة ، أبكي الحسين وآل حسين ، ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك ستمعجز عن أماني ، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عن رسالة ؟ فاني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، وإن ماتراه من جزعى لذلك ، فتقول له : إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم

أسير لا يدرى أيصبح أم يمسي حتى يقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يفرنك عصا الكوفة فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأى ، فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أنى قد أمنتك . قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بنى مالك بن ثمامة - وكان شاعراً - فقال له : اذهب فالتق حسينا فأبلغه هذا الكتاب - وكتب فيه الذى أمره به ابن عقيل - ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره ، فخرج حتى لقي الحسين بربالة ، لاربعة ليال من الكوفة فأخبره الخبر وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : كل ما حم نازل ، عند الله نحتسب وأنفسنا وفساد أمتنا . ولما انتهى مسلم إلى باب القصر وأراد شرب الماء قال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها ؟ والله لاتذوقها أبداً حتى تذوق الحميم فى نار جهنم . فقال له ابن عقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لامامه إذ غشسته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي . فقال له مسلم : لأملك الويل ! ما أجفاك وأفظك ، وأغلظك يا ابن ناهلة !! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسل بينهم وبينه ، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله ، ثم وقع فى غيبون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل ، والحسين لا يعلم بشئ من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد - فان ساء ما قتل يوم عرفة - ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذروه منه ، وأشار عابده ذؤود الرأى منهم والمحبة له بمدم الخروج إلى العراق ، وأمروه بالمقام بمكة ، وذكروه ماجرى لأبيه وأخيه معهم . قال سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس . قال : استشارنى الحسين بن على فى الخروج فقلت : لولا أن يرمى بى وبك الناس لثبثت يدي فى رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذى رد على أن قال : لأن أقتل فى مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة . قال : فكان هذا الذى سلى نفسه عنه **وروى** أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالى عن عقبة بن سمان . أن حسينا لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لى ما أنت صانع ؟ فقال : إني قد أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حى وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله نجى بلادهم ، فانهم إنما دعوك للفننة والقتال ، ولا آمن عليك

أن يستفروا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك . فقال الحسين : إني أستخير الله وأنظر ما يكون . فخرج ابن عباس عنه ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحمن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بانيان السكوفة ، ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشرفها بالقدم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . فلما خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر مئى شئ ، وأن الناس لم يعدلوا بي غيرى ، فود أنى خرجت لتخلوه . فلما كان من العشى أو من الغد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له يا ابن عم ! إني أتصبر ولا أصبر ، إني أخوف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم وبث دعائك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما نحب . فقال الحسين : يا ابن عم ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنى قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بد ساراً فلا تسرباً ولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعنى وأقت لفعلت ذلك . قال : ثم خرج من عنده فلقى ابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ؟ ثم قال :

يالك من قنبرة بمعمر * خلاك الجوفى فضى واصفرى
وقرى ماشئت أن تنقرى * صيادك اليوم قتيل فابشرى

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز وقال غير واحد عن شابة بن سوار . قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدى قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن على قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير وكتب ، فقال : هذه كتبهم ويبيعهم ، فقال : لاتأهم ، فأبى . فقال ابن عمر : إني محدثك حديثاً ، إن جبريل أتى النبى (ص) فغيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ، والله ما يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم ، فأبى أن يرجع . قال فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل . وقال يحيى بن معين : حدثنا أبو عبيدة ثناء سليم بن حيان عن سعيد ابن مينا . قال : سمعت عبد الله بن عمر ويقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركته ما تركته يخرج

إلا أن يغلبني ، بيني هاشم فتح هذا الأمر ، وبينني هاشم يختم ، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان . قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أذعياء كذبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نص عليه غير واحد من الأئمة على ما سئد كره في موضعه إن شاء الله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن شريك عن بشر ابن غالب . قال قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ؟ فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن تستحل بي - يعني مكة - وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد الله أخبرني من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال : سمعت رجلاً يحدث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعناق إنهم معي ، فقال له ابن الزبير : أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ قال هشام : فسألت معمرًا عن الرجل فقال : هو ثقة . قال الزبير : وقال عمي : وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذي قال هذا . وقد ساق محمد بن سعد كاتب الواقدي هذا سياقاً حسناً مبسوطاً . فقال : أنبأنا علي ابن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ، وعن لوط بن يحيى العاصري عن محمد بن بشير الهمداني وغيره ، وعن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن هارون بن عيسى عن يونس بن إسحاق عن أبيه ، وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

قالوا : لما بايع الناس معاوية ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأبى عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى ، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيئوا بنا ، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا ، فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يجمع الإقامة عنهم . فجاءه أبو سبيد الخدرى فقال : يا أبا عبد الله ! إني لكم ناصح ، وإني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فاني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وأبغضتهم ، وملوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب ، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ، ولا صبر على السيف . قال : وقدم المسيب بن عتبة الفزارى في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأى أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطى الله أخى على نيته في حبه الكف ، وأن يعطيني على نيته

في حبي جهاد الظالمين وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً . فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أثبتت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أهلك وأخيك ، فأتق الله واذكر الميثاق ، فانك متى تكذني أكذك . فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير ، والحسنات لا يهدى لها إلا الله ، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة .

فقال معاوية : إن أترنا بأبي عبد الله لإشرا . وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك . قالوا : فلما احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فانه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمه ، وارفقه به ، يصلح لك أمره ، فان يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبايع الناس يزيد ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري عامر بن لؤي ، إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادع الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي ، فان أمير المؤمنين عهد إلى في أمره الرفق به واستصلاحه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البيعة ليزيد ابن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس ، ووثب الحسين فخرج معه ابن الزبير وقالوا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فترعها من رأسه ، فقال الوليد : إن هجنا بأبي عبد الله إلا شرا . فقال له مروان - أو بعض جلسائه - اقله ، فقال : إن ذلك لدم مضمون به مصون في بني عبد مناف . قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس فعدوا على البيعة ليزيد ، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجد ، فقال المسور بن مخرمة : عجل الحسين وابن الزبير يلفته ويرجيه ليخلو بمكة ، قدما مكة فقتل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحجر ، ولبس المعافى وجعل يحرض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك ، وكان ابن عباس ينهيه عن ذلك ، وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأمتعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخفونا عبيداً وخولا . قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين

من العمرة فقال لهما ابن عمر : أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس ، وتنظر
فان اجتمع الناس عليه فلم تشدا ، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان . وقال ابن عمر للحسين :
لا تخرج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرته الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك
بضعة منه ولا تنالها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن
على بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان
ينبغي له أن لا يتحرك ماعاش ، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس ، فان الجماعة خير . وقال له
ابن عباس : وأين تريد يا ابن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لكاره لوجهك هذا تخرج
إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملاة لهم ؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك .
وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقالت له : اتق الله في نفسك والزم بيتك
ولا تخرج على إمامك . وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي فأدركته بمثل فناشدته
الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه ، فقال : لا أرجع . وقال
جابر بن عبد الله : كلمت حسيناً فقلت : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ما حمدتم
ما صنعتهم فصأني . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له . وقال أبو سلمة
ابن عبد الرحمن : وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجعه على
ذلك ابن الزبير . وكتب إليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغرر بكتب أهل العراق وبقول ابن
الزبير : الحق بهم فانهم فاصروك . وقال له ابن عباس : لا تبرح الحرم فانهم إن كانت بهم إليك
حاجة فيضربون إليك أباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة . فجزاه خيراً وقال : أستخير
الله في ذلك . وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة
ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه . وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول
إنها سمعت رسول الله (ص) يقول : « يقتل الحسين بأرض بابل » فلما قرأ كتابها قال : فلا بد لي
إذا من مصرعي ومضي . وأناه بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : يا ابن عم قد
رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك
من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فأذكرك الله في نفسك .
فقال : جزاك الله يا ابن عم خيراً ، مهما يقضى الله من أمري يكن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه
راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله . وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل العراق
ويناشده الله إن شخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله (ص) ،
أمرني بأمر وأنا ماض له ، ولست بمخبر بها أحداً حتى ألقى عملي . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن

العاصي فائز الحرمين : إني أسأل الله أن يلهمك رشدك ، وأن يصرفك عما يرديك ، بلغني أنك قد عزمتم على الشخوص إلى العراق ، وإني أعيذك الله من الشقاق ، فإني إن كنت خائفاً فاقبل إلي ، فلك عندي الأمان والبر والصلة . فكتب إليه الحسين : إن كنت أردت بكتابك برى وصلتي فخرت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإني لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا نوجب لنا أماناً يوم القيامة عنده . قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر ونجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فأكفه عن السعي في الفرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش : -

يا أيها الراكب العادي مطيته * على غدا فرق في سبيلها فحم
أبلغ قريشاً على نأي المزاربها * بيني وبين حسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشد * عهد الإله وما توفي به الذمم
عنيت قومكم غمراً بأمكم * أم لعمرى حصان برة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد * بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم * من قومكم لهم في فضلها قدم
إني لأعلم أو ظناً كماله * والظن يصدق أحياناً فينتظم
أن سوف يترككم ماتدعون بها * قتل تهادكم العقبان والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ مسكت * ومسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون وقد بادت بها الأمم
فانصفوا قومكم لا تهلوكوا برحاً * فرب ذي برح زلت به القدم

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة وتطفي به النائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلاً وقال له : أنشدك أن تهلك غداً بحال مضية لاتأني العراق ، وإن كنت لا بد فاعلا فاقم حتى ينتفضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرون ، ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فآبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بن نسائه وبناته ، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان ، فأن الله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزري

ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تباصينا أقمت لفعلت ، ولكن لا أخال ذلك ما نملك . فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة وتستحل بي ، قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلى نفسي عنه قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو م غضب وابن الزبير على الباب ، فلما رآه قال : يا ابن الزبير قد آتى ما أحببت ، قرت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز . ثم قال :

يالك من قنبرة بمعبر * خلالك الجوف فيضى واصفري

ونفري ماشئت أن تنفري * صيادك اليوم قتيل فابشري

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بني عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفية ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأى يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد ، وقال : ترغب بولئك عن موضع أصاب فيه ؟ فقال : وما حاجتي إلى أن تصاب ويصابون معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم ؟ قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجهاً إليهم في أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته ، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة ، فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة . وفاطمة بنت رسول الله (ص) ، والله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فأياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما يسترق العبيد ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه . قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت أنت به من بين العمال ، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعبس ، قتلته ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتي وفي رواية أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغني أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق ، فضع المناظر والمسلح ، واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة ، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلي في كل ما يحدث من خير والسلام .

قال الزبير بن بكار : وحدثني محمد بن الضحاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مر بباب المسجد الحرام وقال :

لاذعرت السوام في فلق الصبح * مغيراً ولا دعيت يزيداً
يوم أعطى مخافة الموت ضيماً * والمنايا ترصدني أن أحيداً

وقال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبي خيشمة عن عدي بن حرمة الأسدي عن عبد الله ابن سليم والمنذر بن المشعل الأسديين قالا : خرجنا حاجين من الكوفة فقدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فاذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقم أقمت فوليت هذا الأمر فوارثك وساعدناك ونصحنالك وبايعناك ؟ فقال الحسين : إن أبي حدثني أن لها كبشاً يستحل حرمتها يقتل ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وولني أنا الأمر فقطاع ولا تعصى ، فقال : وما أريد هذا أيضاً ، ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دُعاة الناس متوجين إلى منى عند الظهيرة ، قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة ، وقصر من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة وتوجهننا نحن مع الناس إلى منى .

وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سميان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد - يعني نائب مكة - عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف أين تريد ؟ فأبى عليهم ومضى ، وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط والعصى ، ثم إن حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فناداه : يا حسين ألا تتقي الله ؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟ قال : فتأول الحسين هذه الآية [لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون]

قال : ثم إن الحسين مر بالتنعيم فلقى بها عيراً قد بعث بها بجير بن زياد الحميري نائب اليمن قد أرسلها من اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها ورس وحلل كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم ، ثم ساق أبو مخنف بإسناده الأول أن الفرزدق لقي الحسين في الطريق فسلم عليه وقال له : أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب . فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقت ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه . وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته ، والتقوى سريره ، ثم حرك الحسين راحلته وقال :

السلام عليكم ثم افترقا . وقال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم عن ليطة بن غالب بن الفرزدق عن أبيه . قال : حججت بأمي فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين خارجا من مكة معه أسيافه وأتراسه ، فقلت له : بأبي وأمي يا ابن رسول الله ، ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لولم أعجل لأخنت ، ثم سألتني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس فقلت له : القلوب معك والسيوف مع بني أمية ، وذكر نحو ما تقدم . قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك فأخبرني بها قال . وإذا هو ثقيل اللسان من برسام كان أصابه بمن بالعراق قال : ثم مضيت فإذا فسطاط مضروب في الحرم وهيئة حسنة ، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني فأخبرته أني لقيت الحسين ، قال : فهلا اتبعته ؟ فان الحسين لا يحبك فيه السلاح ولا يجوز فيه وفي أصحابه . فندم الفرزدق وهم أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق به ، فلما بلغه أنه قتل لعن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر ، وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يحبك فيه السلاح ، أي السلاح الذي لم يقدر أن يقتل به ، وقيل غير ذلك وقيل أراد الهزل بالفرزدق . قالوا : ثم سار الحسين ليلوى على شيء حتى نزل ذات عرق . قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي . قال : لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد : أما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا ، فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلك اليوم طفئ نور الاسلام ، فانك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام . ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد نائب مكة فقال له : اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان ، وتمنيه في البر والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئت وأتني به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمته ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابعث معي أمانك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين فقرأ عليه الكتاب فأبى أن يرجع وقال : اني رأيت رسول الله - ﷺ - في المنام وقد أمرني فيها بأمر وأنا ماض له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لأحدث بها أحدا حتى ألقى ربي عز وجل .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن ذي الرمة ،

بعث قيس بن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، ففسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يقييكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولى فآكتموا أمركم وجدوا فإني قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد فإن الرائد لا يكتب أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابى هذا والسلام عليكم .

قال : وأقبل قيس بن مسهر الصيداوى بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن عمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له ابن زياد : اصعد إلى أعلا القصر فاسبب الكذاب ابن الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقت بالحاجر من بطن ذى الرمة ، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد ولباه ، واستغفر لعل والحسين . فأمر به ابن زياد فألقى من رأس القصر فتقطع ، ويقال بل تكسرت عظامه وبقي فيه بقية رمت ، فقام إليه عبد الملك بن عمير البجلي فذبجه ، وقال : إنما أردت إراحته من الألم ، وقيل إنه رجل يشبه غيبه الملك بن عمير وليس به ، وفى رواية أن الذى قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بقطر أخو الحسين من الرضاعة ، فألقى من أعلى القصر والله أعلم . ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشئ مما وقع من الأخبار قال أبو مخنف عن أبى على الأنصارى عن بكر بن مصعب المزنى . قال : وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه ، قال قال أبو مخنف عن أبى جناب عن عدى بن حرمله عن عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا : لما قضينا حجتنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مر برجل من بنى أسد فهم الحسين أن يكلمه ويسأله ثم ترك ، فحسنا ذلك الرجل فسألناه عن أخبار الناس فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما فى السوق . قالا : فلمحنا الحسين فأخبرناه فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً . فقلنا له الله الله فى نفسك . فقال : لا خير فى العيش بعدهما . قلنا : خار الله لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قد قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل ، وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبى طالب وقالوا : لا والله

لا ترجع حتى ندرك ثأرنا ، أو ندوق ماذاق أخونا. فسار الحسين حتى إذا كان بزورود بلغه أيضا مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : خذلنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذمام ، قال : فتنفرق الناس عنه أيادي سبا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على م يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه . قال : فلما كان السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه ، ثم سار حتى مر ببطن العقبة فنزل بها

وقال محمد بن سعد : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا جعفر بن سليمان عن يزيد الرشك قال : حدثني من شافه الحسين قال : رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسين قال فأتيتهم فاذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته ، قال قلت : بأبي وأمي يا ابن بنت رسول الله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟ فقال : هذه كتب أهل الكوفة إلى ولا أراهم إلا قاتلي ، فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها ، فيسلط الله عليهم من ينهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة - يعني مقنعتها - وأخبرنا علي بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قرة . قال قال الحسين : والله لتعتدن على كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدثنا علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي . قال قال الحسين : والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفى ، فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من ينهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة . فقتل بنيوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدى ثنا سفيان ثنا شهاب بن حراش عن رجل من قومه . قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين ، وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الديلم ، فعينهم ابن زياد وصرفهم إلى قتال الحسين ، فلقيت حسينا فرأيت أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله ، فقال : وعليك السلام - وكانت فيه غنة - فقال : لقد باتت فيكم سللة منذ الليلة - يعني سراقا - قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه وكانت فيه غنة - قال سفيان بن عيينة : وهى في الحسينيين

قال أبو مخنف عن أبي خالد الكاهلي . قال : لما صبحت الخيل الحسين بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجائى في كل شدة ، وأنت لى من كل أمر نزل ثقة وعدة ، فكم من هم يضعف فيه الغواد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، فأنزله بك



وشكوته إليك برغبة فيه إليك عن سواك ، ففرجته وكشفته وكفنيته ، فأنت لي ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن بعض مشيخته . قال قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا كربلاء ، قال : كرب وبلاء . وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : يا عمر اختر بي إحدى ثلاث خصال ، إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأي ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذى الجوشن : لا ! إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين : والله لا أفعل ، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذى الجوشن وقال له : إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقته وكن مكانه ، فقد وليتك الامرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله (ص) ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه .

وقال أبو زرعة : حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن حصين . قال : أدركت من مقتل الحسين قال : فحدثني سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماء رجل يقال له عمرو ابن خالد الطهوي بسهم ، فنظرت إلى السهم معلقاً بجنبته . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عمار الرازي حدثني سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام ثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إن معك مائة ألف . فبعث إليهم مسلم بن عقيل فدكر قصة مقتل مسلم كما تقدم . قال حصين : فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة حفظاً فلا يدعون أحداً يلبح ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشئ حتى أتى الأعراب فسألهم عن الناس فقالوا : والله لا ندري ، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج ، قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقت الخيول بكر بلاء فنزل يناشدهم الله والاسلام ، قال : وكان بعث إليه ابن زياد عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين بن نمير ، فناشدهم الله والاسلام أن يسروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فقالوا له : لا ! إلا أن تنزل على حكم ابن زياد ، وكان في جملة من معهم الحر بن يزيد الخطلي ثم النهشلي على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تتقون الله ؟ ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ، والله لو سألتكم هذا الترك والدليم ما حل لكم أن تردوهم فأبوا إلا حكم ابن زياد ؟ ف ضرب الحروجه فرسه وانطلق إلى الحسين ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم ، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كرت على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله . وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجباً فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخزومة

المرادى ورجلان آخران ، وهما عمرو بن الحجاج ومعن السلمي ، وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بني تميم يقال له عمرو الطهوي بسهم بين كتفيه ، فأتى لأمره إلى السهم بين كتفيه متعلقا بجيبته ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مائة رجل ، فيهم لصلب على خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سليم حليف لهم ، ورجل من بني كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حصين ، حدثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسارّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جويرة بن بدر التميمي وأمره إن لم تقتل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتلهم فحى برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شتم . قال : وجى بنسائه وبناته وأهله قال : وكان أحسن شيء صنعته أن أمرهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقا ، وأمرهم بنقعة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبي جعفر - فأتيا رجلا من طي فلقيا إليه مستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد ، قال : فهم ابن زياد بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت . قال : وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيته يبكي ويقول : لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا - يعني ابن زياد - قال الحصين : ولما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع قال أبو مخنف : حدثني لوذان حدثني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : أنشدك الله لما انصرفت راجعا ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد ينب عنك ولا يقاتل معك ، وإنما والله أنت قائم على الأسنة والسيوف ، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء ، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأيا ، فأما على هذه الصفة فإني لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس بخفي علي ما قلت وما رأيت ، ولكن الله لا يغلب على أمره ، ثم ارتحل قاصدا الكوفة . وقال خالد بن العاص : -

رُبَّ مستنصح يَفْشُ وُبردى * وظنين بالقيب يلتقي نصيحاً

وقد حجج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامل المدينة ومكة ليزيد ، وقد عزل يزيد عن إمارة المدينة الوليد بن عتبة وولاه عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ، فقتل في يوم عاشوراء من شهر المحرم من هذه السنة على المشهور الذي صححه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها والأول أصح .

وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا

الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب

قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عدي بن حرمة عن عبد الله بن حرمة عن عبد الله بن سليم والمذري ^(١) بن المشعل الأسديين قالا : أقبل الحسين فلما نزل شرف قال لغلمانه وقت السحر : استقوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار فسمع الحسين رجلا يكبر فقال له : مم كبرت ؟ فقال : رأيت النخيلة ، فقال له الاسديان : إن هذا المكان لم ير أحد منه نخيلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى : ذو حسم . فأخذ ذات اليسار إليها فترسل ، وأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التيمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ، حتى وقفوا في مقابلته في نحو الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يتروا من الماء ويسقوا خيولهم ، وأن يسقوا خيول أعدائهم أيضا . وروى هو وغيره قالوا : لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي فأذن ثم خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى ههنا ، بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام ، وإن أنت قدمت علينا بإيعانك وقتلنا معك ، ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال لا ! ولكن صل أنت ونحن نصلي وراءك . فصلى بهم الحسين ، ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهبته ، فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الادعياء السائرين فيكم بالجور . فقال له الحر : إنا لاندري ما هذه الكتب ، ولان من كتبها ، فأحضر الحسين خرجين مملوءين كتباً فنترها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك في شيء ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى تقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ! فركبوا وركب النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحر : ثكلتك أمك ، ماذا تريد ؟

فقال له الحر : أما والله لو غيرك يقولها لي من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها لأقتنص منه ، ولما تركت أمه ، ولكن لاسبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن ماقدّر عليه ، وتناول القوم وتراجعوا فقال له الحر : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإذا أبيت نخذ طريقا لا يقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، ففعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشئ من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العذيب والقادسية ، والحر بن يزيد يساره وهو يقول له : يا حسين إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى . فقال له الحسين : أقبالوت تخوفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ص . فقال : أين تذهب فانك مقتول ؟ فقال : -

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى * إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق خوفاً أن يعيش ويرغما

وبروى على صفة أخرى

سأمضي وما بالموت عارٌ على امرئ * إذا مانوى حقاً ولم يلف مجرماً
فإن مت لم أندم وإن عشت لم ألم * كفى بك موتاً أن تذلل وترغما

فلما سمع ذلك الحر منه تنحى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فأتهموا إلى عذيب الهجانات وإذا سفر أربعة - أي أربعة نفر - قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبون ويجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل قد أقبلوا من الكوفة يقصدون الحسين ودليلهم رجل يقال له الطرماح بن عدى راكب على فرس وهو يقول

يا نأقي لا تدعري من زجري * وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبانٍ وخير سفرٍ * حتى نحلى بكرم النجر
الماجر الحرّ رحيب الصدر * أتى به الله خير أمرٍ
نمت أبواه بقاء الدهر

فأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فتمعه الحسين من ذلك ، فلما خلصوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال له بجمع بن عبد الله العامري أحد النفر الأربعة : أما أشراف الناس فهم إلب عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملكت غرائرهم ، يستميل بذلك ودم ويستخلص به نصيحتهم ، فهم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفتنتهم تهوى إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك . قال



لهم : فهل لكم برسولي علم ؟ قالوا : ومن رسولك ؟ قال : قيس بن مسهر الصيداوى . قالوا : نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به فأتى من رأس القصر فأت ، فترقت عينا الحسين ، وقرأ قوله تعالى [فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] الآية .

ثم قال : اللهم اجعل منازلهم الجنة نزلا ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقر من رحمتك ، ورغائب مدخور ثوابك . ثم إن الطرماح بن عدى قال للحسين : انظر فما معك ؟ لا أرى معك أحداً إلا هذه الشرذمة اليسيرة ، وإنى لأرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفاء لمن معك ، فكيف وظاهر الكوفة مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصدونك ، فأنتدك الله ، إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبرا فاقبل ، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به من ملوك غسان وحمر ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ، ثم تبعث إلى الرجال من باجا وسلمى من طى ، ثم أقم معنا ما بدالك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائى يضربون بين يديك بأسياهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً ، فلم يرجع عما هو بصدد ، فودعه الطرماح ، ومضى الحسين ، فلما كان من الليل أمر فتيانه أن يستقوا من الماء كفايتهم ، ثم سرى فنعس فى مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسرون والمنيا تسرى إليهم ، فعلت أنها أنفسنا نُعيت إلينا ، فلما طلع الفجر صلى بأصحابه وعجل الركوب ثم تيسر فى مسيره حتى انتهى إلى نينوى ، فاذا راكب متنكب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلم على الحربين يزيد ولم يسلم على الحسين ، ودفع إلى الحر كتاباً من ابن زياد ومضمونه أن يعدل بالحسين فى السير إلى العراق فى غير قرية ولا حصن ، حتى تأتية رسله وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين ، فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبى قاص فى أربعة آلاف ، وكان قد جهزه ابن زياد فى هؤلاء إلى الديلم ، وخيم بظاهر الكوفة ، فلما قدم عليهم أمر الحسين قال له : سر إليه ، فاذا فرغت منه فسر إلى الديلم ، فاستمفاه عمر بن سعد من ذلك . فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتك وعزلتك عن ولاية هذه البلاد التى قد استنبت عليك ، فقال : حتى أنظر فى أمرى ، فجعل لا يستشير أحداً إلا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصى ربك وتقطع رحمك ، فوالله لأن تخرج من سلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إنى أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدده وتوعده بالعرل والقتل ، فسار إلى الحسين فنارله فى المكان الذى ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذى أقدمك ؟ فقال

كتب إلى أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذ قد كرهوني فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيني الله من حربه ، وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فرد عليه ابن زياد : أن حل بينهم وبين الماء كما فعل بالتقى الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وأعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأينا رأينا ، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج ، فدعا عليهم بالعطش فمات هذا الرجل من شدة العطش . ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلما طويلاً حتى ذهب هزيع من الليل ، ولم يدر أحد ما قالا ، ولكن ظن بعض الناس أنه سأل أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويترك العسكرين متواقفين ، فقال عمر إذاً يهدم ابن زياد دارى ، فقال الحسين : أنا أبنيها لك أحسن مما كانت ، قال : إذا يأخذ ضياعى ، قال أنا أعطيك خيراً منها من مالى بالحجاز ، قال : فتكره عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك ، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ! قد قبلت ، فقام الشمر بن ذى الجوشن فقال : لا والله حتى ينزل على حكمك هو وأصحابه ، ثم قال : والله لقد بلغنى أن حسيناً وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل ، فقاتل له ابن زياد : فنعم ما رأيته . وقد روى أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سميان . قال : لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل ، والله مامن كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين ، إما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه . ثم إن عبيد الله بعث شمر بن ذى الجوشن فقال : اذهب فإن جاء حسين وأصحابه على حكمي وإلا فر عمر بن سعد أن يقتلهم ، فإن تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهده على توانيهِ في قتال الحسين ، وأمره إن لم يجي الحسين إليه أن يقتله ومن معه ، فأنهم مشاقون . فاستأمن عبيد الله بن أبي المحل لبني عمته أم البنين بنت حرام من على ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبه عبيد الله بن المحل مع مولى له يقال له كرماني ، فلما بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سمية . فلا نريده ، وإنا لئرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية . ولما قدم شمر بن ذى الجوشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعد الله دارك ، وقبح ماجئت به ، والله إني لأظنك الذي صرفته عن الذي عرضت عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شمر : فأخبرني ما أنت صانع ؟ أتقاتلهم أنت أو تاركى وإياهم ؟

فقال له عمر : لا ولا كرامة لك ! أنا أتولى ذلك ، وجعله على الرحالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرم ، فقام شمر بن ذى الجوشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله ، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمنتنا وابن رسول الله (ص) ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك . قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وابشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا وحسين جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه ، ونفس نفخف برأسه وسمعت أخته الضجة فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو ، وقال : إني رأيت رسول الله (ص) في المنام فقال لي : « إنك تروح إلينا » فلطمت وجهها وقالت : يا ويلتنا . فقال : ليس لك الويل يا أخته : اسكني رحلك الرحمن ، وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخى جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسلمهم ما بدا لهم ، فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : مالكم ؟ فقالوا جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حكمه وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه ، فرجع ووقف أصحابه فجعلوا يتراجعون القول ويؤنب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بثس القوم ، أنتم تريدون قتل ذرية نبيكم وخيار الناس في زمانهم ؟ ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة ، فقال عمر بن سعد لشمر بن ذى الجوشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأى رأيك ، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الديلم لكان ينبغي إجابته . وقال قيس بن الأشعث : أجبههم إلى ما سألوك ، فلمعري ليصبحنك بالقتال غدوة ، وهكذا جرى الأمر ، فان الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فأرددهم هذه العشي لعلنا نصلى لربنا هذه الليلة ونستغفره وندعوه ، فقد علم الله منى أنى أحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء . وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له فان القوم إنما يريدوننى . فقال مالك بن النضر : على دين ولى عيال ، فقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه حجلاً ، ليأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في بساط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يريدوننى ، فلو قد أصابوني لهما عن طلب غيرى ، فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك مانكره ، فقال الحسين : يا بنى عقيل حسبكم بمسلم أخيكم ، اذهبوا فقد أذنت لكم ، قالوا : فما تقول الناس إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومنا خير الأعمام ، لم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة في الحياة الدنيا ، لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبض الله العيش بعدك . وقال نحو ذلك مسلم بن عوسجة الأسدي ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الخنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) ، فيك ، والله لو علمت أني أقتل دونك ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ، لأحببت ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة . وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا من وجه واحد ، فقالوا : والله لا نفارقك ، وأنفسنا الفداء لك ، نفيك بنحورنا وجباهنا ، وأيدينا وأبداننا ، فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا . وقال أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ولا حاجة لنا في الحياة بعدك . وتتابع أصحابه على ذلك

وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين زين العابدين . قال : إني جالس تلك المشية التي قتل أبي في صبيحتها ، وعمي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حوى مولي أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول : -

يادهرُ أفي لك من خليلٍ * كم لك بالأشراق والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلٍ * والديهرُ لا يقنعُ بالسديل
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ * وكلُّ حيٍّ سالكُ السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فنفقتني العبرة فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عمي فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت : وائسكلاء ١١ ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة وعلى أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، وثمال الباقي فنظر إليها وقال : يا أخيه ، لا يذهبن حلك الشيطان ، فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ، استقتلت ؟ ولطمت وجهها وشقت جيها وخرت مغشيا عليها ، فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال يا أخيه اتق الله واصبري وتعمري بمرء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقره وعزته ، ويميدهم فيعبدونه وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، ثم خرج عليها أن لا تفعل شيئا من هذا بعد مهلكه ، ثم أخذ بيدها فردّها إلى عندي ، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تسخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصا إليهم إلا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيماهم وعن شمائلهم ، ومن ورائهم وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، عليها عزرة بن قيس



الأحمسى [والحسين يقرأ (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً ولا أنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الآية فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ورب السكبة الطيبون ميزنا الله منكم . قال فعرفته فقلت لزيد^(١) بن حضير : أتدرى من هذا ؟ قال : لا ! فقلت هذا أبو حرب السبيعي عبيد الله بن شمير - وكان مضحكا بطلا - وكان شريفا شجاعا فاتكا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في خبائه . فقال له يزيد بن حصين : يا فاسق متى كنت من الطيبين ؟ فقال : من أنت وملك ؟ قال : أنا يزيد بن حصين . قال : إنا لله ! هلك والله عدو الله ! على م يريد قتلك ؟ قال فقلت له : يا أبا حرب هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله إنا لنحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟ قال فأنهره عزرة بن قيس أمير السرية التي تحرسنا فانصرف عنا^(٢) قالوا : فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة وقيل يوم السبت - وكان يوم عاشوراء - انتصب للقتال ، وصلى الحسين أيضا بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا ، ثم انصرف فصفهم فجعل على ميمنته زهير بن القين ، وعلى الميسرة حبيب بن المطهر ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقا وقذفوا فيه حطبا وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها . وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى الميسرة شمر بن ذى الجوشن - واسم ذى الجوشن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بنى الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسى ، وعلى الرجالة شبث بن ربعي ، وأعطى الراية لوردان مولاة ، وتواقف الناس في ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نصبت فاغتسل فيها وانظى بالنورة وتطيب بمسك كثير ، ودخل بعده بمضى الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : دعنا منك ، والله ما هنه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لآحقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يعيل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا . ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجأتني في كل شدة ، إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً يقال له الأحمق ونادى الحسين أيها الناس : اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال يمد حمد

(١) كذا بالأصلين . وفي الطبري : برير بن حضير (٢) سقط من المصرية

الله والثناء عليه :أيها الناس إن قبلتم مني وأنصتتموني كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا مني [فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفت أصواتهن بالمكاء فقال عند ذلك : لا يبعد الله ابن عباس . - يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر - ثم بعث أخاه العباس فسكنهن ، ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمه ونسبه وعلو قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها . هل يصلح لكم قتال مثلي ، وأنا ابن بنت نبيكم ، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري ؟ وعلى أبي ، وجعفر ذو الجناحين عمي ، وحزرة سيد الشهداء عم أبي ؟ وقال لي رسول الله (ص) : « ولأخي : » هذان سيدا شباب أهل الجنة . فان صدقتهموني بما أقول فهو الحق ، فوالله ما تعمدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب ، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله (ص) عن ذلك ، جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم بذلك ، ويحكم ! أما تتقون الله ؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ . فقال عند ذلك عمر بن ذى الجوشن : هو يعبد الله على حرف : إن كنت أدرى ما يقول ؟ فقال له حبيب بن مطهر^(١) : والله يا عمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفا ، وأما نحن فوالله إنا لندرى ما يقول ، وإنه قد طبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ذروني أرجع إلى مأمني من الأرض ، فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حكم بني عمك ؟ فقال : معاذ الله [إني عنت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب] ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن معمر أن يعقلها [ثم قال : أخبروني أنظلبوني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مال لكم أكلته ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ قال : فأخذوا لا يكلمونه . قال : فنأدى ياشبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أنه قد أينعت الثمار واخضر الجنب ، فأقدم علينا فانك إنما تقدم على جند مجندة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم ، ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حكم بني عمك فانهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أذنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم ابن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لهم إقرار العبيد .

قال : وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منهم ،

قال : ولو أعلم أنهم على هذه النية لسرت معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين فخطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله (س) ما يمرض عليكم من الخصال الثلاث واحدة منها ؟ فقال : لو كان ذلك إلى قبلي .

قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بفرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، عبيد الله بن زياد ، فانكم لم تدرؤا منها الاسوء عموم سلطانها ، يسلان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهه . قال : فسبوه وأنثوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا نزع حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فان أنتم لم تنصروهم فأعيذك بالله أن تقتلوه ، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فذهب حيث شاء ، فلم يزل يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال له : اسكت أسكت الله نامتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك ، فقال له زهير : يا ابن البوأل على عقبه ، إياك أخاطب ؟ إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شمر : إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبا الموت تخوفني ؟ فولله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله لا يفرنكم عن دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه ، فوالله لا ينال شغلعة محمد (س) قوم أهرقوا دماء ذريته ، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم .

وقال الحربن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إى والله قتلاً أيسره أن تسقط الرأس وتطيح الأيدي ، وكان الحر من أشجع أهل الكوفة ، فلامه بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت . ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فاعتذر إليه بما تقدم ، ثم قال : يا أهل الكوفة لا مكم المبل ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أناكم أسلمتموه وزعتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير ، وحلم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعه

العطش؟ بئس ما خلقتكم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظأ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه. فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين وقال لهم عمر بن سعد: لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبي علي عبيد الله بن زياد، وقد خاطب أهل الكوفة وأنهم ووبخهم وسبهم، فقال لهم الحر بن يزيد: ويحكم منعهم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

قال فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه: يادريد أذن رايتك، فأدناها ثم شعر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال: أشهدوا أنني أول من رمى القوم، قال: فترامى الناس بالنبال، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله، فقالا: من يبارز؟ فبرز لهما عبيد الله بن عمر الكلبي بعد استئذانه الحسين فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالمًا بعده، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى، وحمل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له: يا حسين أبشر بالنار! فقال له الحسين: كلا ويحك إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، بل أنت أولى بالنار. قالوا: فانصرف فوقصته فرسه فسقط وتعلقت قدمه بالركاب، وكان الحسين قد سأل عنه فقال: أما ابن حوزة، فرفع الحسين يده وقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة وأراد أن يقحم عليه الفرس وبينه وبينه نهر، فحالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه ونخذه وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات.

وروى أبو مخنف عن أبي جناب قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن نمير من بني عليم، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجعد من همدان، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط، فرأى الناس يتهيئون للخروج إلى قتال الحسين، فقال: والله لقد كنت على قتال أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله (ص)، لمولاه أفضل من جهاد المشركين، وأيسر ثواباً عند الله، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما هو عازم عليه، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك. قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين، ثم ذكر قصة رمى عمر بن سعد بالسهم، وقصة قتله يسار مولى زياد، وسالم مولى ابن زياد، وأن عبد الله ابن عمير استأذن الحسين في الخروج إليهما فنظر إليه الحسين، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين: إني لأحسبه للأقران قتلاً، أخرج إن شئت،

فخرج فقال له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك إلا هو خير منكما ، ثم شدد على يسار فكان كأمس الذاهب ، فانه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد فصاح به صائح قد رهقك العبد ، قال : فلم ينتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال على الكلبى فضربه حتى قتله وأقبل يرتجز ويقول : -

إن تنكراني فانا ابن كلبٍ نسبي * بيتي في عليمٍ حسبي * إني امرؤ ذو مروءة وغضبٍ
ولست بالخوارِ عند الكربِ * إني زعيمٌ لك أم وهبٍ * بالطعن فيهم مقدما والضرب
* ضرب غلام مؤمن بالرب *

فأخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداؤك أبي وأمي ، قاتل دون الطيبين ، ذرية محمد عليه السلام ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأقبلت تجاذبه ثوبه ، قالت : دعني أكون معك ، فناداها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي معهن فانه ليس على النساء قتال ، فانصرفت إليهن قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم ، وأنهم مستميتون لاعاصم لهم إلا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد : وجعل يقول : قاتلوا من مرق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يا حجاج أعلّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستمعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلّي النار . وقد قتل في هذه الحملة مسلم بن عوسجة ، وكان أول من قتل من أصحاب الحسين فشئ إليه الحسين فترحم عليه ، وهو على آخر رفق ، وقال له حبيب بن مطهر : ابشر بالجنة ، فقال له بصوت ضعيف : بشرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أني أعلم أني على أثرك لا حقك لكنت أقضى ما توصى به ، فقال له مسلم بن عوسجة : أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - إلى أن تموت دونه . قالوا : ثم حمل شمر بن ذى الجوشن بليسرة وقصدوا نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكاخوا دونه مكافئة بليفة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة ، فبعث إليهم نحواً من خمسمائة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فمقروها كلها حتى بقى جميعهم رجالة ، ولما عقروا جواد الحر ابن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه لبث وهو يقول :

إن تعقروا بني فانا ابن الحر * أشجع من ذى لبدٍ هزبر

ويقال إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال من أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فانهم

لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت . وجاء شمر بن ذى الجوشن قبجه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمح - يعنى الفسطاط - وقال : إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجن منه ، فقال له الحسين : أحرقتك الله بالنار . وجاء شبيب بن ربيع إلى شمر قبجه الله فقال له : مارأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحيى وهم بالرجوع وقال حميد بن مسلم : قلت لشمر سبحان الله !! إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين ؟ تعذب بمذاب الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك . قال فقال لى : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا - وخشيت أنى إن أخبرته فعرفى أن يسوءنى عند السلطان - .

وشد زهير بن القين فى رجال من أصحاب الحسين على شمر بن ذى الجوشن فأزاولوه عن موقفه ، وقتلوا أبا عزة الضبابى - وكان من أصحاب شمر - وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل ، وإذا قتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم ، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين : مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلى ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لا تقبل منكم ، فقال له حبيب بن مطهر : ويحك !! أتقبل منكم ولا تقبل من آل رسول الله س . ؟ [وقاتل حبيب قتالا شديدا حتى قتل رجلا يقال له بديل بن صريم من بنى عصفان وجعل يقول :

أنا حبيب وأبى مطهر * فارس هيجاء وحرب مسعر
أنتم أوفر عدة وأكثر * ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر * حقاً وأبقى منكم وأظهر

ثم حمل على حبيب هذا رجل من بنى تميم فطعنه فوق ، ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن تمير على رأسه بالسيف فوق ، ونزل إليه التميمى فاحتز رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه ففرقه فقال لحامله : اعطنى رأس أبى حتى أدفنه ، ثم بكى . قال : فكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه ، قال : فلما كان زمن مصعب بن عمير دخل الغلام عسكر مصعب فاذا قاتل أبيه فى فسطاطه ، فدخل عليه وهو قاتل فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدثنى محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مطهر هذ ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحسب نفسى ، وأخذ الحرير تجز ويقول للحسين :

آليت لا تقتل حتى أقتل * ولن أصاب اليوم إلا مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً مقصلا * لا نا كلاً عنهم ولا مهلاً

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً فكان إذا شد أحدهما حتى استلحم شد الآخر حتى

يخلصه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شذوا على الحربين يزيد قتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له . ، ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بدمها قتالاً شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه ، وقاتل زهير بن القين بين يدي الحسين قتالاً شديداً ، ورمى بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين وجعل زهير يرتجز ويقول : -

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ * أذودكم بالسيفِ عن الحسينِ

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أقدمَ هديتَ هادياً مهدياً * فاليومَ تلقى جندكُ النيبا

وحسناً والمرضى علياً * وذا الجناحينِ الفتي الكيا

* وأسدُّ اللهَ الشهيدَ الحيا *

قال : فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجملي ، وكان قد كتب على فوق نبله فجعل يرمى

بها مسمومة وهو يقول :

أرمى بها معلماً أفواقها * والنفسُ لا ينفعها شقاقها * أنا الجملي أنا على دينِ علي .

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد ، سوى من جرح ، ثم ضرب حتى كسرت عضداه ، ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد فقال له : وبحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إن ربي يعلم ما أردت ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ، ثم قال : والله لقد قتلت من جندكم اثني عشر سوى من جرح ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسزتموني . فقال شمر لعمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فان شئت اقتله . فقام شمر فألقى سيفه فقال له نافع : أما والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه . ثم قتله ، ثم أقبل شمر فجعل على أصحاب الحسين وتمكأثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عزرة الغفاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحبينا أن نقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنوا مني ، فدنوا منه فجعلوا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قد علمتُ حقاً بنو غفار * وخندفٍ بعدُ بنى نزار

لنضربنَ معشرَ الفجارِ * بكلِّ غضبٍ قاطعٍ بتار

ياقومُ ذودوا عن بني الأخيارِ * بالمشرقي والقمنا الخطارِ

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول: جزاكم الله أحسن جزاء المتقين ، فجعلوا يسلون على الحسين وقاتلون حتى يقتلوا ، ثم جاء عابس بن أبي شبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ علىّ منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعزّ على من نفسي ودمي لفعلته ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهدلى أنى على هديك . ثم مشى بسيفه صلتاً وبه ضربة على جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى : ألا رجل لرجل ؟ ألا ابرزوا إلى . فمرفوه فنكوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فرمى بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شد على الناس ، والله لقد رأيته يكرد أكثر من مائتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله ، فرأيت رأسه فى أيدي رجال ذوى عدد ، كل يدعى قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه ، فانه لم يقتله إنسان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الخثعمي ، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بنى أبي طالب على الأكبر بن الحسين بن علي ، وأمه ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فقتله ، لأنه جعل يقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا علي بن الحسين بن علي * نحن وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي * كيف ترون اليوم سترى عن أبي

فلما طعنه مرة احتوشته الرجال فقطعوه بأسيا فهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟ ! فعلى الدنيا بعدك العفاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حسنا فقالت : يا أخياه ويا ابن أخاه ، فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوّل من هناك إلى بين يديه عند فسطاطه ، ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل . ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب ، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد ، وكان رامياً ، وهو أبو الشعثاء الكناني من بني بهلة . جثى على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم ، فلما فرغ من الرمي قال : قد تبين لي أنى قتلت خمسة نفر :

أنا يزيد وأنا المهاجر * أشجع من ليث قوى حادراً



رب إني للحسين ناصر * ولابن سعد تارك وهاجر

قالوا : ومكث الحسين نهراً طويلاً وحده لا يأتي أحدٌ إليه إلا رجع عنه ، لا يجب أن يلي قتله ، حتى جاءه رجل من بني بداء ، يقال له مالك بن البشير ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس فقطعه وجرح رأسه فامتلاً البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعمامة فلبسها .

وقال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد . قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قر في يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شعاع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نفيل الأزدى : والله لأشدن عليه . فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك . قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتلواهم . فقال : والله لأشدن عليه ، فشد عليه عمر بن سعد أمير الجيش ، فضربه وصاح الغلام : يا عمه ، قال : فشد الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أعضب ، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطأها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فاذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله والحسين يقول : بُعِدًا لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جديك . ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفعك ، صوت والله كثر واتره وقل ناصره . ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلى الغلام يخطان في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه على الأكبر ومع من قتل من أهل بيته ، فسألت عن الغلام فقيل لي هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وقال هاني بن ثابت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور يلتفت يمينا وشمالا ، فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض فرسه حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السكوني : هاني بن ثابت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يعاب ذلك عليه فكفى عن نفسه

قال : ثم إن الحسين أعيا فقعده على باب ف طاطه وأتى بصبي صغير من أولاده اسمه عبيد الله ، فأجلسه في حجره ، ثم جعل يقبله ويشمه ويودعه ويوصي أهله ، فرماه رجل من بني أسد يقال له « ابن موقد النار » بسهم فذبح ذلك الغلام ، فتلقي حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال : رب

إن تلك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين . ورمى عبد الله ابن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضا ، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا على بن أبي طالب ، إخوة الحسين . وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل مانعوه عنه ، فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل يقال له حصين بن نعيم بسهم في خنكه فأثبتته ، فانزعه الحسين من خنكه ففار الدم فتلقيه بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً ، ولا تدر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاء بليغا .

قال : فوالله إن مكث الرجل الراحمي له إلا يسيراً حتى سب الله عليه الظماً ، فجعل لا يروى ويُسقى الماء مبرداً ، وتارة يبرد له اللبن والماء جميعاً ، ويسقى فلا يروى ، بل يقول : ويلكم اسقوني قتلنى الظماً . قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انفد بطنه انفداد بطن البعير . ثم إن شمر بن ذى الجوش أقبل في نحو من عشرة من رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه قله وعياله ، فشئى نحوهم فخالوا بينه وبين رحله ، فقال لهم الحسين : ويلكم !! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوى أحساب ، امنعوا رحلى وأهلى من طعائكم وجهالكم ، فقال ابن ذى الجوشن ذلك لك يا ابن فاطمة ، ثم أحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله ، فقال له أبو الجنوب : وما يمنحك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : إلى تقول ذا ؟ فقال أبو الجنوب : إلى تقول ذا ؟ فاستبأ ساعة ، فقال له أبو الجنوب - وكان شجاعاً - : والله لقد هممت أن أخضخض هذا السنان في عينك ، فانصرف عنه شمر

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتد من الخيام كأنه البدر ، وفي أذنيه درّتان ، فخرجت زينب بنت علي لترده فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمه فضر به رجل منهم بالسيف فأتقاه بيده فأظنها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ، فقال له الحسين : يا بني احتست أجرك عند الله ، فأنك تلحق بأبائك الصالحين . ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يحول فيهم بالسيف يمينا وشمالا ، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع ، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض ، وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر أَرْضَيْتِ أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فتحادرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها ، ثم جعل لا يقدم أحد على قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن : ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب

على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو ، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقه ، ثم نزل فذبحه وحز رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد . وقيل : إن الذي قتله شمر بن ذى الجوشن ، وقيل رجل من منجج ، وقيل عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشئ ، وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط . والأول أشهر . وقال عبد الله بن عمار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اندغروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناحاً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . وقال : ودنا عمر بن سعد من الحسين فقالت له زينب : يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها . وقال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول : أعلى قتلى تحابون ؟ أما والله لا تقتلون بعدى عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله منى ، وأيم الله إنى أرجو أن يكرمنى الله بهوانكم ثم ينتقم الله لى منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتنى لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتقى بعضهم ببعض دمه ، ويجب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدم إليه زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو والنخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتز رأسه ودفعه إلى خولى . وقد روى ابن عساكر فى ترجمة شمر بن ذى الجوشن ، وذو الجوشن صحابى جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نوفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضبابي ، بطن من كلاب ، ويكنى شمر بأبى السابغة . ثم روى من طريق عمر بن شبة : ثنا أبو أحمد حدثني عمى فضيل بن الزبير عن عبد الرحيم بن ميمون عن محمد بن عمرو بن حسن . قال : كنا مع الحسين بنهرى كربلاء ، فنظر إلى شمر بن ذى الجوشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله (ص) : « كأنى أنظر إلى كلب أبقع يلغ فى دماء أهل بيتى » وكان شمر قبيحاً الله أبرص . وأخذ سنان وغيره سلبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما فى خبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مخنف عن جعفر بن محمد . قال : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة ، وأربعة وثلاثين ضربة ، وهم شمر بن ذى الجوشن بقتل على بن الحسين الأصغر « زين العابدين » وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه . وجاء عمر بن سعد فقال : ألا يدخلن

على هذه النسوة أحد ، ولا يقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم ، قال :
 فوالله ما ردّ أحد شيئاً . فقال له علي بن الحسين : جزيته خيراً فقد دفع الله عني بمقاتلتك شراً ،
 قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلا صوته :

أَوْ قَرَّ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا * أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجِبَا
 قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا * وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسُبُونَ نَسْبَا

فقال عمر بن سعد : أدخلوه عليّ ، فلما دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ، والله
 لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك . ومن عمر بن سعد على عقبه بن سميان حين أخبره أنه
 مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن يمانه أسرفه عليه ابن زياد ، وقتل من أصحاب الحسين اثنتان
 ونسبعون نفساً ، فدفعهم أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم واحد ، قال : ثم أمر عمر بن سعد
 أن يوطأ الحسين بالخليل ، ولا يضح ذلك والله أعلم . وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون
 نفساً . وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من أولاد فاطمة ،
 وعن الحسن البصري أنه قال : قتل مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض
 يومئذ لهم شبه . وقال غيره : قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً ، فمن أولاد
 علي رضي الله عنه جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين علي
 الأكبر وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة ، عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي
 ابن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنتان ، عون ومحمد . ومن أولاد عقيل ، جعفر ، وعبد الله
 وعبد الرحمن ، ومسلم قتل قبل ذلك كما قدمنا . فهؤلاء أربعة لأصله ، واثنتان آخران هما عبد الله بن
 مسلم بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، فكلوا ستة من ولد عقيل ، وفيهم يقول الشاعر . -

وَأَنْدَبِي تِسْعَةً لَصْدِيحٍ عَلَى * قَدْ أَصِيبُوا وَسْتَةً لَعْقِيلٍ

وسمي النجدي غودر فيهم * قد علوه بصارمٍ مصقولٍ

ومن قتل مع الحسين بكر بلاء أخوه من الرضاعة عبد الله بن بقطر ، وقد قيل إنه قتل قبل ذلك
 حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة فحمل إلى ابن زياد فقتله . وقتل من أهل الكوفة من أصحاب
 عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفعهم . ويقال إن عمر بن
 سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه
 أن يحمل من يومه إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي ، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً
 فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجانة وقال لامراته نوار بنت مالك : جئت بك بعد الدهر ، فقالت :
 وما هو ؟ فقال : برأس الحسين . فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة ، وجئت أنت برأس ابن بنت

رسول الله (ص)؟ والله لا يجمعني وإياك فراش أبداً ، ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بنى أسد فنامت عنده قالت المرأة الثانية الاسدية : والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الاجانة إلى السماء ، وطوراً ييضاً ترفرف حولها ، فلما أصبح غدابه إلى ابن زياد فأحضره بين يديه ، ويقال إنه كان معه رؤس بقية أصحابه ، وهو المشهور . ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام .

قال الامام أحمد : حدثنا حسين ثنا جرير عن محمد عن أنس . قال : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت عليه وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس : إنه كان أشبههم برسول الله (ص) ، وكان مخضوباً بالوشمة . ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسن بن إبراهيم - هو ابن إشكاب - عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس فذكره . وقد رواه الترمذي من حديث حفصة بنت سيرين عن أنس . وقال : حسن صحيح ، وفيه « فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول : مارأيت مثل هذا حسناً » . وقال البزار : حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي ثنا غسان بن الربيع ثنا يونس بن عبيدة عن ثابت وحديد عن أنس . قال : لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان - أحسبه قال جميلاً - فقلت : والله لأسوء نك « إني رأيت رسول الله (ص) ، يلثم حيث يقع قضيبك » . قال فانقبض .

تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حميد غير يونس بن عبيدة وهو رجل من أهل البصرة مشهور وليس به بأس . ورواه أبو يعلى الموصلي عن إبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . ورواه قرّة بن خالد عن الحسن عن أنس فذكره .

وقال أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم . قال : دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشرهم بما فتح الله عليه وبعاثيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلت فيمن دخل . فاذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفقي رسول الله (ص) على هاتين الثنيتين يقبلهما « ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكي الله عينك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك ، قال : قهض فخرج ، فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله ، قال : فقلت ما قال ؟ قالوا : مر بنا وهو يقول : ملك عبد عبيداً * فاتهمز تليداً * أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، وسينعبد شراركم ، فبعداً لمن رضى بالذل . وقد روى من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم بنحوه .

ورواه الطبراني من طريق ثابت عن زيد .

وقد قال الترمذي : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جئ برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فنصبته في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت تتخلل الرأس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فكثت هنيهة ثم خرجت ، فذهبت حتى ، تغيب ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرق الكلمة عليهم ، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال : ويحك يا ابن زياد ! تقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين ! فأمر به ابن زياد فقتل وصلب . ثم أمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها ، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام ، وكان مع زحر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي : وطارق بن أبي ظبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤس كلها على يزيد بن معاوية . قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشي من حمير . قال : والله إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ فقال أبشريا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته ، وستون رجلا من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، ففدونا إليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وزر ، ويلوذون منا بالأكام والحفر ، لوإذا كما لا ذ الحام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا حزر جزور ، أو نومة قائل ، حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم مزملة ، وخدودهم مغمرة ، تصهرم الشمس وتسقى عليهم الريح ، وازرم العقبان والرخم قال : فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لمن الله ابن ممية ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشئ . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبك ماقتلتك ، ثم أنشد قول الحسين بن الحام المدي الشاعر

يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظما

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العباسي قال : وقام يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - فقال : -

لهامٌ يجنبُ الطفَّ أدنى قرابةً * من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سميةً أضحى نسلها عددَ الحمى * وليس لآلِ المصطفى اليوم من نسل

قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكت ، وقال محمد بن حميد الرازي - وهو شيعي - : ثنا محمد بن يحيى الأحمري ثنا لبث عن مجاهد قال ، لما جئ برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات : -

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا * جزع الخزر ج في وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا لي هنيئاً لا تسل

حين حكك بفناء بركا * واستحر القتل في عبد الأسل

قد قتلنا الضعف من أشرافكم * وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل^(١)

قال مجاهد : نافق فيها ، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أي ذمه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ، على قولين ، الأظهر منهما أنه سيره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالحق أعلم . وقال أبو مخنف عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الله الجبالي عن القاسم بن بجيت ، قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكت بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري : -

يفلقن هاماً من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلموا

فقال له أبو برزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذاً لقد رأيت رسول الله (ص) يرشفه ، ثم قال : ألا إن هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعه محمد ، ونجى وشفيعه ابن زياد . ثم قام فولى . وقد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الدهني عن جعفر . قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة وجعل ينكت بالقضيب فقال له : « ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله (ص) يلثمه » . قال ابن أبي الدنيا : وحدثني مسلمة بن شبيب عن الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن : لما جئ برأس الحسين جعل يزيد

(١) بالهامش : لا يتصور أن يكون يزيد قد تمثل بهذه الأبيات هذه الأيام ، فإن المؤرخين قاطبة ذكروا أنه تمثل بها لما جاءه خبر وقعة الحرة بالمدينة الشريفة ، وقتل الأنصار ، ووقعة الحرة بعد هذه كما ستراه . وأيضاً فإن قضية الحسين رضى الله عنه لم يكن حاضرها أحد من الخزر ج ، يعلم ذلك من الأعلام بالأخبار وأيام الناس والله أعلم .

يطعن بالقضيب ، قال سفيان وأخبرت أن الحصين كان ينشد على إثر هذا :-

سمية أمسى نسلها عددَ الحصى * وبنت رسول الله ليس لها نسل

وأما بقية أهله ونسائه فان عمر بن سعد وكل بهم من يحرسهم ويكلوهم ، ثم أركبهم على الرواحل في الهودج ، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هناك بكته النساء ، وصرخن ، وندبت زينب أختها الحسين وأهلها ، فقالت وهي تبكي :

يا محمداه ، يا محمداه * صلى عليك الله * وملك السماء * هذا حسين بالعراء * مزمل بالدماء ، مقطع الأعضاء يا محمداه * وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة ، أسفى عليها الصبا . قال فأبكت والله كل عدو وصديق .

قال قرة بن قيس لما مرت النسوة بالقتلى صحن ولطمن خدودهن ، قال : فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيته منهن ذلك اليوم ، والله إنهن لأحسن من مهابيرين . وذكر الحديث كما تقدم ثم قال : ثم ساروا بهم من كر بلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها ، [قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أزدل ثيابها قد تسكرت وحقت بها إماؤها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذى فضحك وقتلكم وكذب أحد وثمكم . فقالت : بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيته صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسب جمع الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطقها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطأ .

وقال أبو مخنف عن المجالد عن سعيد : إن ابن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين « زين العابدين » قال لشريط : انظر أدرك هذا الغلام ، فان كان أدرك فاطلقوا به فاضربوا عنقه ؟ فكشف إزاره عنه فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرب عنقه ، فقال له علي بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ! فبعثه معهن . قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين ، فقال له ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله علي ابن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد . مالك لا تتكلم ؟ قال : كان لى أخ يقال له علي أيضا قتله

الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لاتسكلم ؟ فقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله) قال : أنت والله منهم ، ويحك !! انظروا هذا أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقله ، فقال علي بن الحسين : من يוכל بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت : يا ابن زياد حسبك منا ما فعلت بنا ، أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحداً ؟ قال : واعتنقته وقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلني معه ، وناداه على فقال : يا ابن زياد !! إن كان بينك وبينهم قرابة فابعث معهم رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الاسلام . قال : فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحم !! والله إني لأظن أنها ودت لو أني قتلته أن أقتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك . قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبياناه وبناته فجهز إلى يزيد ، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ، وأرسلهم مع محقر بن ثعلبة المائدي - من عائدة قريش - ومع شمر بن ذى الجوشن قبجه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محقر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محقر بن ثعلبة ، أئني أمير المؤمنين بالثام الفجرة ، فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم محقر شر وألام [(١)] . فلما دخلت الرؤس والنساء على يزيد دعا أشرف الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلن عليه والناس ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا علي أبوك قطع رحمي وجهل حقى ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال علي : [ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب] فقال يزيد لابنه خالد : أجبه . قال : فإدرى خالد ما يرد عليه ، فقال له يزيد : قل [ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير] فسكت عنه ساعة ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله بن مرجانة ، لو كانت بينهم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد رق لنا وأمر لنا بشئ والطفنا ، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هنه - يعنينى - وكنت جارية وضيئة ، فارتعدت فزعة من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخنت بثياب أختي زينب - وكانت أكبر منى وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز - فقالت لذلك الرجل : كذبت والله ولؤمت ، ما ذلك لك وله : فغضب يزيد فقال لها : كذبت ! والله إن ذلك لى ، ولو شئت أن أفعله لفعلت . قالت : كلا ! والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياى تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من

الدين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك . قال : كذبت يا عدوة الله . قالت : أنت أمير المؤمنين مسلط تشتم ظلماً وتقر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استحي فسكت ، ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين هب لى هذه . فقال له يزيد : اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً . ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون على بن الحسين معهم . ثم أنزل النساء عند حريمه فى دار الخلافة فاستقبلهن نساء آل معاوية يبكين وينحن على الحسين ، ثم أقمن المناحة ثلاثة أيام ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا ومعه على بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين - وكان صغيراً جداً - أتقاتل هذا ؟ - يعنى ابنه خالد بن يزيد يريد بذلك مآزحته وملاعبته ، فقال : اعطنى سكيناً واعطه سكيناً حتى نتقاتل ، فأخذه يزيد فضمه إليه وقال : ششينة أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية ؟

ولما ودعهم يزيد قال لعلى بن الحسين : قبح الله بن حمية ، أما والله لو أتى صاحب أبيك ما سألتى خصلة إلا أعطيتها إياها ، ولدفت الخنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، ثم جهزه وأعطاه مالا كثيراً وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتبى بكل حاجة تكون لك ، فكان ذلك الرسول الذى أرسله معهم يسير عنهم بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهم بحيث يدركن طرفه وهو فى خدمتهم حتى وصلوا المدينة ، فقالت فاطمة بنت على : قلت لأختى زينب : إن هذا الرجل الذى أرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : والله ما معنا شئ نصله به إلا حلينا ، قالت وقلت لها : نعطيه حلينا ، قالت : فأخذت سوارى ودملجى ، وأخذت أختى سوارها ودملجها وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذى صنعت معكم إنما هو للدنيا كان فى هذا الذى أرسلتموه ما يرضينى وزيادة ، ولكن والله ما فعلت ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله .

وقيل إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ؟ وما الحامل له على ما فعل ، وما الذى أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا ! قال : يزعم أن أباه خير من أبى ، وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، خير من أمى ، وجده رسول الله خير من جدى ، وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى ، فأما قوله أبوه خير من أبى فقد حاج أبى أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله أمه خير من أمى فلمعمرى إن فاطمة بنت رسول الله (ص) خير من أمى ، وأما قوله جده رسول الله خير من جدى ، فلمعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا نداءً ، ولكنه إنما أتى من قلة فقهه لم يقرأ [قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن

تشاء وتغز من تشاء وتذل من تشاء [الآية، وقوله تعالى] والله يؤتي ملكه من يشاء. فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه - يا يزيد! بنات رسول الله (ص)، سبايا. فقال يزيد: يا بنت أخي، أنا لهذا كنت أكره. قالت قلت والله ما تركوا لنا خرصاً، فقال: ابنة أخي! ما أنى إليك أعظم مما ذهب لك. ثم أدخلهن دأره ثم أرسل إلى كل امرأة منهن ماذا أخذ لك؟ فليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها.

وقال هشام عن أبي مخنف: حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن نجيب. قال: لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤس والسبايا، فوثب مروان وانصرف، وأقام أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه، فقال لهم: 'حجبتهم عن محمد (ص)، يوم القيامة، لن أجمعكم على أمر أبداً، ثم قام فانصرف. قال: ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونحن عليه. وروى أن يزيد استشار الناس في أمرهم فقال رجال ممن قبهم الله: يا أمير المؤمنين لا يتخذن من كلب سوء جروا، اقتل على ابن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد، فسكت يزيد فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله (ص)، لو رآهم على هذه الحال. فرق عليهم يزيد وبعث بهم إلى الحمام وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والاطعمة، وأنزلهم في دأره.

وهذا يرد قول الرافضة: إنهم حملوا على جنائب الابل سبايا عرايا، حتى كذب من زعم منهم أن الابل البخاى إنما نبئت لها الأسنة من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قبلهن ودبرهن.

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يبشره بمقتل الحسين، فأمر منادياً فنادى بذلك. فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهن بالبكاء والنوح، فجعل عمرو بن سعيد يقول: هذا يبكاء نساء عثمان بن عفان. وقال عبد الملك بن عمير: دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين بن علي بين يديه على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس، والله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يديه.

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه: حدثني زكريا بن يحيى الضريبر ثنا أحمد بن خباب المصيصي ثنا خالد بن يزيد عن عبد الله القسري ثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر: حدثني عن مقتل الحسين كآنى حضرته، فقال: أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذي كان قد كتبه إليه يأمره

فيه بالقدوم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاث أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المصر ، فقال له : ارجع فاني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ الحسين أن يرجع ، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا من قتل أخانا أو تقتل . فقال : لاخير في الحياة بكم ، فسار فلقية أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عاد إلى كربلاء فأمنده ظهره إلى قصبتنا وحلفا ليقاتل من جهة واحدة . فتنزل وضرب أبيه وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة رجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاء بن زياد الرى وعهد إليه عهده ، فقال : ا كفى هذا الرجل واذهب إلى عملك ، فقال : اعفني . فأبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخبره فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به ، فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث ، إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور . قبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله ابن زياد لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله قتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابنه له في حجره فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشقها ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل ، قتله رجل من مذحج وحز رأسه فأنطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :-

أوقرّ ركابي فضةً وذهباً * فقد قتلّ الملك المحجبا

قتلّ خير الناس أماً وأباً * وخيرهم إذ ينسبون نسباً

قال فأوفده إلى يزيد بن معاوية فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو برزة الأسلمي ، فجعل يزيد ينكت بالتضييب على فيه ويقول :-

يفلقن هاماً من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلاما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيت رسول الله (ص) ، واضعاً فيه على فيه يلثمه . قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد ليقتل فطرحته زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني ، فرق لها وكف عنه ، قال : فأرسلهم إلى يزيد فجمع يزيد من كان بمحضرة من أهل الشام ثم دخلوا عليه فهنّوه بالفتح ، قدام رجل منهم أحر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - قال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ولا له ، إلا أن تخرجنا من دين الله ، قال : فأعادها الأزرق فقال له يزيد : كف عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب فاشرة شعرها واضعة كُمها على رأسها تتكلم وهي تبكي ،

وتقول : ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعتري وبأهلي بعد مقتدى * منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء في ذوى رحم

وقد روى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود أن بنت عقيل هي التي قالت هذا الشعر ، وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية . وروى أبو بكر بن الأنباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة - وهي زوج عبد الله بن جعفر أم بنيه - رفعت سجع خبائها يوم كربلاء يوم قتل الحسين وقالت هذه الأبيات فآله أعلم . وقال هشام بن الكلبي : حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن المقدام قال : حدثني عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولاة لنا تحدثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادى وهو يقول :

أيها القاتلون ظلماً حسيناً * أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبي ومالك وقبيل

لقد لعنتم على لسان بن داود * وموسى وحامل الأنجيل

قال ابن هشام : حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي عن أمه قالت : سمعت هذا الصوت ، وقال الليث وأبو نعيم يوم السبت . ومما أنشده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيره لبعض المتقدمين في مقتل الحسين

جاؤا برأسك يا ابن بنت محمد * منزلاً بداهة ترميلاً

وكانما بك يا ابن بنت محمد * قتلوا جهازاً عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولم يتدبروا * في قتلك القرآن والتنزيلا

ويكبرون بأن قتلنا وإنما * قتلوا بك التكبير والتهليلا

فَضْرَبَ

وكان مقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين . وقال هشام بن الكلبي ، سنة ثنتين وستين ، وبه قال علي بن المديني . وقال ابن لهيعة : سنة ثنتين أو ثلاث وستين . وقال غيره سنة ستين . والصحيح الأول . يمكن من الطَّفِّ يقال له كربلاء من أرض العراق وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم في قوله : إنه قتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : « استأذن ملك القطر أن يأتي النبي (ص) ، فأذن له ، فقال لأُم سلمة : احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد علي منكب النبي (ص) ، فقال الملك : أنجبه ؟ قال ! نعم : فقال : إن أمتك تقتله ، وإن شئت أرينك المكان الذي يقتل فيه ، قال : فضرب يده فأراه تراباً أحمر ، فأخنت أم سلمة ذلك التراب فصرت في طرف نوبها . قال : فكنا نسمع أنه يقتل بكر بلاء * وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثني عبد الله ابن سعيد عن أبيه عن عائشة - أو أم سلمة - أن رسول الله (ص) قال : « لقد دخل على البيت ملك لم يدخل قبلها ، فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أرينك الأرض التي يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء . » وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة . ورواه الطبراني عن أبي أمامة وفيه قصة أم سلمة . ورواه محمد بن سعد عن عائشة بنحو رواية أم سلمة . والله أعلم . وروى ذلك من حديث زينب بنت جحش ولبابة أم الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن هارون أبو بكر ثنا إبراهيم بن محمد الرقي وعلي بن الحسن الرازي قالوا : ثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحرائي ثنا عطاء بن مسلم ثنا أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن ابني - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد منكم ذلك فلينصره . » قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين ، قال : ولا أعلم رواه غيره . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا شراحيل بن مدرك عن عبد الله بن يحيى عن أبيه أنه سار مع علي - وكان صاحب مطهرته - فلما جاؤا نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى علي : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله ، بشط الفرات قلت : وماذا تريد ؟ قال : « دخلت على رسول الله (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلى قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال فقال : هل لك أن أحمك من تربته ؟ قال : فدیده قبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن تاضا . » تفرد به أحمد .

وروى محمد بن سعد عن علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبي عن علي مثله . وقد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب أنه مرّ بكر بلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها فقيل كربلاء ، فقال : كرب وبلاء ، فقتل وصلى تحت شجرة هناك ثم قال : يقتل هنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب .

- وأشار إلى مكان هناك - فعلموه بشئ قتل فيه الحسين . وقيد روى عن كعب الأخبار آثار في
 كربلاء وقد حكى أبو الجنباب الكلبي وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على
 الحسين وهن يقلن : -

مسح الرسول جبينه * فله بريق في الخدود
 أبواه من عليا قرين * جدّه خير الجدود
 وقد أجابهم بعض الناس فقال : -

خرجوا به وفداً إليه فهم له شر الوفود
 قتلوا ابن بنت نبيهم * سكنوا به ذات الخدود
 وروى ابن عساكر أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوباً
 أرجو أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب ؟
 فسألوه : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة .
 وروى أن الذين قتلوه رجموا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم
 لهم في الحائط بدم هذا البيت

أرجو أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب ؟

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن وعفان ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن
 عباس . قال : « رأيت رسول الله (ص) في المنام نصف النهار أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ،
 قتلت : بأبي وأمي يارسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم » . قال
 عمار : فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم . تفرد به أحمد وإسناده قوى .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبد الله بن محمد بن هاني أبو عبد الرحمن النحوي ثنا مهدي
 ابن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان . قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال : قتل
 الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : « رأيت رسول الله (ص) ومعه زجاجة من
 دم فقال : أتعلم ما صنعت أمتي من بعدى ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله » .
 فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ، وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر
 بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة . وروى الترمذي عن أبي سعيد الأشج عن أبي خالد
 الأحمر عن رزين عن سلمي قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قالت :
 رأيت رسول الله (ص) وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يارسول الله ؟ قال : « شهدت
 قتل الحسين آفنا »

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أنبأنا قرة بن خالد أخبرني عامر بن عبد الواحد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبي (ص) فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين . فقالت : قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم - عليهم ناراً ، ووقعت مفشياً عليها ، وقتلنا . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا ابن مسلم عن عمار قال : سمعت أم سلمة قالت : سمعت الجن يبكين على الحسين وسمعت الجن تنوح على الحسين . رواه الحسين بن إدريس عن هاشم بن هاشم عن أمه عن أم سلمة قالت : سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقلن .

أيها القاتلون جهلاً حسيناً * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم * ونبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود * وموسى وصاحب الانجيل

وقد روى من طريق أخرى عن أم سلمة بشعر غير هذا والله أعلم .

وقال الخطيب : أنبأنا أحمد بن عثمان بن ساج السكري ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا محمد بن شداد المسمعي ثنا أبو نعيم ثنا عبيد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : « أوحى الله تعالى إلى محمد إني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وأنا قاتل بآب بن بكك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . وهذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الحاكم في مستدركه . وقد ذكر الطبراني ههنا آثاراً غريبة جداً ، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا ، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم ، وأن أرجاء السماء احمرت ، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم ، وصارت السماء كأنها علقمة ، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً ، وأمطرت السماء دماً أحمر ، وأن الحرة لم تكن في السماء قبل يومئذ ، ونحو ذلك . وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر ، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دماً ، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام ، ولم يمض زعفران ولا ورس (١) بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه ، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط ، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبعوها صار لحمها مثل العلقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روى من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح ، فانه قل من نجا من

(١) كذا بالأصل ولعلها : مما .

أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض ، وأكثرتهم أصابهم الجنون . وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردناه نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته ، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعيا ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة ، ولكنه أخباري حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممن بعده والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكاثرت الدبابب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذّر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق ، وتعلق المسوح على الدكاكين ، ويظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئنه موافقة للحسين لانه قتل عطشانا . ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطن وجوههن وصدورهن ، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة ، والأهواء الفظمية ، والهتاتك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية ، لانه قتل في دولتهم .

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويتسلون ويتطيّبون ويلبسون أنفرتيابهم ويتخنون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويظهرون السرور والفرح ، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم

وقد تناول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله ، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها ، فاذا ذمت طائفة من الجبارين تدم الأئمة كلها بكالها وتتهم على نبيها . ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أكثر الأئمة قديما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبّحهم الله ، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة ، فانكفوا عن الحسين وخنلوه ثم قتلوه . وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضى بذلك والله أعلم ، ولا كراهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاد بذلك أبوه ، وكما صرح هو به مخبراً عن

نفسه بذلك . وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم

فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضى الله عنه ، فانه من سادات المسلمين ، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله (ص) ، التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخيّاً ، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذى لعل أكثره تصنع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه قتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فان أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وكذلك عثمان كان أفضل من على عند أهل السنة والجماعة ، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلى ، قتل وهو قائم يصلي في الحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً ، ورسول الله (ص) سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شئ مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة ، مثل كسوف الشمس والحجرة التي تطلع في السماء وغير ذلك

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله (ص) أنه قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتركها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها » . رواه الامام أحمد وابن ماجه .

وأما قبر الحسين رضى الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد على . يمكن من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال إن ذلك المشهد مبنى على قبره فأن الله أعلم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، يسكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبي أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : يا بى أنت وأمي ، ما كان أطيب وأطيب تربتك ! انم أنشأ يقول :

أرادوا ليحفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر .

وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندي أن الأول أشهر فالله أعلم . ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع ، وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح - وهما ضعيفان - أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفرائيس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفرائيس الثاني . وذكر ابن عساكر في تاريخه في ترجمته رياً حاضنة يزيد بن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبيرى يعنى قوله : -

ليت أشياخي بيدري شهدوا * جزع الخرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزانة السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جئ به إليه ، وقد بقي عظماً أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوذة - يعنى بنى العباس - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فالله أعلم وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربع مائة إلى ما بعد سنة ستين وستائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسائة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء ، في دولتهم في حدود سنة أربع مائة ، كما سنبين ذلك كله إذا انتهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى . قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فقامهم جاؤا برأسي فوضموه في مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم

فضائله

شيء من فضائله

روى البخارى من حديث شعبة ومهدى بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعيم



قال : سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الثوب فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الثوب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله (ص) ، وقد قال رسول الله (ص) : « هما ریحانتای من الدنيا » . ورواه الترمذی عن عقبة بن مكرم عن وهب بن جریر عن ابنه عن محمد ابن أبي يعقوب به نحوه : أن رجلا من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال ابن عمر : أنظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد (ص) . وذكر تمام الحديث . ثم قال : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن أبي الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » - يعنى حسنا وحسنا - . وقال الامام أحمد : حدثنا تميم بن سليمان كوفي ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر النبي (ص) إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سلمكم » . تفرد بهما الامام أحمد . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا حجاج - يعنى ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة . قال : « خرج علينا رسول الله (ص) ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه الواحد ، وهذا على عاتقه الآخر ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل يا رسول الله ! والله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى » . تفرد به أحمد . وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد حدثني يوسف بن إبراهيم التميمي أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله (ص) : « أي أهل بيتك أحب إليك ؟ » قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول « ادع لى ابني فيشهما ويضمهما إليه » . وكذا رواه الترمذی عن أبي سعيد الأشج به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس . وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر وعفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس . أن رسول الله (ص) : « كان يمر ببیت فاطمة سنة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ، [إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا] ورواه الترمذی عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذی : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو أسامة عن فضيل بن مرروق عن عدى عن ثابت عن البراء أن رسول الله (ص) : « أبصر حسنا وحسنا فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » : ثم قال : حسن صحيح . وقد روى الامام أحمد عن زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد وأهل السنن الأربعة من حديث الحسين بن واقد عن بريدة عن أبيه . قال : « كان رسول الله (ص) يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويمثران ، فنزل رسول الله (ص) عن المنبر

فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ، (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما . وهذا لفظ الترمذى ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن واقد . ثم قال : حدثنا الحسين بن عرفة ثنا إسماعيل بن عيَّاش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال قال رسول الله (ص) : « حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط » . ثم قال الترمذى . هذا حديث حسن . ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به . ورواه الطبرانى عن بكر بن سهل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة أن رسول الله (ص) قال : « الحسن والحسين سبطان من الأسباط » . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله (ص) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ورواه الترمذى من حديث سفيان الثورى وغيره عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح . وقد رواه أبو القاسم البغوى عن داود بن رشيد عن مروان الفزارى عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبيه عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة ، يحيى وعيسى (ص) » . وأخرجه النسائى من حديث مروان بن معاوية الفزارى به ، ورواه سويد بن سعيد عن محمد بن حازم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن ربيع بن سعد عن أبي سابط قال : دخل حسين بن على المسجد فقال جابر بن عبد الله : من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، سمعته من رسول الله (ص) . تفرد به أحمد ، وروى الترمذى والنسائى من حديث إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زبر بن حبيش عن حذيفة أن أمه بعثته ليستغفر له رسول الله (ص) ، ولها ، قال : فأتيته فصليت معه المغرب ثم صلى حين صلى العشاء ، ثم انقتل فتبعته فسمع صوتي فقال : « من هذا ؟ حذيفة ؟ قلت : نعم ! قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربه بأن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل . وقد روى مثل هذا من حديث على بن أبى طالب ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، وفى أسانيده كلها ضعف والله أعلم . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا موسى بن عطية عن أبيه عن أبي هريرة . قال : سمعت رسول

الله (س)، يقول في الحسن والحسين : « من أحبني فليحب هذين ». وقال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني محمد - يعني ابن حرملة - عن عطاء . أن رجلا أخبره أنه رأى النبي (س) « يضم إليه حسناً وحسيناً ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما ». وقد روى عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا وفيه ضعف وسقم والله أعلم . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا كامل وأبو المنذر ابنا كامل قال أسود : أنبأنا المعنى عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال : « كنا نصلى مع رسول الله (س) ، العشاء فإذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقدمهما على نحره ، قال : فقممت إليه فقلت : يا رسول الله أردما إلى أمهما ؟ قال وبرقت برقة فقال لهما : الحق بأمكما ، قال فكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما ». وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه ، وقد روى عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا ، فقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس بن الربيع عن أبي المقدام عبد الرحمن الأزرق عن علي . قال : « دخل على رسول الله (س) ، وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين فقام رسول الله (س) . إلى شاة لنا كي يحلبها فدرت فجاءه الآخر فنحاه ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة ». تفرد به أحمد . ورواه أبو داود الطيالسي عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي فاخنة عن علي فذكر نحوه . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يكرمهما ويحملهما ويعطيهما كما يعطى أباهما ، وجيء مرة بحمل من اليمن فقسمها بين أبناء الصحابة ولم يعطيهما منها شيئا ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما ، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا قبيصة بن عقبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث قال : بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء . وقال الزبير بن بكار : حدثني سليمان بن الدراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه . « أن رسول الله (س) . بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيرا إلا مناً ». وهذا مرسل غريب . وقال محمد بن سعد : أخبرني يعلى ابن عبيد ثناء عبد الله بن الوليد الرضاقي عن عبد الله بن عبيد الله بن عميرة . قال : حج الحسين ابن علي خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد بين يديه . وحدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسين بن علي حج ماشيا وإن نجائبه لتقاد وراءه . والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري . وقال المدائني : جرى بين

الحسن والحسين كلام قهارجا ، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكب على رأسه يقبله ، فقام الحسين قبله أيضا ، وقال : إن الذي منعى من ابتدائك بهذا أنى رأيت أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أفازعك ما أنت أحق به منى . وحكى الأصمعي عن ابن عون أن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء فقال الحسين إن أحسن المال ما وقى العرض .

وقد روى الطبراني : حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ثنا يزيد بن البراء بن عمرو ابن البراء القنوي ثنا سليمان بن الميثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فما وسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقي الطاهر العلم
يكاد بمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رآته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينهى الكرم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يتنسم
في كفه خبزان ريحها عبق * بكف أورع في عرينه شم
مشتقة من رسول الله نسبته * طابت عناصره والقيم والشيم
لا يستطيع جواد بعد غايته * ولا يدانيه قوم إن هموا كرموا
من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا فالله أمم
أى العشار هم ليست رقابهم * لا ولية هذا أوله نعم

هكذا أوردها الطبراني في ترجمة الحسين في معجمه الكبير وهو غريب ، فان المشهور أنها من قيل الفرزدق في علي بن الحسين لا في أبيه ، وهو أشبه فان الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس فذكر له ماتقدم ، ثم إن الحسين قتل بعد مفارقتة له بأيام يسيرة ، ففى رآه يطوف بالبيت والله أعلم ، وروى هشام عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتاب الذى كتبتك إليك فى قتل الحسين ؟ فقال : مصيت لأمرئ وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتحيثن به ، قال : ضاع ، قال : والله لتحيثن به ، قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش أعتذر إليهن بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك فى حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبى وقاص لكنت قد أديت حقه ، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله ، صدق عمر والله . ولوددت والله أنه ليس من بنى زياد رجل إلا وفى أنفه خزيمة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله بن زياد

في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :-

إغْنِ غِنِ المَخْلُوقِ بِالمَخْلُوقِ * تَسُدُّ عَلَى الكاذِبِ والصَّادِقِ
وَاسْتَرْزُقِ الرِّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ * فَلَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ رَازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يَغْنُونَهُ * فَلَيْسَ بِالرِّحْمَنِ بِالْوَائِقِ
أَوْ ظَنَّ أَنَّ الْمَسَالَ مِنْ كَسْبِهِ * زَلَّتْ بِهِ النُّعْلَانِ مِنْ حَالِقِ
عَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَالَ :-

كَلَّمَ زَيْدٌ صَاحِبَ الْمَالِ مَالاً * زَيْدٌ فِي هَمٍّ وَفِي الْاِسْتِغَالِ
قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا مَنْغَصَةَ الْعِيدِ * شِئْ وَيَا دَارَ كُلِّ فَانٍ وَبَالِ
لَيْسَ يَصْفُو زَاهِدٍ طَلِبَ الزَّمِ * إِذَا كَانَ مُثْقَلًا بِالْعِيَالِ
وَعَنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ زَارَ مَقَابِرَ الشَّهَدَاءِ بِالْبَقِيعِ فَقَالَ :-
نَادَيْتُ سَكَانَ الْقُبُورِ فَأَسْكَنُوا * وَأَجَابَنِي عَنْ صَمْتِهِمْ رَبُّ الْحَصَا
قَالَتْ أَتَدْرِي مَا فَعَلْتُ بِسَاكِنِي * مَزَقْتُ لَحْمَهُمْ وَخَرَقْتُ الْكِسَا
وَحَشَوْتُ أَعْيُنَهُمْ تَرَابًا بَعْدَ مَا * كَانَتْ تَأْذِي بِالْيَسِيرِ مِنَ الْقَذَا
أَمَّا الْعِظَامُ فَاتْنِي مَزَقَهَا * حَتَّى تَبَايَنْتِ الْمَفَاصِلُ وَالشَّوَا
قَطَعْتُ ذَا زَادٍ مِنْ هَذَا كَذَا * فَتَرَكْتُهَا رَمِيًّا يَطُوفُ بِهَا الْبَلَا
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمُ لِلْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا :-

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدُو نَفِيسَةً * فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْإِبْدَانُ لِلْمَوْتِ أَنْشَتْ * فَقَتْلُ أَمْرِي بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ شَيْئًا مَقْدَرًا * قَلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ لِلتَّرَكِّ جَمْعًا * فَمَا بَالُ مَتْرُوكِهِ بِهَ الْمَرْءِ يَبْخُلُ

وما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف ، ويقال بنت امرئ القيس ابن عدي بن أوس الكلبي أم ابنته سكيئة .

لعمرك إنني لأحبُّ داراً * نَحَلَّ بِهَا سَكِينَةُ وَالرَّبَابُ

أحبها وأبذل جُلِّ مالى * وليس للأئمة فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً * حياتى أو يعلى التراب

وقد أسلم أبوها على يدى عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه على بن أبى طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بناته ، فزوج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوج علياً ابنته الثالثة ، وهى الحياة بنت امرئ القيس فى ساعة واحدة ، فأحب الحسين زوجته الرباب حباً شديداً وكان بها معجباً يقول فيها الشعر ، ولما قتل بكر بلاه كانت معه فوجبت عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهى تقول :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشرف قریش فقال : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله (ص) ، ووالله لا يؤوينى ورجلا بعد الحسين سقفاً أبداً . ولم تزل عليه كدة حتى ماتت ، ويقال إنها إنما عاشت بعده أيلماً يسيرة فآله أعلم ، وابتها سكينه بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن فى زمانها أحسن منها فآله أعلم .

وروى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب أن ابن زياد بعد مقتل الحسين تقعد أشرف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر بن يزيد ، فتطلبه حتى جاءه بعد أيام فقال : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أما قلبى فلم يمرض ، وأما بدنى فقد من الله عليه بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ، ولكنك كنت مع عدونا ، قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكان مثلى ، ولكن الناس شاهدوا ذلك ، قال : وعقل عن ابن زياد عقلة فخرج ابن الحر قعد على فرسه . ثم قال : أبلغوه أنى لا آتبه والله طائماً فقال ابن زياد : أين ابن الحر ؟ قال : خرج ، فقال على به ، فخرج الشرط فى طلبه فأمهم غليظ مايكرهون ، وترضى عن الحسين وأخيه وأبيه ثم أمهم فى ابن زياد غليظاً من القول ثم امتنع منهم وقال فى الحسين وفى أصحابه شعراً :-

يقول أمير غادر حق غادر * ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

فيأندى أن لا أكون نصرته * لذو حسرة ما إن تفارق لازمة

سقى الله أرواح الذين تبارزوا * على نصره سقياً من الغيث دائماً

وقفت على أجداثهم وقبورهم * فكان الحشى ينقض والعين ساجدة

لعمري لقد كانوا مصاليت فى الوغى * سراعاً إلى الهيجا حملة حضارمة

تأسوا على نصر بن بنت نبيهم * بأسيا فهم أساد غيل ضراغمة

فان يقتلوا تلك النفوس النقية * على الأرض قد أضحت لملك واجدة

فما إن رأى الرءاؤون فضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قاقه
 أنقتلهم ظلماً وترجو ودادنا * فدى خطه ليست لنا بلاءة
 لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم نأقم منا عليكم وناقه
 أهم مراراً أن أسير بجحفل * إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة
 فيا ابن زياد استعد لحربنا * وموقف ضحك تقصم الظهر قاصمة
 وقال الزبير بن بكار : قال سليمان بن قتيبة يرى الحسين رضى الله عنه

وإن قيل الطف من آل هاشم * أذل رقاباً من قریش فذلت
 فان تتبعوه عائداً لبیت تصبحوا * كعاد تعمت عن هداها فصلت
 مرت على أبيات آل محمد * فالفيتها أمثالها حيث حلت
 وكانوا لنا غناً فعادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
 فلا يبعد الله الديار وأهلها * وإن أصبحت منهم بزعى فحلت
 إذا افتقرت قيس خبرنا فقيرها * وتفلسنا قيس إذا النعل زلت
 وعند يزيد قطرة من دمائنا * سنجزئهم يوماً بها حيث حلت
 ألم تر أن الأرض أضحت مريضة * لقتل حسين والبلاد اقشعت

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة - أعنى سنة إحدى وستين - بعد مقتل الحسين
 فيها وألى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربعة
 وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عباداً وعبد الرحمن ، وسار سلم إلى عمه فجعل ينتحب الوجوه
 والفرسان ، ويحرض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك ، ومعه امرأته
 أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكأنت أول امرأة من العرب قطع بها النهر ، وولدت
 هناك ولداً أسموه صفدى ، وبعث إليها امرأة صاحب صفدى بتاجها من ذهب ولاك . وكان المسلمون
 قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فشق بها سلم بن زياد . وبعث المهلب بن أبي صفرة إلى تلك
 المدينة التي هي للترك ، وهي خوارزم فحاصروهم حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ، وكان
 يأخذ منهم عروضا عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ،
 فحظى بذلك المهلب عند سلم بن زياد

ثم بعث من ذلك ما اصطفاه يزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد ، وصالح سلم أهل سمرقند في
 هذه الغزوة على مال جزيل . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن

عتبة بن أبي سفيان ، فولاه المدينة ، وذلك أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ويمظم قتل الحسين وأصحابه جدا ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا في النهار صيامه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الفنا والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحداء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حلق الذكر طلب الصيد ، - يُعرض في ذلك يزيد بن معاوية - فسوف يلقون غيا ، ويؤلب الناس على بني أمية ويمنهم على مخالفته وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفق ، وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قتل الحسين فليس ينزع أحد ابن الزبير ، فلما بلغ ذلك يزيد شق ذلك عليه وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرج من الحرم ، فبعث ففرزله وولى الوليد بن عتبة فيها ، وقيل في مستهل ذي الحجة ، فأقام للناس الحج فيها ، وحلف يزيد ليأتيني ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه برنس من خزليبر يمينه ، فلما مر البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول : -

فخنها فما هي للعزيز بخطه * وفيها مقال لا مرئ متذلل

أعمر إن القوم ساموك خطة * وذلك في الجيران غزل بمنزل

أراك إذا ما كنت في القوم ناصحا * يقال له بالذلو أدبر وأقبل

فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز ليحضرا مراجعته في ذلك ، وقال : أسمعاه قولي في ذلك ، قال عبد العزيز : فلما جلس الرسل بين يديه جمعت أنشده ذلك وهو يسمع ولا أشعره ، فالتفت إلى فقال : أخبرا أبأما أني أقول : -

إني لمن نبعة صم مكسرها * إذا تناوحت القصباء والعشر

ولا أئين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضع الحجر

قال عبد العزيز : فما أدري أبأما كان أعجب !!

قال أبو معشر : لا خلاف بين أهل السير أن الوليد بن عتبة حج بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد أخو عبيد الله ابن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

من توفي فيها من الأعيان

الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعه بضعة عشر من أهل بيته قتلوا جميعاً بكر بلاء ، وقيل بضعة

وعشرون كما تقدم . وقتل معهم جماعة من الأبطال، والفرسان .

جابر بن عتيك بن قيس

أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، شهد بدرًا وما معه ، وكان حامل راية الأنصار يوم الفتح ، كذا قال ابن الجوزي ، قال : وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة

حمزة بن عمرو الأسلمي

صحابي جليل ثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت : سألت حمزة بن عمرو رسول الله (ص) ، فقال : إني كثير الصيام أفصوم في السفر ؟ فقال له : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » . وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصدیق يوم أجنادين ، قال الواقدي : وهو الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه فأعطاه نوبيه ، وروى البخاري في التاريخ بأسناد جيد عنه أنه قال : « كنا مع رسول الله (ص) في ليلة مظلمة فأضاءت لي أصابعي حتى جمعت عليها كل متاع كان للقوم » . اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة إحدى وستين -

شعبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدي الحنفي

صاحب مفتاح الكعبة كان أبوه ممن قتل على بن أبي طالب يوم أحد كافرا ، وأظهر شعبة الاسلام يوم الفتح ، وشهد حنينًا وفي قلبه شيء من الشك ، وقد تم بالفتك برسول الله (ص) ، فأطلع الله على ذلك رسوله فأخبره بما هم به فأسلم باطنًا وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر . قال الواقدي عن أشياخه : إن شعبة قال : كنت أقول والله لو آمن بمحمد جميع الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجت معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلها منه ، قال : فاختلط الناس ذات يوم ونزل رسول الله (ص) ، عن بغلته فدنوت منه وانتضيت سيفي لأضربه به ، فرفع لي شواظ من نار كاد يحشني ، فالتفت إلى رسول الله (ص) ، وقال : « يا شعبة ادن مني ، فدنوت منه فوضع يده على صدري وقال : اللهم أعذه من الشيطان . قال : فوالله ما دفع يده حتى هو يومئذ أحب إلى من سمعي وبصري ، ثم قال : اذهب فقاتل ، قال : فتقدمت إلى العدو والله لو لقيت أبي لقتلته لو كان حيا ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شعبة الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ، ثم حدثني بكل ما كان في نفسي مما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل ، فتشهدت وقلت : أستغفر الله ، فقال : غفر الله لك » . ولى الحجابة بعد عثمان بن طلحة واستقرت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم ، وإليه ينسب بنو شعبة ، وهم حجابة الكعبة . قال خليفة بن خياط وغير واحد : توفي سنة تسع وخمسين وقال محمد بن سعد : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في المنتظم : مات في هذه السنة . عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم صحابي انتقل إلى دمشق وله بها دار ،

ولمات أوصى إلى يزيد بن معاوية وهو أمير المؤمنين .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ابن أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو وهب القرشي العبشي ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، والوليد من الأخوة خالد وعمارة وأم كلثوم ، وقد قتل رسول الله (ص) أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صبراً بين يديه ، فقال : يا محمد من للصبيّة ؟ فقال : « لهم النار » وكذلك فعل بالنضر بن الحارث . وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله (ص) على صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص) ، فأراد أن يجهز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك فجاء من جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبرونه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة] الآية . ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمرو بن عبد البر على ذلك الاجماع . وقد ولاه عمر صدقات بني تغلب ، وولاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد ابن أبي وقاص ، سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلى بأصحابه ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخبيط ، ثم إن عثمان جلده وعزله عن الكوفة بعد أربع سنين فأقام بها ، فلما جاء على إلى العراق سار إلى الرقة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعة في هذه السنة ، ودفن بضيعة وهي على خمسة عشر ميلاً من الرقة ، ويقال : إنه توفي في أيام معاوية فله أعلم . روى له الامام أحمد وأبو داود حديثاً واحداً في فتح مكة ، وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، وذكر أيضاً وفاة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل إنها توفيت سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والصواب ما ذكرناه .

أم سلمة أم المؤمنين

هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية الخزومية كانت أولاً تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فأتها عنها ، فتزوجها رسول الله (ص) ، ودخل بها في شوال سنة ثنتين بعد وقعة بدر ، وقد كانت سمعت من زوجها أبي سلمة : حديثاً عن رسول الله (ص) . أنه قال « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أبدله الله خيراً منها » قالت : فلما مات أبو سلمة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خير من أبي سلمة أول رجل هاجر ؟ ثم عزم الله لي قتلها فأبدلني الله خيراً

منه ، رسول الله (ص) ، وكانت من حسان النساء وعابداتهن . قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خيثمة : توفيت في أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله والله أعلم . ورضى الله عنها والله

ثم دخلت سنة ثنتين وستين

سبحانه أعلم

يقال فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنوية ، ثم عادوا من عنده بالجوائز فغلموه وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً في السنة الآتية إلى المدينة فكانت وقعة الحرة على ما سنبينه في التي بعدها إن شاء الله تعالى ، وقد كان يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولى عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل المدينة احتاط على الأموال والحواصل والأموال ، وأخذ العبيد الذين لعمر بن سعيد فحبسهم - ، وكانوا نحو من ثلاثمائة عبد - فتجهز عمرو بن سعيد إلى يزيد وبعث إلى عبيده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعد لهم إبلا يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فما لحقوه حتى وصل إلى يزيد فأكرمه واحترمه ورحب به يزيد ، وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في قصيره في شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإن جل أهل مكة والحجاز مالأوه علينا وأحبوه ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو أنا هضته ، وقد كان يحذرنى ويحترس منى ، وكنت أرفق به كثيراً وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أنى قد ضيقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد هو وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن عرف أنه يريد رددته صاغراً ، وإلا خليت سبيله . وقد وليت الوليد وسيأتيك من عمله وأمره ما لعلك تعرف به فضل مسارعتي واجتهادى في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكتب عدوك . فقال له يزيد : أنت أصدق من رماك وحملنى عليك ، وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وأدخره لذات الصدع ، وكفاية المهم وكشف نوازل الأمور العظام . فى كلام طويل ،

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز وقد هم مراراً أن يبش بعبء الله بن الزبير فيجده متحذراً ممنماً قد أعد للأمور أقرانها . ونار بالجملة رجل آخر يقال له نجدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير بل بقى على حدة ، له أصحاب يتبعونه ، فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور وتخلف عنه ابن الزبير وأصحاب نجدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نجدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج لا يتجه لأمر رشد ولا يرعوى لمظة

الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق لين الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فان فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فزل يزيد الوليد وولى عثمان محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز وإذا هو قتي غر حدث غمر لم يارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وعظم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة ، إلا المنذر بن الزبير فانه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهر وا شتم يزيد وعييه وقالوا : قدمننا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتعزف عنده القينات بالمعارف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلصناه ، فتابعهم الناس على خلعه ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم عنه أنه يشرب الخمر ويسكر حتى ترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت ، فأدره وانتقم منه . ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينههم عما صنعوا ويحذرهم رغباً ذلك ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد وخوفهم الفتنة وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك يانعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأني وقد تركت تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب التي تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين ، وكأني بك قد ضربت جنب بفلتك إلى وخلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سكاكهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دورهم . فقصاه الناس فلم يسمعوا منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة كذا قال وفيه نظر ، فانه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فانما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين وهو أشبه والله أعلم .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

بريدة بن الحُصيب الأسدي كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله (ص) ، وهو مهاجر إلى المدينة عند كراع الغميم ، فلما كان هناك تلقاه بريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء وعلمه

ليثند صدرًا من سورة مريم ، ثم قدم على رسول الله (س) المدينة بعد أحد فشهد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واخطب بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرور في خلافة يزيد بن معاوية . ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

الربيع بن خثيم

أبو يزيد الثوري السكوفي أحد أصحاب ابن مسعود قال له عبد الله بن مسعود : ما رأيتك قط إلا ذكرتُ المحبتين ، ولوراك رسول الله (س) لأحبك . وكان ابن مسعود يحمله كثيراً ، وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أروع أصحاب ابن مسعود ، وقال ابن معين : لا يسأل عن مثله ، وله مناقب كثيرة جداً ، أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود . وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة وعنه خلق من التابعين .

عقبة بن نافع النهري

بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف فافتتحها ، واخطب القيروان ، وكان موضعها غيضة لا ترام من السباع والحيات والحشرات ، فدعا الله تعالى فجعلن يخرجن منها بأولادهن من الأوكار والجارح ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة ، غزا أقواماً من البربر والروم فقتل شهيداً رضى الله عنه . عمرو بن حزم صحابي جليل استعمله رسول الله (س) على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

مسلم بن مخلد الانصاري الزرقى ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله (س) ، وشهد فتح مصر ، وولى الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في حذى القعدة من هذه السنة .

مسلم بن معاوية الديلمي صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا واخندق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نكابة ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحزينا ، وحج مع أبي بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمر ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الاسلام ، قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية ، وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيهما توفيت الزباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون في السبت أو في الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله (س) .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت وقعة الحرة وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا

ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعت كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمام والنعال هناك ، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن عم يزيد ، وعلى إجلاء بني أمية من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة بحاصر ونهم ، واعتزل الناس على بن الحسين « زين العابدين » وكذلك عبد الله بن عمر ابن الخطاب لم يخلعوا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفصيل ويروى الصليم بيني وبينه ، وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد ، وأمر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنما كنا نبائع رسول الله ﷺ على أن لا نفر ، وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب ، وقد سئل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر وترك بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله ، وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة والجوع والعطش ، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في رجله ، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك ! ما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهل لا قاتلوا ساعة من نهار ؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد ابن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فأنما دماء قریش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتول ذلك من هو أبعد منهم مني ، قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ، وقيل اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وقيل أربعة دنانير ، ثم استعرضهم وهو على فرس له ، قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني ، وعلى أهل الأردن حبش بن دجلة القيني ، وعلى أهل فلسطين رَوْح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني ، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحساس الهلالي ، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان ، وإنا يسميه السلف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك . وكان العمان أخا عبد الله بن حنظلة لأنه عمرة بنت رَوَاحَة . فقال يزيد لا ليس لهم إلا هذا الغشمة ، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة . فقال النعمان يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : رأيت

إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم ، وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم ، وإلا فاستعن بالله وقتلهم ، وإذا ظهرت عايتهم فأبج المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس ، وانظر إلى علي بن الحسين فكفف عنه واستوص به خيراً ، وأذن مجلسه ، فانه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ، وأمر مسلم إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن نمير ، وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوي . وقد كان يزيد كتب إلى عبد الله بن زياد أن يسير إلى الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله . ، وأغزو البيت الحرام ؟ وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟ وعنفته تعنيفاً شديداً . قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته : يزيد القرد ، شارب الخمر ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول : -

أبلغ أبا بكر إذا الجيشُ سرى * وأشرف الجيشُ على وادى القرى
أجمع سكران من القوم ترى * يا عجباً من ملحد في أم القرى

* مخادع الدين يقضى بالقرى * وفي رواية

أبلغ أبا بكر إذا الأمرُ انبرى * ونزل الجيشُ على وادى القرى
عشرون ألفاً بين كهلٍ وفقى * أجمع سكران من القوم ترى

قالوا : وسار مسلم بن معه من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية ، وقالوا لهم : والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين ، ولا نعاملهم علينا ، فأعطوهم العهد بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يجبره أحد ، فأنحصر لذلك ، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرق المدينة في الحرة ، فاذا خرجوا إليك كانت الشمس في أفقيتكم وفي وجوههم ، فادعهم إلى الطاعة ، فان أجابوك وإلا فاستعن بالله وقتلهم فان الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الامام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وامثل ما أشار به ، فنزل شرق المدينة في الحرة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام ، كل ذلك يابون إلا الحاربة والمقاتلة ، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم : يا أهل المدينة : مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لى : إنكم أصله ونعشيره ، وإنه يكره إراقة دمائكم ، وإنه أمرنى أن أوصلكم ثلاثاً فقد مضت ، فإذا أنتم صانعون ؟ آتسألون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد - يعنى ابن الزبير -

فقالوا : يا عدو الله ! لو أردت ذلك لما مكنك منه ، أنحن نذركم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام ؟ ثم تهبوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقا بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أنجل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل ، ثم اقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والاعيان ، منهم عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأخوه لأنه محمد بن ثابت بن شماس ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وقد مر به مروان وهو مجندل فقال : رحمك الله فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود .

ثم أباح مسلم بن عقبة ، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ، لا جزاء الله خيراً ، وقتل خلقاً من أشrafها وقرأها وانتهب أموالا كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد . فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعته في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه ، واستدعى لعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أماناً ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشارب - وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة فكان يشاب له بشاربه - فلما جىء بالشراب شرب مروان قليلاً ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً ، وكان مروان مؤاذماً لعلي بن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الاناء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئت مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضع الاناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى ههنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك . ثم قال لعلي بن الحسين : لعل أهلك فزعوا ، فقال : إى والله . فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرماً . ثم استدعى بعمر بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له : إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا معكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين ، ثم أمر به ففتفت لحيته بين يديه - وكان ذا الحية كبيرة -

قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المريية إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لابلنا بئس مكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤا إلا بأخذ إبلها أولاً . وجاءته امرأة فقالت :

أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجلوه لها ، فضربت عنقه ، وقال : أعطوه رأسه ، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟ ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلى ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج فأن الله أعلم . قال المدائني عن أبي قرّة قال قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج . وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله ، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي فقصدتني ، فلما رآني صمم على قتلي فشمت سيفي ثم قلت : (إني أريد أن تبوء بائني وإمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخدري قال : صاحب رسول الله (ص) ؟ قلت : نعم ! فضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بن سعيد بن المسيب فقال له : بايع ! فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون نخل سبيله . وقال المدائني عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التيمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان ، فقال ابن عمر : بعثان ورب الكعبة . قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة . قال : سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال : سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالى ومن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة ثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام . قال الواقدي وأبو معشر : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائد - يعنى العائد بالبيت - ويرون الأمر شوري ، وجاء خبر الحرة إلى أهل مكة ليلة مستهل الحرم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام . قال ابن جرير : وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو مخنف ، فحدثني أحمد بن زهير ثنا أبي سمعت وهب بن جرير ثنا جويرية بن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فان فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته لنا ، فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - وكان شريفاً فاضلاً سيّداً عابداً - ومعه ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأخضعك وأخذك

وأكرمك . قال : قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله ، فحضر الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة ، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً بالمطر ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بمجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهمز الناس فكان من أصيب في الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يفظ نوما ، فنبه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس ، أمر أ كبر بنيه فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية ، وبجكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ماشاء . وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكى : ثنا الحسين بن الحسن اليشكرى ثنا الزياى عن الأصمى ح . وحدثنى محمد بن الحارث عن المدائنى قال : لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبى قبيس مساء تلك الليلة ، وابن الزبير جالس يسمع :-

والصائمون * القاتون * ن أولوا العبادة والصالح
المهندون * المحسنون * ن السابقون إلى الفلاح
ماذا بواقم * والبقية * ع من الجحاحجة الصباح
وبقاع ينرب * ويجهن * ن من النوادب والصياح
قتل الخياد بنوا الخيا * ر ذوى المهابة والسماح

فقال ابن الزبير : يا هؤلاء قتل أصحابكم فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيع المدينة ثلاثة أيام ، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم ، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية مالا يحصى ولا يوصف ، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهي ، فقصمه الله قاصم الجبارة ، وأخذته أخذ عزيز مقتدر وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذته أليم شديد .

قال البخاري في صحيحه : حدثنا الحسين بن الحارث ثنا الفضل بن موسى ثنا الجعد عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها . قال : سمعت رسول الله (س) ، يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماح كما ينماح الملح في الماء » . وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القراظ المديني - واسمه دينار - عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (س) ، قال : « لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح في الماء » . وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القراظ عن سعد وأبي هريرة أن رسول الله (س) ، قال : « من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » وقال الإمام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ثنا يزيد بن خصيفة عن عطاء بن يسار عن السائب ابن خلاد أن رسول الله (س) ، قال : « من أخاف أهل المدينة ظمأً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » . ورواه النسائي من غير وجه عن علي ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الرحمن ابن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره . وكذلك رواه الحميدي عن عبد العزيز بن أبي حازم عن يزيد بن خصيفة . ورواه النسائي أيضاً عن يحيى بن حبيب بن عري عن حماد عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبي مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد - وكان من أصحاب النبي (س) - . فذكره . وقال ابن وهب : أخبرني حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن أبي بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد ، قال سمعت رسول الله (س) ، يقول : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال الدارقطني : ثنا علي بن أحمد بن القاسم ثنا أبي ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال : تمس من أخاف رسول الله (س) . ابن قتلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله (س) ؟ فقال : سمعت رسول الله (س) ، يقول : « من أخاف أهل هذا الحى من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين - ووضع يده على جبينه - » قال الدارقطني : تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً ، وقد استدلل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد ، وجوز لعنته . ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضاً لثلاث يجعل لعنة وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قول العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من

إثارة الفتنة ، ووقوع المهرج وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فانه كان يرى أنه الامام وقد خرجوا عن طاعته ، وأمروا عليهم غيره ، فله قتلهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم ، وقد جاء في الصحيح : « من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان » . وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبرى في وقعة أحد التي يقول فيها

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا * جزع الخزر ج من وقع الأسل
حين حلت بفنائهم برّكها * واستحزّ القتل في عبد الأشل
قد قتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل
وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :-

لعبت هاشم بالملك فلا * ملك جاءه ولا وحى نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه ، وسيدكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً ، وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعاينه من الأفعال والقبايح والأقوال في السنة الآتية ، فانه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان علياً قديراً . وقد توفى في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرة مما يطول ذكرهم . فمن مشاهيرهم من الصحابة عبد الله بن حنظلة أمير المدينة في وقعة الحرة ، ومعتل بن سنان وعبيد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم ، ومسرور بن الأجدع .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها في أول المحرم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التفّ عليه من الأعراب ، على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة رّوح بن زنباع ، فلما بلغ ثنية هرشا بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إليّ إن حدث بي حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني ، والله لو كان الأمر لي ما فعلت ، ثم دعا به فقال : انظريا ابن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن ينادي ابن الزبير قبل ثلاث ، ثم

قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أحب إلى من قتل أهل المدينة ، وأجزى عندي في الآخرة . وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي ، ثم مات قبضه الله ودفن بالمسلك فيما قاله الواقدي .

ثم أتبعه الله يزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متعهما الله بشيء مما رجوه وأملوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملك ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء

وسار حصين بن نمير بالجيش نحو مكة فأنهى إليها لأربع بقين من الحرم فيما قاله الواقدي ، وقيل لسبع مضي من ، وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف أهل المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نجدة بن عامر الحنفي - من أهل البصرة - في طائفة من أهلها لينموا البيت من أهل الشام ، فنزل حصين بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه فاقتلوا عند ذلك قتلاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فأنكشفت أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكره عليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعاً ، وصابروا ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا في بقية شهر الحرم وصفرًا بكامله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار ، فاحترق جدار البيت في يوم السبت ، هذا قول الواقدي ، وهم يقولون :

«خطأه مثل الفتيق المزبد * ترمى بها جدران هذا المسجد

وجعل عمر بن حوطة السدوسي يقول : -

كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم بين الصفا والمروة

وأم فروة اسم المنجنيق ، وقيل : إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت ، وقيل إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الرياح شررة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة ، فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت ، واسود الركن وانصدع في ثلاثة أمكنة منه . واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناس نعي يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس

للالا

أو ثمان أو تسع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر ، فغلب أهل الشام عناك وانقلبوا صاغرين ، حينئذ خمدت الحرب وظفت نار الفتنة ، ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة ، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام فنادى فيهم : يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيستكم ، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فلينفل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع ، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع بالخبر اليقين . ويذكر أن حصين بن نمير دعا ابن الزبير ليحدثه بين الصفين فاجتمعا حتى اختلف رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلى فرسى تأكل من الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم ، فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟ فقال له حصين . فأذن لنا فلنظف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم فطافوا .

وذكر ابن جرير أن حصينا وابن الزبير اتعدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فلم فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك وأغلظ له في المقال فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟ ثم كر بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعدته بالملك ويتواعدني بالقتل ؟ . ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلست آتيه ولكن خذني البيعة على من هناك ، فأتى أو منكم وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير . فرجع فاجتاز بالمدينة فطمع فيه أهلها وأهانهم إهانة بالغة ، وأكرمهم على بن الحسين « زين العابدين » وأهدى لحصين ابن نمير قنأ وغلفاً ، وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

وهذه ترجمة يزيد بن معاوية

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمسٍ أوستٍ أو سبعٍ وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمر متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه ميسون بنت مخول بن أنيف بن دجلة بن نفثة بن عدى بن زهير بن حارثة الكلبي . روى عن أبيه معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « من رد الله به خيراً يققه في الدين » . وحديثاً آخر في الوضوء . وعنه ابنه خالد

وعبد الملك بن مروان ، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلى الصحابة ، وهي العليا ، وقال : له أحاديث ، وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلاً طويلاً ضخيم الهامة محدد الأصابع غليظها مجدراً ، وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به ، فرأت أمه في المنام أنه خرج منها قر من قبلها ، فقصت رؤياها على أمها فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يبايع له بالخلافة . وجلست أمه ميسون يوماً تمشطه وهو صبي صغير ، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنظرة ، وهي فاخنة بذت قرظة ، فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

إِذَا مَاتَ لَمْ تَفْلَحْ مَرِيئَةَ بَعْدَهُ * فَنُطِى عَلَيْهِ يَامَزِينُ التَّمَامُ

وانطلق يزيد يمشي وفاخنة تتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساق أمك ، فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله - وهو ولده منها وكان أحق - فقالت فاخنة : لا والله لكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومي من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً وحملاً فارهاً ، فقال : يا بني أنت حمار وتشتري لك حملاً ؟ قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟ ثم استدعى يزيد فقال : إنني قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فسألني ما بدالك . فخر يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه في هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتولياني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتولياني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتعرض لأيتام بنى جحج ، وأيتام بنى سهم ، وأيتام بنى عدى . فقال : مالك ولأيتام بنى عدى ؟ فقال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى دارى . فقال معاوية : قد فعلت ذلك كله ، وقبل وجهه ، ثم قال لفاخنة بذت قرظة : كيف رأيت ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين أوصه بي فأنت أعلم به مني ، ففعل . وفي رواية أن يزيد لما قال له أبوه : سلني حاجتك ، قال له يزيد : اعتقني من النار . أعتق الله رقبته منها ، قال : وكيف ؟ قال : لأنني وجدت في الآثار أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرّمه الله على النار ، فاعهد إلى بالأمر من بعدك ففعل .

وقال العتيبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له فقال له : اعلم أن الله أقدر عليك منك عليه ، سواء لك ! ! أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعتني القدرة من الانتقام من ذوى الاحن ، وإن أحسن من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (س) رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له فقال : « اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه » . قال العتيبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسقط مملوء جواهر

على معاوية فسرّ بذلك معاوية ، فقام زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقتلك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية . فقال له معاوية : اجلس فداك أبي وأمي . وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فقال له الأخنف بن قيس : يا أمير المؤمنين إنما هم أولادنا ، نمارقنا وعمارنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فارضهم ، وإن طلبوا فاعطهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملوا حياتك ويتمنوا موتك . فقال معاوية : لله درك يا أبا بجر ، يا غلام أنت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأخنف ، فقال يزيد : لا جرم لأقاسمته ، فبعث إلى الأخنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا ابن عائشة عن أبيه . قال : كان يزيد في حدائقه صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث ، فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق ، فقال : يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمرءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوك ويسئ بك صديقك ، ثم قال : يا بني إني منشذك أبياتاً فتأدب بها واحفظها ، فأنشده : -

انصَبَ نهاراً في طلاب الملا * واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليل أتى بالدجا * واكتحل بالغمض عين الرقيب
فبأشْرِ الليل بما تشهى * فانما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكاً * قد بأشْرِ الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أسناره * فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحق مكشوفة * يسمى بها كل عدو مريب^(١)

قلت : وهذا كما جاء في الحديث « من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليست بستر الله عز وجل » .

وروى المدائني أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رَّحِبَ به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزى لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبي . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب

(١) بالهامش - ونسبة هذا الشعر إلى معاوية فيه نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذهب علماء الناس ، ثم أنشد متمثلاً .

مفاض عن العوراء لا ينطقوا بها * وأصل ورائتِ الحلوم الأوائلُ

وقد كان يزيد أول من غزى مدينة قسطنطينية في سنة تسع وأربعين في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم » . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه عند أم حرام فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت من الأولين » . يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ، ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر ههنا الحديث الذي رواه محاضر عن الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وكذلك رواه عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم أورد من طريق حماد بن سلمة عن أبي محمد عن زرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومائة سنة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية . قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين وثلثين وخمسين وثلاث خمسين . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو كريب ثنا رشد بن عمرو بن الحارث عن أبي بكير بن الأشج أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : يمتع الله بك يا أمير المؤمنين ، قال لتخبرني : قال ، كنت والله يا أبة عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني والله لقد جهت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقها فكيف بك وسيرة عمر ؟

وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن مروان بن أبي سعيد بن المولى قال قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد !! اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يك خيراً فأنا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فارفق بالناس وأغضض عما بلغك من قول تؤذى به وتفتقص به ، وطأ عليه يهلك عيشك ، وتصلح لك رعيتك ، وإياك والمناقشة وحمل الغضب ، فانك تهلك نفسك ورعيتك ، وإياك وخيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ، ولن لهم لنا بحيث لا يروا منك ضعفاً ولا خوراً ، وأوطئهم فراشك وقر بهم إليك وادنهم منك ، فانهم يعلموا لك حقا ، ولا تنهم ولا تستخف بحقهم فيبينوك ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك ،

فاذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاوهم ولا تخالفهم ، وإياك والاستبداد برأيك فان رأى ليس فى صدر واحد ، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك ، وشمر إزارك ، وتعاهد جنك ، وأصلح نفسك تصلح لك الناس ، لاتدع لهم فيك مقالا فان الناس سراع إلى الشر ، واحضر الصلاة ، فانك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك ، وعظمت مملكته ، وعظمت فى عين الناس ، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فانهم أصلاك وعشيرتك ، واحفظ لأهل الشام شرفهم فانهم أهل طاعتك ، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدم فيه منك بالمعروف ، فان ذلك يبسط آمالهم ، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فانهم لمن ورائهم ، ولا تسمعن قول قاذف ولا ماحل فانى رأيهم وزراء سوء .

ومن وجه آخر أن معاوية قال ليزيد : إن لى خليلاً من أهل المدينة فاكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التى كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبى أنت وأمى ، فأعطاه ألف ألف أخرى . فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبوى لأحد بعدك . ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفى ألف ، رأى على باب يزيد بخاتى مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتى ليركب عليها إلى الحج والعمرة ، وإذا وفد إلى الشام على يزيد ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البخاتى التى على الباب ؟ - ولم يكن شعر بها - فقال : يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألفاف - وكان عليها أنواع من الأموال كلها - فقال : اصرفها إلى أبى جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتؤمنونى على حسن الرأى فى هذا ؟ - يعنى يزيد -

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأى فى الملك . وكان ذا جمال حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات ، وإماتته فى غالب الأوقات . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة حدثنى بشير بن أبى عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أباسعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون عيا ، ثم يكون خلف يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، و يقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر » . فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير بن حرب ثنا الفضل بن دكين ثنا كامل أبو العلاء سمعت

أبا صالح سمعت أبا هريرة . يقول قال رسول الله (ص) : « تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إماراة الصبيان » . وروى الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال في يزيد بن معاوية : -

لست منا وليس خالك منا * يا مضيع الصلوات للشهوات

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات ، وروى عن عبد الله بن الزبير أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت فضربها وقال قولي :

أنت منا وليس خالك منا * يا مضيع الصلوات للشهوات

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ثنا يحيى بن حمزة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي عبيدة : أن رسول الله (ص) قال : « لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثله رجل من بني أمية يقال له يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة بن مفضل . وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة . عن رسول الله (ص) قال : « لا يزال أمر هذه الأمة قائما بالقسط حتى يكون أول من يثله رجل من بني أمية يقال له يزيد » . ثم قال وهو منقطع أيضا بين مكحول وأبي ثعلبة . وقال أبو يعلى : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن عوف عن خالد بن أبي المهاجر عن أبي العالية . قال : كنا مع أبي ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول : « أول من يغير سنتي رجل من بني أمية » . ورواه ابن خزيمة عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد عن عوف : حدثنا مهاجر بن أبي مخلد حدثني أبو العالية حدثني أبو مسلم عن أبي ذر فذكر نحوه ، وفيه قصة وهي أن أبا ذر كان في غزاة عليهم يزيد بن أبي سفيان فاغتصب يزيد من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذر على يزيد أن يردّها عليه ، فأمره أبو ذر أن يردّها عليه ، فتلکما فذكر أبو ذر له الحديث فردّها ، وقال يزيد لأبي ذر : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا . وكذا رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر فولى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن معين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا إنما يروى عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه والله أعلم . قال الحارث بن مسكين عن سفيان عن شبيب عن عرقدة بن المستظل . قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمت ورب الكعبة

متى تهلك العرب ، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم في الاسلام . قلت : يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فانه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - وقال للرسول الذين جاؤا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا ، ولم يعظم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه ، وردهم إلى المدينة في محامل وأهبة عظيمة ، وقد نأح أهله في منزله على الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام ، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك ، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤسهم إلى يزيد ، فسرّ بقتله أولاً وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم فكان يقول : وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته في دارى وحكمته فيما يريد ، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني ، حفظاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورعاية لحقه وقرابته ، ثم يقول : لعن الله ابن مرجانة فانه أخرج واضطره ، وقد كان سأله أن يخلى سبيله أو يأتيني أو يكون بنجر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً ، مالى ولا ابن مرجانة قبحه الله وغضب عليه .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه يوم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكره عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات ، لم يهتموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع المهرج كما وقع زمن الحرة ، فانه بعث إليهم من يردهم إلى الطاعة وأنظروهم ثلاثة أيام ، فلما رجعوا قاتلهم وغير ذلك ، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية ، ولكن تجاوز الحد باباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌ عظيم كما قدمنا ، وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد . ولا بايع أحداً بعد بيعته يزيد . كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن علية حدثني صخر بن جويرية عن نافع . قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا يا لعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول . « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الفساد إلا أن يكون الاشرار بالله ، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته » . فلا يخلمن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون الفيصل بيني وبينه .

وقد رواه مسلم والترمذى من حديث صخر بن جويرية ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنى عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر مثله .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيتم منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيتته مواضياً على الصلاة متحريراً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة ، قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذى خاف منى أودجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلو كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه . فقال لهم أبى الله ذلك على أهل الشهادة ، قال : [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] ولست من أمركم فى شئ ، قالوا : فلعلك تنكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليكم أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك ، قال : جيتونى بمثل أبى أقاتل على مثل ما قاتل عليه ، فقالوا : فرأينك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا ، قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال ، قال : سبحان الله ! أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذا ما نصحت لله فى عباده . قالوا : إذا نكرهك . قال : إذا أمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق ، وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا مصعب الزبيرى ثنا ابن أبي حازم عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن ابن عمر دخل وهو معه على ابن مطيع ، فلما دخل عليه . قال : مرحباً بأبى عبد الرحمن ضعوا له وسادة ، فقال : إنما جئتكم لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله (ص) . يقول : « من نزع يداً من طاعة فانه يأتى يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات مفارق الجماعة فانه يموت موة جاهلية » . وهكذا رواه مسلم من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر به ، وتابعه إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه . وقد رواه الليث عن محمد بن مجلان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره . وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحد من آل أبى طالب ولا من بنى عبد المطلب أيام الحرة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأدنى مجلسه وأعطاه كتاب أمان . وروى المدائنى أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : ترى مالى أهل المدينة ؟ فما الذى يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته . وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض

عنه من أنه شمت بهم واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذكرا وأثرا شعر ابن الزبيرى المتقدم ذكره . وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام : حدثني محمد بن القاسم سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية :-

إنها بينَ عامرٍ بنِ لؤي * حينَ تمى وبينَ عبدِ منافٍ
ولها في الطيبينِ جدودٌ * ثم نالت مكارمَ الأخلافِ
بنتُ عمِ النبي أكرمُ من * يمشى بنعلٍ على الترابِ وحافِ
لنَ تراها على التبدلِ والغدا * ظلةٍ إلا كدرةِ الأصدافِ

وقال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان

آبَ هذا الهمُّ فاكتنفا * ثم مرَّ النومُ فامتنعنا
راعياً للنجمِ أرقبه * فاذا ما كوكبٌ طلعا
حامٍ حتى أننى لأرى * أنه بالغورِ قد وقعا
ولها بالمطارونِ إذا * أكلَ الغلُّ الذي جمعا
نزهةً حتى إذا بلغت * نزلت من خلقٍ تبعنا
في قبابٍ وسطَ دسكرةٍ * حولها الزيتونُ قدينا

ومن شعره

وقائلةً لى حينَ شبهت وجهها * بيدرٍ الدجى يوماً وقد ضاقَ منهجى
تشبهنى بالبدْرِ هذا تناقصٌ * بقدرى ولكن لستُ أولُ من هجى
ألمَ ترَ أنَّ البدرَ عندَ كالهٍ * إذا بلغَ التشبيهُ عادَ كندلجى
فلا تغرَّ إن شبهتَ بالبدْرِ مبسماً * وبالسحرِ أجفانى وبالليلِ مدعجى

قد ذكره الزبير بن بكار عن أبي محمد الجزرى قال : كانت بالمدينة جارية مغنية يقال لها سلامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأحسنهن عقلاً وأحسنهن قدا ، قد قرأت القرآن . وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها ، فعلمت الأحوص فصدت عن عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام فامتدحه ودله على سلامة وجهها وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سُمّارك ، فأرسل يزيد فاشتريت له وحمّلت إليه ، فوقع منه موقعا عظيما ، وفضلها على جميع من عنده ، ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فر بالأحوص فوجده مهموما ، فأراد أن يزيد به إلى مابه من الهم هماً فقال :

يا مبتلى بالخبر مقروحا * لاقى من الحب تباريحاً
أخفه الحب فما يفتنى * إلا بكاس الحب مصبوحاً
وصار ما يعجبه مغلقاً * عنه وما يكره مفتوحاً
قد حازها من أصبحت عنده * ينال منها الشم والريحاً
خليفة الله فسل الهوى * وعز قلباً منك مجروحاً

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ثم غلبه وجده عليها فسار إلى يزيد فامتدحه فأكرمه يزيد وحظى عنده ، فدست إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله إليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتهم ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراها ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فألقى له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريبة ، حتى إذا هم الأحوص بالخروج قال : -

أمسى فوادي في همٍ وبلبالٍ * من حبرٍ من لم أزل منه على بالٍ
صحاح الحبثون بعد النأي إذ يتسوا * وقد يئست وما أضحوا على حالٍ
من كان يسلو بيأسٍ عن أخى ثقةٍ * فعنك سلامٌ ما أمسيتُ بالسالى
والله والله لا أنساك يا شجنى * حتى تفارق منى الروح أوصالى
والله ما خاب من أمسى وأنت له * يا قرّة العين في أهلٍ وفي مالٍ

قال : ثم ودعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبراني عما كان في ليلتكما وأصدقاني ، فأخبراه وأنشدها ما قالاً ، فلم يحرفا منه حرفاً ولا غيراً شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتجيبينه ؟
قالت : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً جرى كالروح في جسدى * فهل يفرق بين الروح والجسد ؟
فقال له : أتجيبها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً تليداً غير مطرفٍ * بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبا شديداً خذها يا أحوص فهى لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين . وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والفنا والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش واللباب والقرود ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشد القرود على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويلبس القرود قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرود حزن عليه . وقيل :

إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقرها فعضته . وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك
وقال عبد الرحمن بن أبي مدعور : حدثني بعض أهل العلم قال : آخر ما تكلم به يزيد بن
معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ، ولم أرد ، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد . وكان نقش
خاتمه آمنت بالله العظيم

مات يزيد بمحارين من قرى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل يوم الخميس للنصف
منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين ، وكان مولده
في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وقيل سبع وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنه ومبلغ أيامه في
الامارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأملت ما ذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الأشكال
من هذا الخلاف ، فإن منهم من قال : جاوز الأربعين حين مات الله أعلم . ثم حمل بعد موته إلى
دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وفي أيامه
وسع النهر المسمى بيزيد في ذيل جبل قاسيئون ، وكان جدولاً صغيراً فوسعه أضعاف ما كان يجري
فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدى قاضى البحرين
من لفظه وكتبه لى بخطه - قال : رأيت يزيد بن معاوية فى النوم فقلت له : أنت قتلت الحسين ؟
فقال : لا ! فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلنى الجنة . قلت : فالحديث الذى يروى
أن رسول الله (ص) « رأى معاوية يحمل يزيد فقال : رجل من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل
النار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر . وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد فى حياة
النبي (ص) . وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلى وهو الذى يقول فيه الشاعر :-

إنى أرى فتنة قدحان أولها * والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم
بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهى
التي يقول فيها الشاعر :

أنعمى أم خالد * رب ساع كقاع

وعبد العزيز بن يزيد ويقال له الأسوار، وكان من أرمى العرب، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الذي يقول فيه الشاعر :

زعم الناس أن خير قرشي * كلهم حين يذكرون الأساور

وعبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبد الرحمن، والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شقي يزيد وحرب وعمر وعثمان. فهؤلاء خمسة عشر ذكراً، وكان له من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن وأم يزيد، وأم محمد. فهؤلاء خمس بنات. وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب، والله سبحانه أعلم.

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية

أبى عبد الرحمن ويقال أبو يزيد ويقال أبو يعلى القرشي الأموي، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة، بويع له بعد موت أبيه - وكان ولي عهده من بعده - في رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، ولم تطل مدته، قيل : إنه مكث في الملك أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، وقيل شهرين، وقيل شهراً ونصف شهر، وقيل ثلاثة أشهر وعشرون يوماً، وقيل أربعة أشهر فآله أعلم.

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلى بالناس ويسد الأمور، ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين وقيل ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون سنة، وقيل : إنما عاش ثمانى عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون، وقيل خمس وعشرون فآله أعلم. وصلى عليه أخوه خالد، وقيل عثمان بن عنبسة، وقيل الوليد بن عتبة وهو الصحيح، فانه أوصى إليه بذلك، وشهد دفنه مروان بن الحكم، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلى بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق، ولما حضرته الوفاة قيل له ألا توصى فقال : لا أتزوّد مرارتها إلى أخرى وأترك حلاوتها لبني أمية، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض كثير الشعر كبير العينين جمعد الشعر أفنى الأنف، مدور الرأس، جميل الوجه كثير شعر الوجه دقيقه حسن الجسم. قال أبو زرعة الدمشقي : معاوية وعبد الرحمن وخالد أخوه، وكانوا من صالحى القوم وقال فيه بعض الشعراء - وهو عبد الله بن همام البلوى :-

تلقاها يزيد عن أبيه * فنونكها معاوى عن يزيدا

أديروها بنى حرب عليكم * ولا ترموا بها الغرض البعيدا

وبروى أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم، فاجتمع الناس فقال لهم فيما قال : يا أيها الناس ! إني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فان أحببتم تركتها لرجل قوى كما

تركها الصديق لعمر ، وإن شئتم تركتها شوري في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم . ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . ويقال إنه سقى ويقال إنه طعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية ابن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أرثم الفرزاري

إني أرى فتنة تغلى مراجلها * والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

قالوا : فكان الأمر كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلب إلى الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سلم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وأحبوه محبة عظيمة ، وسار فيهم سلم سيرة حسنة أحبوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردها عنهم عبيد الله بن زياد بعد ما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للناس إمام ، فأخرجوه عنهم ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببة ، وأمه هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وقد قال الفرزدق

وبايعت أقواماً وفيت بعدهم * وبة قد بايعته غير نادم

فأقام فيها أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلي بالناس ، فصلى بهم شهرين ، ثم كان ماسنذ كره . وخرج نجدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وخرج بنو ماحورا في الأهواز وفارس وغير ذلك على مناسبات تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى .

إمارة عبدالله بن الزبير

وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قدمنا أنه لما مات يزيد أقبل الجيش عن مكة وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائد بالبيت فلما رجع حصين بن نمير السكوني بالجيش إلى الشام ، استفتح ابن الزبير بالحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير ، وأمره باجلاء بني أمية عن المدينة فاجلاهم فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم ووقن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم تضررب أمورهم ، ثم بعثوا إلى ابن الزبير

وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلي بهم ، ويقال إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة ، وبايعه عبد الله بن جعفر وعبد الله ابن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليبايعوا فأبوا عليه . وبويع في رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام . وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الرحمن ابن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج ، واستوثق له المصران جميعاً ، وأرسل إلى مصر فبايعوه . واستناب عليها عبد الرحمن بن جحدر ، وأطاعت له الجزيرة ، وبعث على البصرة الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، وبعث إلى اليمن فبايعوه ، وإلى خراسان فبايعوه ، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايع ، وقيل إن أهل دمشق وأعمالها من بلاد الأردن لم يبايعوه ، لأنهم بايعوا مروان بن الحكم لما رجع الحصين بن نمير من مكة إلى الشام ، وقد كان التف على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن أباض ، وجماعة من رؤسهم . فلما استقر أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيهم في عثمان بن عفان - وكانوا ينتقصون عثمان - فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق ، والعدل والاحسان والسيرة الحسنة ، والرجوع إلى الحق إذا تبين له ، فعند ذلك نفروا عنه وفارقوه وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، ففترقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة ، التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس ، والاعتقاد الفاسد ، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور ، حتى انتزعت منهم على ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

ذكربيعة مروان بن الحكم

وكان سبب ذلك أن حصين بن نمير لما رجع من أرض الحجاز وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد ، وقد كان معاوية بن يزيد قد عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير ، وقد بايع لابن الزبير النعمان بن بشير بمحصر ، وبايع له زفر بن عبيد الله السكلابي بقنسرين ، وبايع له نائل بن قيس بفلسطين ، وأخرج منها روح بن زنباع الجذامي ، فلم يزل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير بمروان بن الحكم يحسنون له أن يتولى ، حتى ثنوه عن رأيه وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالوا له : أنت شيخ قریش وسيدها ، فأنت أحق بهذا الأمر . فرجع عن البيعة لابن الزبير ، وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بني

أمية ، فعند ذلك التفت هؤلاء كلهم مع قومه بنى أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ما أرادوا ، وجعل يقول ما فات شئ ، وكتب حسان بن مالك بن بحدل الكلبي إلى الضحاك بن قيس يثنيه عن المباينة لابن الزبير ، ويعرفه أيادي بنى أمية عنده وإحسانهم ، ويدكر فضلهم وشرفهم ، وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبنى أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحاك كتابا بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له ناغضة بن كريب الطالجي ، وقيل هو من بنى كلب وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فقرأ أنت ، فأعطاه الكتاب فسار إلى الضحاك فأمره بقراءة الكتاب فلم يقبل ، فقام ناغض فقرأه على الناس فصدقه جماعة من أمراء الناس ، وكذبه آخرون ، وثار فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية وهو شاب حدث على درجتين من المنبر فسكن الناس ، ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يسجنوا ، فثار قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبنى أمية ، وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب الجيرون « فسمى هذا اليوم يوم جيرون »

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولى عليهم فأبى ، وهلك في تلك الليالي ، ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، وقال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بنى كلب فضربه بعصى كانت معه ، والناس جلوس متقلدى سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالا شديدا ، فقيس ومن لف لفيها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بنى أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصبون ليزيد وأهل بيته ، فهض الضحاك بن قيس فدخل دار الامارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بنى أمية فجمعهم إليه فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمر بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية . قال المدائني : فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتفق معهم أن يركب معهم إلى حسان بن مالك الكلبي فيتنفقوا على رجل يرتضونه من بنى أمية للامارة ، فركبوا جميعا إليه ، فبينما هم يسرون إلى الجابية لقصد حسان ، إذ جاء معن بن نور بن الأخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبنك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له الضحاك : وما الرأي ؟ قال : الرأي أن نظهر ما كنا نسر ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها من أباه . فقال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من الجيش من قيس ومن لف لفيها ،

وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه، وكتب إليه بنبأه الشام، وقيل بل بايع نفسه بالخلافة فأنه أعلم.

والذي ذكره المدائني أنه إنما دعا إلىبيعة ابن الزبير أولاً، ثم حسن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه، وذلك إنما فعله مكرراً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدده، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام، فنعم الناس عليه ذلك وقالوا: دعوتنا إلىبيعة رجل فبايعناه ثم خلعتنا بلا سبب ولا عذر، ثم دعوتنا إلى نفسك؟ فرجع إلى البيعة لابن الزبير فسقط بذلك عند الناس، وذلك الذي أراد ابن زياد. وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه مروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه، ثم فارق مروان ليخضع له الضحاك، فنزل عنده بدمشق وجعل يركب إليه كل يوم، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيش إليه ليكون أمكن له، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن واجتمع إليهم من هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب. ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير، وما استوثق له من الملك، عزم على الرحيل إليه لمبايعته وليأخذ منه أماناً لبني أمية، فسار حتى بلغ أذرعات فلقية ابن زياد مقبلاً من العراق فصدده عن ذلك وهجن رأيه، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص، وحصين بن تمير، وابن زياد، وأهل اليمن وخلق، فقالوا لمروان: أنت كبير قریش، وخالد بن يزيد غلام، وعبد الله بن الزبير كهل، فأنما يقرع الحديد ببعضه يبعث، فلا تناوئه بهذا السلام، وارم بنحرك في نحره، ونحن نبايعك، ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه بالجالية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين، قاله الواقدي، فلما تم له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط فغله مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يسمع بمثلا، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين. فان الواقدي وغيره قالوا: إنما كانت هذه الوقعة في المحرم من أول سنة خمس وستين. وفي رواية محمد بن سعد: وعن الواقدي وغيره قالوا: إنما كانت في أواخر هذه السنة. وقال الليث بن سعد والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيدة وغير واحد: كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس القهري رضي الله عنه

قد تقدم أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان، وكان يصلي عنهم إذا اشتغلوا



أوغابوا ، و يقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه الناس من دمشق حتى تجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوما وتكلم في يزيد بن معاوية وضمه ، فقامت فتنه في المسجد الجامع ، حتى اقتتل الناس فيه بالسيف ، فسكن الناس ثم دخل دار الامارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان ابن مالك بن بحدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلا للامارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد ، ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل ، أخت حسان ، فلما ركب الضحاك معهم انخزل بأكثر الجيش فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان وعمر بن سعيد ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية . وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ أمانا منه لبني أمية ، فانه كان قد أمر بأجلاتهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرعات فلقبه عبيد الله بن زياد مقلباً من العراق ، فاجتمع به ومعه حصين بن نمير ، وعمر بن سعيد بن العاص ، فحسنوا إليه أن يدعو إلى نفسه ، فانه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزالوا يبروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك إلى دمشق فأخذه لك وأخذل أمره ، فسار إليه وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة والحبة ، ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير فانك أحق بالأمر منه ، لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس ، فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحط بها عند الناس ، ثم قال له ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا يزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فنزله ، وأقام ابن زياد بدمشق وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد - وهي أم هاشم - بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة - فعظم أمره وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عباد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، و بدمشق من جهته يزيد بن أبي النمر ، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يد مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن بن أم الحكم ، وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص ، وبعث الضحاك

إلى النعمان بن بشير فأمدّه النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذى الكلاع . ودكب إليه زفر ابن الحارث الكلبي في أهل قنسرين . فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن ثمر الهلالي ، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم فيقتلون قتالا شديداً ، ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى المواجهة خديعة فان الحرب خدعة ، وأنت وأصحابك على الحق ، وهم على الباطل ، فنودى في الناس بذلك ، ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتالا شديداً ، وصبر الضحاك صبراً بليغاً ، قتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له زحمة بن عبد الله من بني كلب ، طعنه بجرية فأفغمه ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا تتبعوا مدبراً ، ثم جيء برأس الضحاك ، ويقال إن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذامي ، واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروى أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط ، فقال : أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟

قلت : ولم تطل مدته في الملك إلا تسعة أشهر على ما سنده .

وقد كان الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس الفهري أحد الصحابة على الصحيح ، وقد سمع من النبي (ص) ، وروى عنه أحاديث عدة ، وروى عنه جماعة من التابعين ، وهو أخو فاطمة بنت قيس وكانت أكبر منه بعشر سنين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح عمه . حكاه ابن أبي حاتم . وزعم بعضهم أنه لا صحبة له ، قال الراقي : أدرك النبي (ص) ، وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي (ص) . بستين . وقد شهد فتح دمشق وسكنها وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردا ، وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسون وقد روى البخاري في التاريخ أن الضحاك قرأ سورة ص في الصلاة فسجد فيها فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود . ثم استنابه معاوية عنده على دمشق فلم يرل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن الحسن أن الضحاك بن قيس كتب إلى الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : السلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، فتنا كقطع الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح

كافراً ، يبيع أقوام أخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا قليل . وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقائنا فلا تسبونا حتى نحتال لأنفسنا . وقد روى ابن عساكر من طريق ابن قتيبة عن العباس بن الفرج الرياشي عن يعقوب بن إسحاق بن ثوبة عن حماد بن زيد . قال : دخل الضحاك ابن قيس على معاوية فقال معاوية منشداً له :

تطاولت للضحاك حتى رددته * إلى حسب في قومه متقاصر

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاس الخيل ، فقال : صدقت ، أنتم أحلاسها ونحن فرسانها يريد معاوية أنتم راضة وساسة ، ونحن الفرسان . ورأى أن أصل الكلمة من الحلس وهو كساء يكون تحت البرذعة أى أنه لازم ظهر الفرس كما يلزم الحلس ظهر البعير والدابة . وروى أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس : والله أيها الأمير إني لأحبك في الله . فقال له الضحاك : ولكني والله أبغضك في الله . قال : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأنك تتراءى في أذانك وتأخذ على تعليمك أجرا . قتل الضحاك رحمه الله يوم مرج راهط وذلك للنصف من ذى الحجة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وأبو عبيد والواقدي وابن زير والمدائني .

وفيها مقتل النعمان بن بشير الانصاري

وأمة عمرة بنت راحة ، كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار ، في جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة ، فأتت به أمه تحمله إلى النبي (ص) فحسكه وبشرها بأنه يعيش حميداً ، ويقتل شهيداً ، ويدخل الجنة ، فعاش في خير وسعة ، ولى نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولى قضاءها بعد فضالة بن عبيد ، وفضالة بعد أبي الدرداء . وناب بمحصر لمعاوية ، وهو الذي رد آل رسول الله (ص) إلى المدينة بأمر يزيد له في ذلك ، وهو الذي أشار على يزيد بالإحسان إليهم فرق لهم يزيد وأحسن إليهم وأكرمهم ، ثم لما كانت وقعة مرج راهط وقتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمده بأهل حصص : فقتلوه بقرية يقال لها بيزين ، قتله رجل يقال له خالد بن خلى المازني وقتل خلى بن داود وهو جد خالد بن خلى : وقد رثته ابنته فقالت :

ليت ابن مرثة وابنه * كانوا لقتلك واقية

وبني أمية كلهم * لم تبق منهم باقية

جاء البريد بقتله * يا للكلاب العاوية

يستفتحون برأسه * دارت عليهم فانية

فلا بكين سريرة * ولا بكين علانية

ولا بكينك ما حيد * ت مع السباع العادية

وقيل إن أعشى همدان قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمك ؟ قال : لتصلني وتحفظ قرابتي وتقضى ديني ، فقال : والله ما عندي ، ولكني سأطلب لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ، إن هذا ابن عمكم من العراق ، وهو مسترفدكم شيئاً فأترون ؟ فقالوا : احتكم في أموالنا ، فأبى عليهم ، فقالوا : قد حكننا من أموالنا كل رجل دينارين - وكانوا في الدايون عشرين ألف رجل - فعملها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين

ومن كلام النعمان بن بشير رضى الله عنه قوله : إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمان البلاء . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليان ثنا إسماعيل بن عياش عن أبي رواحة يزيد ابن أبيهم عن الهيثم بن مالك الطائي سمعت النعمان بن بشير على المنبر يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن للشيطان مصالى ونحوها ، وإن من مصاليه ونحوه البطر بنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات الله » . ومن أحاديثه الحسان الصحاح ما سمعته من رسول الله (ص) يقول : « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبين ذلك أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى برعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد ، ألا وهي القلب » . رواه البخارى ومسلم .

وقال أبو مسهر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تملك مروان خرج النعمان هارباً فاتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله . قال أبو عبيدة وغير واحد : في هذه السنة . وقد روى محمد بن سعد بأسانيده أن معاوية تزوج امرأة جميلة جداً فبعث إحدى امرأتيه - قيسون أو فاختة - لتنظر إليها ، فلما رأتها أعجبها جداً ، ثم رجعت إليه فقال : كيف رأيتهما ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنى رأيت تحت سرتها خالاً أسود ، وإنى أحسب أن زوجها يقتل ويلقى رأسه في حجرها . فطلقها معاوية وتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قتل أنى برأسه فألقى في حجرها سنة خمس وستين ، وقال سليمان بن زبير قتل بسلمية سنة ست وخمسين . وقال غيره : سنة خمس وستين ، وقيل سنة ستين والصحيح ما ذكرناه . وفيها توفى المسور بن مخرمة بن نوفل ، صحابى صغير ، أصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير بمكة وهو قائم يصلى في الحجر . وهو من أعيان من قتل في حصار مكة وهو المسور بن مخرمة بن نوفل أبو عبد الرحمن الزهرى ، أمه عائكة أخت عبد الرحمن بن عوف ، له صحبة ورواية ، ووفد على معاوية ،



وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ، وقيل إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعا ، وصلى ركعتين ، وقيل إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصع بالياقوت فلم يدر ماهو ، فلقبه رجل من الفرس فقال له : بعنيه بعشرة آلاف ، فلم أنه شيء له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص فنقله إياه ، فباعه بمائة ألف . ولما توفي معاوية قدم مكة فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لالمروا به الكعبة ، فمات من بعد خمسة أيام ، وغسله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحجون ، وكانوا يطأون به القتل ، ويمشون به بين أهل الشام ، واحتكر المسلمون مخزومة طعماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحابة فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيته ، فقال عمر : أجنفت يا أبا مخزومة ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحابة فكرهت ما فيه الناس فكرهت أن أربح فيه شيئاً ، فقال له عمر : جزاك الله خيراً . ولد المسلمون بمكة بعد الهجرة بسنتين .

المنذر بن الزبير بن العوام

ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمائة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال . وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلون أهل الشام بالتهار ، ويعطمانهم بالليل . قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه ، ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره .

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف

كان شاباً ديناً فاضلاً . قتل مصعب أيضاً في حصار مكة مع ابن الزبير .
ومن قتل في وقعة الحرة محمد بن أبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن أبي قتادة ، وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري الذي ألقاه عمر يصل بالناس ، وقتل يومئذ ولدان لزيد بنت أم سلمة ، وزيد بن محمد بن سلمة الأنصاري قتل يومئذ ، وقتل معه سبعة من إخوته وغير هؤلاء رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين . وفيها توفي الأخنس بن شريق ، شهد فتح مكة وكان مع علي يوم صفين
وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - جرت حروب كثيرة وقتن منتشرة ببلاد المشرق واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له عبد الله بن خازم ، وقهر عاملها وأخرجهم منها ، وفلك بعد موت يزيد وابنه معاوية ، قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله بن خازم هذا وبين عمرو بن مرثد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالاً إذ لا ينتملق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سلم بن زياد بن

أبيه ، وأحبوه حتى أنهم سمو باسمه في تلك السنة أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا فخرج عنهم سلم وترك عليهم المهلب بن أبي صفرة
وفيهما اجتمع ملا الشيعه على سليمان بن صرد بالكوفة ، وتواعدوا النخيلة ليأخذوا بشار الحسين
ابن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدين ، وعليه عازمين ، من مقتل الحسين بكر بلاء من
يوم عاشوراء عشرة الحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعدهم إليه ، فلما أتاهم
خذلوه وتخلوا عنه ولم ينصروه * فجدت بوصل حين لا ينفع الوصل * فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد
وهو صحابي جليل ، وكان رؤس القامين في ذلك خمسة ، سليمان بن صرد الصحابي ، والمسيب بن نجبة
الفراري أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ،
ورفاعه بن شداد البجلي . وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه ، فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ
على تأمير سليمان بن صرد عليهم ، فتعاهدوا وتعاهدوا وتواعدوا النخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب
لهم إلى ذلك الموضع بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئا كثيرا وأعدوه
لذلك . وقام المسيب بن نجبة خطيبا فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فقد ابتلينا بطول
العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصره ابن بنت رسول الله (ص) ، بعد أن
كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعا في نصرتنا إياه ، فخذ لناه وأخلفناه ، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده
وذريته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بالسنتنا ، ولا قويناهم بأموالنا ،
فالويل لنا جميعا وبلا متصلا أبدا لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتله والمماليث عليه ، أو نقتل دون
ذلك وتذهب أموالنا ونخرب ديارنا ، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم . وذكر كلاما طويلا . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن
يجتمعوا بالنخيلة في السنة الآتية .

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك
فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتمالؤا
عليه وتواعدوا النخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد بذلك ففرح
أهل الكوفة من موافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشطوا لأمرهم الذي تمالؤا عليه . فلما مات
يزيد بن معاوية وابنه معاوية بعد قليل ، طمعوا في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ، ولم
يبق من يقيم لهم أمرا ، فاستشاروا سليمان في الظهور وأن يخرجوا إلى النخيلة قبل الميقات ، فقامهم عن
ذلك وقال : لا ! حتى يأتي الأجل الذي واعدنا إخواننا فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة

ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحيفئذ عمد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حريث نائب عبيد الله ابن زياد على الكوفة فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب دحروجة ، فبايع لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأبور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة ثمان بقين من رمضان من هذه السنة - أعنى سنة أربع وستين - قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمي ، على الحرب والنفر ، والآخر إبراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله التيمي ، على الخراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد - وهو المختار بن أبي عبيد النقي الكذاب - فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً ، وهم معدون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو محمد بن الحنفية في الباطن ، ولقبه المهدي ، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين ، الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يقولون عليه ليرجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة ، وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير بما تمالأ عليه فرقنا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار من أشار عليه بأن يبادر إليهم ويبحث عليهم ويبحث الشرط والمقاتلة فيجمعهم معهم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وإني والله لمن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإني لا أتعرض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله فليأخذوا منه بالثأر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم ، فيكون فيه حتفهم واستنصاحهم . فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس لا يغرنكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ، إنا والله قد استيقنا من أنفسنا أن قوما يريدون الخروج علينا ، ولناخذن الوالد بالولد والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته ، حتى تدينوا بالحق وتذلوا للطاعة . فوثب إليه المسيب بن نجبة انفزاري فقطع كلامه فقال : يا ابن الناكثين أتهددنا بسيفك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك ، وإنا لندرجوا أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر . وساعد المسيب بن نجبة من أصحاب إبراهيم بن محمد ابن طلحة جماعة من العمال ، وجرت فتنة وشيء كبير في المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخطمي

عن المنبر وحاولوا أن يوقفوا بين الأمرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن سرد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن سرد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سذكروه .

وأما المختار بن عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغيضا إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمه وهو نائب المدائن بأن يقبض على الحسين ويبعته إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عم المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد ، كان المختار يومئذ بالكوفة فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقوم بنصرة مسلم ولا آخذن بثأره ، فأحضره بين يديه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشترها ، وأمر بسجنه ، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعن أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلن بالحسين بن علي على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا . فلما استفعل أمر عبد الله بن الزبير بإياله المختار بن عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشد القتال ، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق ، قم على ابن الزبير في بعض الأمر وخرج من الحجاز فقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيئون للصلاة ، فجعل لا يمر بملأ إلا سلم عليه وقال : أبشروا بالنصر . ودخل المسجد فصلى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلى من بعد الصلاة حتى صليت العصر ، ثم انصرف فسلم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ماجاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن سرد من الشيعة - وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان - فجعل يخذلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضى ، والامام المهدي ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء ، وأن سليمان بن سرد يرحنا الله وإياه إنما هو غشمة من الغشم ، وشن بال ليس بنى تجربة للأمر ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مثل مثل لي ، وأمر قد بين لي ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمرى ، ثم أبشروا

وتباشروا ، فاقى لكم بكل ما تأملون وتحبون كفيل . فالتف عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صرد ، فلما خرجوا مع سليمان إلى النخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد ، فبعث إليه الشرط فأحاطوا بداره فأخذ فذهب به إلى السجن مقيداً ، وقيل بنغير قيد ، فأقام به مدة ومرض فيه . قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي فعوده وتمعاهده . فسمعته يقول : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لدن جئنا خطر ، ومهند بتار ، بجند من الأخيار ، وجوع من الأنصار ، ليسوا بميل الأغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، وجبرت صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت ثار أولاد النبيين ، لم أبك على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا دنا . قال : وكان كلما أتينا هو في السجن يردد علينا هذا القول حتى خرج .

ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها من رمى المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير ، وأدخرا ما كان في الكعبة من حلى وثياب وطيب ، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله (ص) يريد أن يبنها عليه من الشكل ، وذلك كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن ، من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (ص) قال : «لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر ، فان قومك قصرت بهم الثقة ، ولجملت لها بابا شرقيا ولبا غربيا ، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، ولألصقت بابها بالأرض فان قومك رفعوا بابها لينخلوا من شأوا ويعنعوا من شأوا » . فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله (ص) ، فجزاه الله خيرا . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولا ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه ، فارتفع الباب وسه الغربى ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : ودنا أنا تركناه فما تولى من ذلك . وقد هم ابن المنصور المهدي أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الامام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، - يعني يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأى ابن الزبير ، وهذا يرى رأى

عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه عبيد الله ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعيد بن المرزبان ، وامتنع شريح أن يحكم في زمان الفتنة ، وعلى البصرة عمر بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبيد الله بن خازم ، وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدمنا ، وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفرو بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة ، وقيل إن فيها دخل مروان مصر وأخذها من نائبيها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جندب . واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها والله أعلم .

وقال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاوور الناس في هدمها فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يهدم من بنيانها . ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع فبدأ ينقض الركن إلى الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحجر مشبكاً كأصابع اليدين ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا بالمعاول في تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة فتركه على حاله ، ثم أسس عليه البناء ، وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض ، باب يدخل منه وباب يخرج منه ، ووضع الحجر الأسود بيده ، وشده بفضة لأنه كان قد تصدع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلى وسعى ، وأزال ما كان حول الكعبة من الزبالة ، وما كان حولها من الدماء ، وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة ، وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره والله أعلم

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلهم يطلبون الأخذ بئار الحسين ممن قتله ، قال الواقدي : لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قاتمهم ، فأرسل حكيم ابن منقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته : يا نارات الحسين ، فلم يزل ينادى حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس فخرجوا إلى النخيلة وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون ، في ديوان سليمان بن صرد ، فلما عزم على السير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال

السيب بن نجبة سليمان : إنه لا ينفك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، وباع نفسه الله عز وجل ، فلا تنتظرن أحداً وامضى لأمرك في جهاد عدوك واستعن بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه وقال : يا أيها الناس ! من كان إنما خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقر معه : ماللدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا ، فقل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟ فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذي جهز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فاذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتوهم أولاً ، وهم أهل مصر كم ماعدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه قد قتل أخاه أوحيمه ، فيقع التخاذل ، فاذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت . فنأدى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضيئ من ربيع الأول

وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفيننا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه ، وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً ، فليس له إلا السيف ، وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمم الناس معه على هذا الرأي ، فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ، إلى سليمان بن صرد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقويهم على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا بريداً بذلك ينتظروهم حتى يقدموا عليه ، قهياً سليمان بن صرد لقدمهم عليه في رؤس الأمراء ، وجلس في أهنته والجوش محدة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة في أشراف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين ، لئلا يطمعوا فيهم ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلها لا يبيت إلا في قصر الامارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه ، فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صرد قالوا له وأشارا عليه أن لا يذهبوا حتى تكون أيديهما واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهزوا معهم جيشاً ، فان أهل الشام جمع كثير وجم غفير ، وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا خرجنا لأمر لا ترجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة ، وانتظر سليمان بن صرد وأصحابه أصحابهم الذين كانوا قد واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً وحرصهم على الذهاب لما خرجوا عليه ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقوكم سراعا . فخرج سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس مضيئ من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم

مراحل ، مايتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مروا بقبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وتباكوا وباتوا عنده ليلة يصلون ويدعون ، وظلوا يوما يترحمون عليه ويستغفرون له ويترضون عنه ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء . قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة ، لكان أنفع له وأنصر من اجتماع سليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين ، ولما أرادوا الانصراف جعل لا يريم أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشد من ازدحامهم عند الحجر الأسود . ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقرقيسيا تحصن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن صرد : إنا لم نأت لقتالكم فأخرج إلينا سوقا فانا إنما نقيم عندكم يوما أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج إليهم سوق ، وأمر للرسول إليه وهو المسيب بن نجية بفارس وألف درهم . فقال : أما المال فلا . وأما الفرس فنعم . وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صرد ورؤس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزورا وطعاما وعلفا كثيرا ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيّعهم ، وصار مع سليمان بن صرد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشا كثيفا وعددا كثيرا ، مع حصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدم بن محرز الباهلي . وربيعة بن مخارق الغنوي ، وجيلة بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن صرد : على الله توكلنا وعلى الله فليتك كل المؤمنين . ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فان جاءهم أحد كان معهم عليه ، فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فاذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه ، ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فانهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالا والقوم ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم . فأثنى عليه سليمان بن صرد والناس خيراً ، ثم رجع عنهم ، وسار سليمان بن صرد فبادر إلى عين الوردة فنزل غربها ، وأقام هناك قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا

وقعة عين وردة

فلما اقترب أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه فرغهم في الآخرة وزهدهم في الدنيا ، وحثهم على الجهاد ، وقال : إن قتلت فلا أمير عليكم المسيب بن نجية ، فان قتل فعبد الله بن سعد بن نفيل ، فان قتل فعبد الله بن وال ، فان قتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نجية في خمسمائة فارس ، فأغاروا على جيش ابن ذي الكلاع وهم عارون ، قتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين ،

واستاقوا نهما ، وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد فأرسل بين يديه الحصين بن نمير في إثني عشر ألفاً ، فصبح سليمان بن صرد وجيشه واقفون في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، وحصين بن نمير قائم في إثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلونه عن الحسين ، وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى مادعا إليه الآخر ، فاقتلوا قتلاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين على الشاميين ، فلما أصبح أصبح ابن ذى الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية عشرة ألف فارس ، وقد أنبه وشمته ابن زياد ، فاقتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس من اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف ، وذلك في يوم الجمعة ، فاقتلوا قتلاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن صرد الناس وحرصهم على الجهاد ، فاقتل الناس قتالاً عظيماً جداً ، ثم ترجل سليمان بن صرد وكسر جفن سيفه ونادى يا عباد الله ، من أراد الرواح ، إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلى ، فترجل معه ناس كثير ونكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقتل سليمان بن صرد أمير العراقيين ، رماه رجل يقال له يزيد بن الحصين بسهم فوق ، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع ، وهو يقول : فزت ورب الكعبة ، فأخذ الراية المسيب بن نجبة فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول : -

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب

أنى غداة الروع والتغالب * أشجع من ذى لبدة موائب

* قصاع أقران مخوف الجانب *

ثم قاتل قتالاً شديداً فقتل ابن نجبة نجه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحمهم الله ، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل قتالاً شديداً أيضاً ، وحمل حينئذ ربيعة بن مخارق على أهل العراق حملة منكراً ، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله ، ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فخرض الناس على الجهاد وجعل يقول : الرواح إلى الجنة - وذلك بعد العصر - وحمل بالناس ففرق من كان حوله ثم قتل - وكان من الفقهاء المفتين - قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعتئذ ، فأخذ الراية رفاعه بن شداد فانحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالهم ، وانشر رفاعه بن بقي معه راجعاً إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كروا راجعين إلى بلادهم ، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحداً

لما لقوا منهم من القتل والجراح ، فلما وصلوا الى هيت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن ، قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونعوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم واستغفروا لهم وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها ، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها ، وقد قتل منهم خلق كثير وجم غفير ، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه ، فكتب إلى رفاعة بن شداد يعزيه فيمن قتل منهم ويترحم عليهم ويفطمهم بما نالوا من الشهادة ، وجزيل الثواب . ويقول : مرحبا بالذين أعظم الله أجورهم ورضى عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله : والطلب بدماء أهل البيت . وذكر كلاما كثيرا في هذا المعنى .

وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فانه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحى إليه قريبا مما كان يوحى شيطان مسيلة إليه ، وكان جيش سليمان بن صرد وأصحابه يسمى بجيش التوابين رحمهم الله ، وقد كان سليمان بن صرد الخزرجي صحابيا جليلا نبلا عابدا زاهدا ، روى عن النبي (ص) أحاديث في الصحيحين وغيرهما ، وشهد مع علي صفين ، وكان أحد من كان يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها نخلوا عنه وقتل بكر بلاء بعد ذلك ، ورأى هؤلاء أنهم كانوا سببا في قدومه ، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته ، فندموا ، على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسماوا جيشهم جيش التوابين ، وسماوا أميرهم سليمان بن صرد أمير التوابين ، فقتل سليمان رضي الله عنه في هذه الواقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل سنة سبع وستين ، والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثا وتسعين سنة رحمه الله . وحمل رأسه ورأس السيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم بعد الواقعة ، وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم من عدوهم ، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق ، وقد قال : أهلك الله رؤس الضلال سليمان ابن صرد وأصحابه ، وعلق الرأس بدمشق ، وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز ، وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة ، قاله ابن جرير وغيره . وفيها دخل مروان بن الحكم وعمر بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية فأخذها من نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن حنبل ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدها

فخرج إليه نائبا ابن جحدم فقابله مروان ليقاتله فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جحدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ودخل مروان إلى مصر فملكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز . وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعبا ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد فنتلقاه إلى فلسطين فهرب منه مصعب بن الزبير وكر راجعا ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر فحشد عبد الرحمن بن جحدم على البلد خندقا ، وخرج في أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواص أهل البلد فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدى كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلا تخلفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكيدر بن حملة اللخمي ، وكان من قتلة عثمان ، وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته فدفنوه في داره ، واستولى مروان على مصر وأقام بها شهرا ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيارآله ، وأوصاه بالاحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام

وفيها جهز مروان جيشين أحدهما مع حبيش بن دلجة العتيبي ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سئد كره ، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزع من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صرد وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهبا إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة ، وكان سبب موته أنه تزوج بأمة خالدة امرأة يزيد ابن معاوية ، وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس ، فانه قد كان في نفوس كثير من الناس منه ^(١) لأن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمه ليصغر أمره ، فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان ، إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا ابن الرطبة الامت ، فذهب خالداً إلى أمه فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تعلمه أنك أعلمتني بذلك ، فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندك بسوء ؟ فقالت له : وما عساه يقول لك وهو يحبك ويعظمك ؟ ثم إن

(١) كذا بالأصليين ، ولعل كلمة : منه زائدة ، أو ان في العبارة سقطا .

مروان رقد عندها، فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه ونحملت عليها هي وجواربها حتى مات غماً، وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بمشق، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل إحدى وثمانون سنة، وكانت إمارته تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام

ترجمة مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن قيس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك ويقال أبو الحكم، ويقال أبو القاسم، وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي (ص)، وروى عنه في حديث صلح الحديبية، وفي رواية في صحيح البخاري عن مروان والمصور بن محزمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله، وروى مروان عن عمر وعثمان وكان كاتبه - أي كان كاتب عثمان - وعلى وزيد بن ثابت وبسيرة بنت صفوان الأزدية وكانت حماته، وقال الحاكم أبو أحمد: كانت خالته، ولا منافاة بين كونها حماته وخالته. وروى عنه ابنه عبد الملك وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم. قال الواقدي ومحمد بن سعد: أدرك النبي (ص)، ولم يحفظ عنه شيئاً، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي (ص)، وذكره بن سعد في الطبقة الأولى من التابعين، وقد كان مروان من سادات قريش وفضلها، روى ابن عساکر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت: قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم، فقالت المرأة: أجاد يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قالت: قد زوجناك يا أمير المؤمنين. وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويمظمه، وكان كاتب الحكم بين يديه، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حصر عثمان بن عفان فيها. وألح عليه أولئك أن يسلم مروان إليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً، وقتل بعض الخوارج، وكان على الميسرة يوم الجمل، ويقال إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله فآله أعلم.

وقال أبو الحكم: سمعت الشافعي يقول: كان على يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان فقيل له في ذلك فقال: إنه يعطفني عليه رحم ماسة، وهو سيد من شباب قريش. وقال ابن المبارك عن جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية: من تركت لهذا الأمر من بعدك؟ فقال: أما القارئ لكتاب الله، العقيق في دين الله، الشديد في حدود الله، مروان بن الحكم. وقد استنابه على المدينة غير مرة، يعزله ثم يعيده إليها، وأقام للناس



الحج في سنين متعددة، وقال حنبل عن الامام أحمد، قال يقال كان عند مروان قضاء، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب. وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول وذكر مروان يوما فقال قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ثم أصبحت فيها أنا فيه، من إهراق الدماء وهذا الشأن. وقال إسماعيل ابن عياش عن صفوان بن عمرة عن شريح بن عبيد وغيره. قال: كان مروان إذا ذكر الاسلام قال: بنعمت ربي لا بما قدمت يدي * ولا بتراني إنني كنت خاطئا

وقال الليث عن يزيد بن حبيب عن سالم أبي النضر أنه قال: شهد مروان جنازة فلما صلى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطاً وحرم قيراطاً، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بدت ركبته، فقام حتى أذن له. وروى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف على بن الحسين حتى يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من على بن الحسين شيئاً، فبعث إليه عبد الملك بذلك فامتنع من قبولها، فألح عليه فقبلها. وقال الشافعي: أنبأنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أنه أن الحسن والحسين كانا يصليان ألف مروان ولا يعيدانهما، ويمتدان بها. وقد روى عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان، فقال له رجل: خالفت السنة، فقال له مروان: إنه قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله (ص) يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». قالوا: وهو الذي جمع نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها. قالوا: وهو الذي جمع الصيعة فأخذ بأعدها فنسب إليه الصاع، فقيل صاع مروان، وقال الزبير بن بكار: حدثنا إبراهيم ابن حمزة حدثني ابن أبي على اللهي عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري عن أبيه. قال: خرج أبو هريرة من عند مروان فلقية قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له: يا أبا هريرة، إنه أشهدنا الآن على مائة رقبة أعتقها الساعة، قال: فغمز أبو هريرة يدي وقال: يا أبا سعيد، بك من كسب طيب خير من مائة رقبة. قال الزبير: البك الواحد.

وقال الامام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جابر عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد. قال قال رسول الله (ص): «إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخنوا مال الله دولا، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً». ورواه أبو يعلى عن زكريا بن زحمويه عن صالح بن عمر عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد. قال قال رسول الله (ص): «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخنوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولا». وقد رواه الطبراني عن أحمد بن عبد الوهاب عن أبي

المنيرة عن أبي بكر بن أبي مرزوق عن راشد بن سعد عن أبي ذر . قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً » . وذكره ، وهذا منقطع ، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة من قوله « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً » فذكره ، ورواه البيهقي وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب عن معاوية وعبد الله بن عباس عن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولا ، وكتاب الله دغلا ، فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لو كثر تمر ، وأن رسول الله (ص) ذكر عبد الملك بن مروان فقال أبو الجبابرة الأربعة » . وهذه الطرق كلها ضعيفة . وروى أبو يعلى وغيره من غير وجه عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : « أن رسول الله (ص) رأى في المنام أن بني الحكم يرقون على منبره وينزلون ، فأصبح كالتغيظ ، وقال : رأيت بني الحكم ينزلون على منبري نزول القردة ، فما رآني رسول الله (ص) مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات » ورواه الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل وفيه « فأنوحى الله إليه إنما هي دنيا أعطوها » . ففقدت عينه » وهي قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) يعنى بلاء للناس واختباراً ، وهذا مرسل وسنده إلى سعيد ضعيف . وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهذا أضربنا صفحا عن إيرادها لعدم صحتها .

وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي (ص) ، وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي (ص) ، إلى الطائف ، ومات بها ، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عمان لأنه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، ولما كان متوليا على المدينة لمعاوية كان يسب علنياً كل جمعة على المنبر ، وقال له الحسن بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال : لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم

وقد تقدم أن حسان بن مالك لما قدم عليه مروان أرض الجابية ، أعجبه إتيانه إليه ، فبايع له وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الأمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق ، وكانت البيعة لمروان يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وغيره ، وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين ، قالوا : فغلب الضحاك بن قيس واستوثق له ملك الشام ومصر ، فلما استقر ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز - والد عمر بن عبد العزيز - وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، لأنه كان لا يراه أهلا للخلافة ،

وواقفه على ذلك مالك بن حسان ، وإن كان خلا لخالد بن يزيد ، وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك ، ثم إن أم خالد دبرت أمر مروان فسمته ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة فمات مخنوقاً ثم إنها أعلنت الصراخ هي وجواريتها وصحن : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره . وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلم به مروان : وجبت الجنة لمن خاف النار ، وكان نقش خاتمه العزة لله . وقال الأصمعي : حدثنا عدى بن أبي عمار عن أبيه عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان آمنت بالعزير الرحيم

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة ، وقال أبو معشر : كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة ، وقال خليفة : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقال غيره : عشرة أشهر . وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً أحمر الوجه أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية ، وكان يلقب خيط باطل ، قال ابن عساكر وذكر سعيد بن كثير بن عفير أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصنبرة ويقال بله ، وقد قيل إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير .

وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المنهال مولاه ، وقاضيه أبو إدريس الخولاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس النسائي ، وكان له من الولد عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية . وغير هؤلاء ، وكان له عدة بنات من أمهات شتى

خلافة عبد الملك بن مروان

بويح له بالخلافة في حياة أبيه ، فلما مات أبوه في ثالث رمضان منها جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعها من نواب ابن الزبير ، فلقى في طريقه جيش التوابين مع سليمان بن صرد عند عين الوردة ، فكان من أمرهم ما تقدم ، من ظفره بهم ، وقتله أميرهم وأكثروهم . والبعث الآخر مع حبيش بن دلجة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير ، فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، جيشاً من البصرة إلى ابن دلجة بالمدينة ، فلما سمع بهم حبيش بن دلجة سار إليهم . وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً عن المدينة ،

وأمره أن يسير في طلب حبيش ، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالرنة فرمى يزيد بن سياه حبيشا بسهم فقتله ، وقتل بعض أصحابه وهزم الباقون ، وتحصن منهم خمسمائة في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس ابن سهل فقتلهم صبراً ، ورجع فلهم إلى الشام

قال ابن جرير : ولما دخل يزيد بن سياه الاسوارى قاتل حبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس ابن سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً أشهب ، فلما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به ومن كثرة ما صبوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة اشدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قتل نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ، مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتله ربيعة السلوضى وقتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقتل في وقعة الخوارج قبة بن إياس المزني أبو معاوية ، وهو من الصحابة . ولما قتل نافع بن الأزرق رأست الخوارج عليهم عبيد الله بن ماجور ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبوا الأموال وأتتهم الأمداد من النجاة والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابن ماجور كما سنذكر ، أقاموا عليهم قطري بن الفجاءة أميراً

ثم أورد ابن جرير قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث ابن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف بيبه ، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلالك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثنى إلى خراسان ، ولست أعصى أمره . فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن كتبوا كتاباً على لسان ابن الزبير إلى المهلب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوى جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأمضى لهم ذلك وسوغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعاً بطلاً صديداً ، فلما أراد قتال الخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدة لم ير مثلها من الدروع والزرود والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي ، وقد صار لهم تحمل عظيم مع شجاعة لاتدانا ، وإقدام لايسامى ، وقوة لا نجارى ، وسبق إلى حومة الوغى فلما تواقف الناس بمكان يقال له سل وسل أبرى ، اقتتلوا قتالاً شديداً عظيماً ، وصبر كل من الفريقين

صبراً باهراً ، وكان في نحو من ثلاثين ألفاً ، ثم إن الخوارج حملوا حملة منكراً ، فانهمزم أصحاب المهلب لا يلوى والد على ولد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فلأ لهم ، وأما المهلب فانه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادى : إلى عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته : أما بعد أيها الناس ، فان الله تعالى ربما بكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهمزومون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن [ولو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خيلاً] ثم قال : عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فانهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم إلا وقد استبحتم عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم . ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على معشر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله بن الماجور في جماعة كثيرة من الازارقة ، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقد أرصد المهلب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب المنهزمين ، فجعلوا يقطعون دون قومهم ، وانهزم فلهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي قريباً

قال ابن جرير : وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، ومن يده استلبت الخلافة العباسيون كما سيأتي .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيد الله عن إمرة المدينة وولاه أخاه مصعباً ، وذلك أن عبيد الله خطب الناس فقال في خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله بقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فلما بلغت أخاه قال : إن هذا هو التكلف ، وعزله . ويسمى عبيد الله مقوم الناقة لذلك ، قال ابن جرير : وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبيد الله بن يزيد الخطمي ، وولى عليها عبد الله بن مطيع الذي كان أمير المهاجرين يوم الحرة ، لما خلعوا يزيد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزي في المنتظم : كان في سنة أربع وستين ، وقد قيل إنما كان في سنة تسع وستين ، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك في ثلاثة أيام ، فأت في أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى الا قليل من آحاد الناس ، حتى ذكر أن

أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنفس . وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا عبيد الله ثنا أحمد بن عصام حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النفيد ، وكان قد أدرك من هذا الطاعون ، قال : كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو على الدفن ، فكننا ندخل الدار وقد مات أهلها فندس بابها عليهم . قال فدخلنا دارا ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسدنا بابها ، فلما مضت الطواغيت كنا نطوف ونفتح تلك السدد عن الأبواب ، ففتحننا سدة الباب الذي كنا فتشناه - أو قال الدار التي كنا سدناها - وفتشناها فإذا نحن بغلام في وسط الدار طرى دهين ، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه ، قال : فبينما نحن وقوف على الغلام نتعجب منه إذ دخلت كلبه من شق في الحائط فجعلت تلوز بالغلام والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها ، قال معدي : وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعني أكل بناءها وأدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعائي أبو محمد حدثني زياد بن جبل أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعتة يقول : حدثتني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله (ص) قال لعائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلالاً أمثال الابل ، فحركوا منها تلة - أو قال صخرة - فبرقت برقة فقال : أقروها على أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر

قلت : هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحاح والحسان والمسانيد ، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير في هذه السنة حروبا جرت بين عبد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحرشي ابن هلال القرظي يطول تفصيلها . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي .

ومن نوفي فيها من الأعيان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمي كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبي (ص) كثيراً ، أسلم قبل أبيه ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثني عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة ، عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ،

وكان سمياً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقيل إنه بكى حتى عمى ، وكان يقوم الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويصوم يوماً . استنابه معاوية على الكوفة ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبه ، توفي في هذه السنة بمصر . وقتل بمكة عبد الله بن سعدة الفزاري ، له صحبة ، نزل دمشق وقيل إنه من سبي فزارة

ثم دخلت سنة ست وستين

ففيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذوا ثأر الحسين بن علي فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد مغلوبين إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزيهم في سليمان بن صرد ويقول : أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعه بن شداد وهو الذي رجع بمن بقي من جيش التوابين نحن على ما تحب ، فشرع المختار يعدم ويذبحهم وما يعدم الشيطان إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية : أبشروا فاني لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم باذن الله ركاما ، وقتلهم أفراداً وتوأمًا ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبي وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤوه سرّاً وردوا إليه : إنا كما تحب ، فتي أحببت أخرجناك من محسبك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة سالحة ، وزوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أن يشفع في خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمنا ما بيني وبينكما من الود ، وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكم لما خيلنا سبيله والسلام .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بقي للمسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مموك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلها الله ، أما حلفائي بالله ، فاني لا أحلف على بين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني ، وأتيت الذي هو خير ، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير ، وأما عتقي مما ليكي فوددت أنه قد استم لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السر . وكان الذي يأخذ البيعة له ويحرض الناس عليه خمسة ، وهم السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس ، وأحمد بن حبط ، ورفاعة بن شداد ، وعبد الله بن شداد الجشمي . ولم يزل أمره يقوى ويشد ويستفحل ويرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد

ابن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع نائبا عليها ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائبا على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع الحزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير في فيثكم بسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب بن مالك الشيعي فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان - وتكلم فيه - ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيرا ، وصدقه على ما قال بعض أمراء الشيعة ، فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما تحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو إلياس بن مضارب البجلي إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فأبعث إليه فأردده إلى السجن فان عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به وقد وثب في المصر . فبعث إليه عبد الله ابن مطيع زائدة بن قدامة وأميرا آخر معه ، فدخلا على المختار فقالا له : أجب الأمير . فدعا بنيابه وأمر بأسراج دابته ، ونهيا للذهاب معهما ، فقرأ زائدة بن قدامة [وإذ عسكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك] الآية . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيفة أن تلقى عليه ، وأظهر أنه مريض ، وقال : أخبروا الأمير بحالي ، فرجعا إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، ففسدتهما ولها عنه ، فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب الأخذ بنار الحسين فيما يزعم ، فلما صم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة ونبطوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر ، ثم أنفخوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعا إليه ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم إننا لانكره أن ينصرنا الله بمن شاء من خلقه ، وقد كان الحصار بلغه فخرجهم إلى محمد بن الحنفية ، ففكر ذلك وخشى أن يكذبه فيما أخبر به عنه ، فانه لم يكن باذن محمد بن الحنفية ، وهم بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ، ثم كان الأمر على ما سجع به ، فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوى أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد .

وقد روى أبو مخنف أن أمراء الشيعة قالوا للمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلـب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بنار الحسين ، وذكره سابقة أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتمكم إلى ما سألتكم ، على أن أكون أنا ولي أمركم ، قالوا : إن هذا لا يمكن ، لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فكث ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعاه إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتاباً على لسان ابن الحنفية

يدعوه إلى الدخول مع أصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي (س)، والأخذ
بثأرهم . فقال ابن الأشر : إنه قد جائتني كتب محمد بن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار : إن
هذا زمان وهذا زمان ، فقال ابن الأشر : فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فنقدم جماعة من أصحاب
المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشر من مجلسه وأجلس المختار فيه وباليه ، ودعاهم بفاكهة وشراب
من عسل . قال الشعبي : وكنت حاضرا أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشر . ذلك المجلس ، فلما انصرف
المختار قال إبراهيم بن الأشر : يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قراء وأمراء ووجوه
الناس ، ولا أراهم يشهدون إلا بما يعلمون ، قال : وكنتم ما في نفسي من اتهامهم ، ولكني كنت
أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين ، وكنت على رأى القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار
في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأى الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة
ليلة خلت من هذه السنة - سنة ست وستين .

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتدوا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة
وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشر
قاصداً إلى دار المختار في مائة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الاقيسة ، فلقبه إلياس بن
مضارب فقال له : أين تريد يا ابن الأشر في هذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى
أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشر رجلاً من يده رجل فطعنه في ثفرة نحره
فسقط ، وأمر رجلاً فاحتر رأسه ، وذهب به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله
بخير ، فهذا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن
ترفع وأن ينادى شعار أصحابه : يامنصور أمت ، يا ثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه
وسلحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكفل * أنى غداة الروح مقدم بطل
وخارج بين يديه إبراهيم بن الأشر فجعل يتنصداً الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم
واحداً واحداً . وينادى بشعار المختار ، وبعث المختار أبا عثمان التهدي فنادى بشعار المختار ، يا ثارات
الحسين . فاجتمع الناس إليه من ههنا وههنا ، وجاء شيب بن ربي فاقفل هو والمختار عند داره
وحصره حتى جاء ابن الأشر فطرده عنه ، فرجع شيب إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء
إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فان أمر المختار قد قوى واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فج عميق إلى
المختار ، فاجتمع إليه في أثناء الليل قريب من أربعة آلاف ، فأصبح وقد عبي جيشه وصلى بهم
الصبح ، قرأ فيها [والنازعات غرقا] [وعبس وتولى] في الثانية قال بعض من سمعه : فما سمعت إماماً

أفصح لهجة منه ، وقد جهز ابن مطيع جيشه ثلاثة آلاف عليهم شبت بن ربي ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إلياس بن مضارب ، فوجه المختار ابن الأشتر في ستمائة فارس وستمائة راجل إلى راشد بن إلياس ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل إلى شبت بن ربي ، فأما ابن الأشتر فإنه هزم قرنه راشد بن إلياس وقتله وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فإنه لقي شبت بن ربي فهزمه شبت وقتله وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحوه فاعترض له حسان بن قائد بن العباسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل نحو المختار فوجد شبت بن ربي قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طردهم ففكروا واجمين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكانهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشتر اعمد بنا إلى قصر الامارة فليس دونه أحد يرد عنه ، فوضعوا مامعهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدي ، وبعث بين يديه ابن الأشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسة ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذى الجوشن الذي قتل الحسين في ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن منقذ الهمداني ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شبت . وإذا نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس ، واستخلف عليه شبت بن ربي ، فتقدم ابن الأشتر إلى الجيش الذي مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد ، قتل فيه رفاعه بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزمهم ، وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمت إليه بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينسأها بعد لابن الأشتر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسة وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثاً ، ومعه أشراف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لزم داره ، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم فأشار عليه شبت بن ربي أن يأخذ له ولهم من المختار أماناً ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة ، فقال له : فإن رأيت أن تنهب بنفسك مخفياً حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وبما كان منافي نصره وإقامة دولته ، فلما كان الليل خرج ابن مطيع مخفياً حتى دخل دار أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أماناً من ابن الأشتر فأمنهم ، فخرجوا من القصر وجاؤا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال : فوالذي جعل السماء سقفا مكفوفاً والأرض فجاجاً

سبلا ، ما بايعتم بعد بيعة عليٍّ أهدى منها . ثم نزل فدخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بئار أهل البيت وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، فكرر ذلك ثلاثا فسكت الرجل ، فلما كان الليل بعث المختار إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد أخذت بمكانك - وكان له صديقاً قبل ذلك - فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتجنب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة ، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل اليشكري ، وقرب أشراف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالي الذين قاموا بنصره ، وقالوا : لأبي عمرة كيسان مولى غزينة - وكان على حرسه - قدم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عمرة إليه ، فقال : بل هم مني وأنا منهم ، ثم قال [إنا من المجرمين منتقمون] فقال لهم أبو عمرة : أبشروا فانه سيدنيكم ويقربكم . فأعجبهم ذلك وسكتوا .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والرسالات ، من أرض العراق وخراسان ، وعقد الألوية والرايات ، وقرر الإمارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحاً فتكلم في شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد حجر بن عدي ، وإنه لم يبلغ عن هاني بن عروة كما أرسله به ، وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحاً ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً .

فصل في

ثم شرع المختار يقتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبيد الله ابن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فان ظفر بها فليحبها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصداً الكوفة ، فلقى جيش التوابين فكان من أمرهم ماتقدم . ثم سار من عين وردة حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس غيلان ، وهم من أنصار ابن الزبير ، وقد كان مروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راهط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فتعوق عن المسير سنة وهو في حرب قيس غيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فأنحاز نائبها عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمه بذلك فسبب المختار يزيد بن أنس في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إني سأمدك بالرجال بعد الرجال ، فقال له : لا تمدني إلا بالدعاء . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعا له

وقال له : ليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإذا لقيت عدوك فناجزك فناجزه ، ولا تؤخر فرصة . ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهاز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف ، وقال : أيكم يسبق فهو الأمير ، وإن سبقنا معا فالأمير عليكم أسنكا . فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة ، فتواقفا هنالك ، ويزيد بن أنس مريض مدنف ، وهو مع ذلك يحرض قومه على الجهاد ويدور على الأرباع وهو محمول مضنى وقال للناس : إن هلكت فالأمير على الناس عبد الله بن ضمرة الفزارى ، وهو رأس الميمنة ، وإن هلك فمسعر بن أبي مسعر رأس الميسرة ، وكان ورقاء بن خالد الاسدى على الخليل . وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرباع ، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح ، فاقتلواهم والشاميون قتالا شديداً ، واضطربت كل من الميمنتين والميسرتين ، ثم حل ورقاء على الخليل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن مخارق ، واحتار جيش المختار ما في معسكر الشاميين ، ورجع فرارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة ، فقال : ما خبركم ؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فأنهى إليهم عشاء ، فبات الناس متحازبين ، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبثهم ، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين ، فاقتلوا قتالا شديداً ، فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضاً ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتلوا على ما في معسكرهم ، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير ، فجاؤا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق ، فأمر بضرب أعناقهم .

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه ، وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة ، فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغنى أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام ، ولا أرى لكم بهم طاقة ، وقد هلك أميرنا ، وتفرق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظهر أنا إنما انصرفنا حزناً منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن نلقاهم فيهزمونا ونرجع مغلوبين ، فانفق رأى الأمراء على ذلك ، فرجعوا إلى الكوفة . فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة ، وأن يزيد بن أنس قد هلك ، أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس في المعركة وانهزم جيشه ، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراكم ، ثم تمالؤا على الخروج على المختار وقالوا : هو كذاب ، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ، وقالوا : قد قدم موالينا على أشرافنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالاختار بنأر الحسين وهو لم يأمره بشيء ، وإنما هو متقول عليه ، وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف لقاء ابن زياد ، فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس ممن كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم

في دار شبت بن ربي وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الامارة، وبعث المختار عمرو بن نوبة بريداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم: ماذا تنقمون؟ فاني أجيبكم إلى جميع ما تطلبون، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى يقدم إبراهيم بن الأشتر، وقال: إن كنتم لاتصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهنم وأبعث من جهنم من يسأله عن ذلك، ولم يزل يطا ولم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث، فاقسم هو والناس فرقتين، فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل ابن الأشتر بمضر وعليهم شبت بن ربي، وكان ذلك بإشارة المختار، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيحنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم.

ثم اقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالا عظيماً وكثرت القتلى بينهم من الفريقين، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها، وقتل جماعة من الأشراف، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي، وسبعمائة وثمانين رجلاً من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلاً، ويعرف هذا اليوم ببجاية السبيع، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، ثم كانت النصر للمختار عليهم، وأسر منهم خمسمائة أسير، فعرضوا عليه فقال: انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه، فقتل منهم مائتان وأربعون رجلاً، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسئ إليهم بغير أمر المختار، ثم أطلق الباقين، وهرب عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدرى أين ذهب من الأرض.

مقتل شمر بن ذي الجوشن . امير السرية التي قتلت حسناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير، وكان ممن هرب لقصد شمر بن ذي الجوشن قبحة الله، فبعث المختار في أثره غلاماً له يقال له زرب، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه: تقدموا وذروني وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطعم في هذا العليج، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرب فعطف عليه شمر فدق ظهره فقتله، وسار شمر وتركه، وكتب كتاباً إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينفره بقدومه عليه، ووفادته إليه، وكان كل من فر من هذه الواقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة، وبعث شمر الكتاب مع عليج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلبانية عند نهر إلى جانب تل هناك، فذهب ذلك العليج فلقية عليج آخر فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: إلى مصعب. قال: ممن؟ قال: من شمر، فقال: اذهب معي إلى سيدي، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار، وهو قد ركب في طلب شمر، فدلّه العليج على مكانه فقصده أبو عمرة، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن ينحول من مكانه ذلك، فقال لهم: هذا كله فرق من الكذاب، والله لا أرتحل من هنا

إلى ثلاثة أيام حتى أملاً قلوبهم رعباً فلما كان الليل كابسهم أبو عمر في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، وثار إليهم ثمر وبن ذى الجوشن فطاعنهم برمح وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول : -

نبهتُم ليثَ عربينَ بأسلا * جهماً محيأً يدقُ السكاهلا
لم يَربوياً عن عدوٍ ناكلا * إلا أكرُ مقاتلاً أو قاتلا
يزعجهم ضرباً ويروي العاملا

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار الله أكبر قتل الخبيث عرفوا أنه قد قتل قبحه الله .

قال أبو مخنف عن يونس بن أبي إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر - يعني منصوره من القتال - ناداه سراقه بن مرداس بأعلا صوته وكان في الأسرى
امنن على اليوم ياخير معد * وخير من حل بشحر والجند * وخير من لبي وصام وسجد
قال : فبعث إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الغد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول

ألا أخبرَ أبا إسحاقَ أنا * نزونا نزوةً كانتَ علينا
خرجنا لا ترى الضعفاء شيئاً * وكان خروجنا بطراً وشينا
نراهم في مصافهم قليلاً * وهم مثل الربا حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما * رأينا القوم قد برزوا إلينا
رأينا منهم ضرباً وطحناً * وطعنأ صائباً حتى اثنينا
نصرتَ على عدوك كل يومٍ * بكل كنيبة تنعى حسيناً
كنصر محمد في يوم بدرٍ * ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فاسجح إذ ملكت فلوملكننا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكرُ إذ جعلت العفودينا

وجعل سراقه بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلا به المختار فقال له : إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت بقولك هذا أنني لا أقتلك ، ولست أقتلك فذهب حيث شئت لئلا تفسد على أصحابي ، فذهب سراقه إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول : -

ألا أخبرَ أبا إسحاقَ أنني * رأيتُ البلق دهماً مصمتاً

كفرتُ بوحكمكم وجعلتُ نذراً * عليّ قتالكم حتى الممات
رأيتُ عيناى ما لم تبصراه * كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا : أقولُ لهم كذبتم * وإن خرجوا لبستُ لهم أداى

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه فحرضهم في خطبته تلك على من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقالوا : ما ذنبنا نترك أقواماً قتلوا حسيناً يمشون في الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصرو آل محمد إني إذا كذاب كما سمعتموني أنتم ، فاني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضربهم ، ورحماً أطعمهم ، وطالب وترهم ، وقائماً بحقهم ، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فانه لا يسبغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنفى من في المصر منهم . ثم جعل يتتبع من في الكوفة - وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات فما يناسب ما فعلوا - ، ومنهم من حرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يرمى بالنبل حتى يموت ، فأتوه بمالك ابن بشر فقال له المختار : أنت الذى نزعْتَ برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فأمّن علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجله . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبدالله بن أسيد الجهني وغيره شر قتلة

مقتل خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتز رأس الحسين

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدرى أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذى هو مختف فيه ، - وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك - واسمها العبوق بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمي ، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فخلعوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره ، وأن يحرق بعد ذلك . وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل السنبسى - وكان قد سلب العباس بن علي بن أبي طالب يوم قتل الحسين - فأخذ فذهب أهله إلى عدى بن حاتم ، فركب ليشفع فيه عند المختار ، فخشى أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدى إلى المختار فيشفعه فيه ، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدى فشفعه فيه فشفعه فيه . فلما رجعوا وقد قتلوه شتمهم عدى وقام متغضباً عليهم وقد تقلد منة المختار . وبعث المختار إلى يزيد بن ورقاء وكان قد قتل عبدالله بن مسلم بن عقييل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج قاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه وبه رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذى كان يدعى أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة

فهدمت داره ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره وأن يبنى بها دار حجر بن عدى التى كان زياد هدمها .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الذين قتلوا الحسين

قال الواقدي : كان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقبه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقله وأسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما خرج المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جعدة بن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من على ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، ما لم يحدث حدثاً . وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، فنى للمختار بعض مواليه ذلك ، فقال المختار : وأى حدث أعظم من هذا ؟ وقيل إن مولاه قال له ذلك ، وقال له : تخرج من منزلك ورحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح بعث إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك ؟ وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ، وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك ؟ فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأنتى برأسه فذهب إليه فقتله وأناه برأسه

وفى رواية أن المختار قال ليلة : لأقتلن غدا رجلاً عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان المهيم بن الأسود حاضراً فوق في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه الفرثان فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهد والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثاً

قال أبو مخنف : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار إلا أن يدخل الكنيف فيحدث فيه ، ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً ، ثم جعل ينتقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره ، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع فقال : كلا والله إن في عنقه سلسلة ترده لوجهه ، إن يطير لأدركه دم الحسين فأخذ برجله . ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه فعثر في جيبه ، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار ، لابنه

حفص - وكان جالساً عند المختار - فقال : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولاخير في العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قریش ماوفوا أنملة من أنامله . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتاباً في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك أيها المهدي فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بعثنى نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله من بقى ، ولست بمنحجم عنهم حتى يبلغنى أنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه ، مع أن ابن جرير قد تقصى هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غبون كلامه قوة وجدده وغرامه ، ولهذا توسع في إيراد روايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو منهم فيما يرويه ، ولا سيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعه فيه غرام وأى غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلهم ، والانتقام منهم ؛ ولا شك أن قتل قتلته كان متحماً ، والمبادرة إليه كان مغناً ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذى صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافراً ، وقد قال رسول الله (ص) : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وقال تعالى في كتابه الذى هو أفضل ما يكتبه الكاتبون [وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون] وقال بعض الشعراء :-

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيلى بظالم

وسياتى في ترجمة المختار مايدل على كذبه وافترائه ، وادعائه نصرة أهل البيت ، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعا من الشيعة الذين بالكوفة . ليقم لهم دولة ويصول بهم ويجول على مخالفه صولة .

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم منه ، وهذا هو الكذاب الذى قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير » . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقدولى الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سيأتى ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبياً جلدأ ظالماً غاشماً ، ولكن لم يكن في طبقة هذا ، منهم على دين الاسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتية الوحي من العلى العلام .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بعث المختار المثنى بن مخزومة العبدي إلى البصرة يدعو إليه من

استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه ، فجعل يدعو إلى المختار ، ثم أتى مدينة الورق فمسكروا عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القبايع - وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب - جيشاً مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس : فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسعم ، فأنحجز الناس بعضهم عن بعض ، ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلولاً مغلولاً مسلوباً ، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدى الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكتبهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من الأمراء : أفسلم أنتم أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم صدر ، وإني لا أملك لكم ما قد خط في القدر ، وقد بلغني أنكم سمعتموني الكذاب ، وقد كذب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ثنا الحسن بن حماد عن حماد بن علي عن مجالد عن الشعبي . قال : دخلت البصرة ففقدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال بعض القوم : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل الكوفة ، فقال : أنتم موال لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدري ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال :-

أخفرتم أن قتلتم أعبداً * وهزمتم مرةً آل عدل
فاذا فاخترمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثبونه * وفقى البيضاء وضاحاً دقل
جاء يهْدجُ في سابغة * فذبجناه ضحى ذبج الجمل
وعفونا فنسيتم * عفونا * وكفرتم نعمة الله الأجل
وقتلتم بحسين منهم * بدلاً من قومكم شر بدل

قال : ففضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأتى بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدر على الصدر ، وقد بلغني أنكم تكذبوني ، فإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلي ، ولست بخير منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منا أو منكم .

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه في جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير ويعمل على خداعه والمكر به ، فكتب إليه : إني كنت بايعتك على السمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدت عنك ، فإن كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك ، والمختار يخفى هذا كل الاخفاء عن الشيعة ، فاذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وليتكم ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سامع لنا مطيع ، وأعطاه قريبا من أربعين ألفا يتجهز بها ، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمائة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفا من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : اعطه المال فإن هو انصرف والافأره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجد قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب الثني بن مخزومة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبد الملك بن مروان بن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمدك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكائده ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك فابعث بجند إلى وادي القرى ليكونوا مددا لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل بن ورس الهمداني ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فاذا دخلت فاكذب إلى حتى يأتيك أمرى ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكرافبعث العباس ابن سهل بن سعد الساعدي في ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال لهم : إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكأيديهم حتى يهلكهم الله . فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقم ، وقد بقي ابن ورس في جيشه ، فاجتمعوا على ماء هنالك ، فقال له العباس : ألتسم في طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فإنه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : فاني لم أؤمر بطاعتك ، وإنما أمرني أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فإنه يأمرني بأمره ، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدالك . ثم نهض

العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك، وجوع كثير، فجعلوا يذبحون ويطبخون ويختبزون يأكلون على ذلك الماء، فلما كان الليل بيثهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم نحواً من سبعين، وأسر منهم خلقاً كثيراً فقتل أكثرهم، ورجع القليل منهم إلى المختار وإلى بلادهم خائبين

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول : -

أنا ابن سهل فارس غير وكل * أروع مقدام إذا الكبش نكل

وأعتلى رأس الطرماح البطل * بالسيف يوم الروع حتى ينجدل

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال : إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار، ألا إنه كان أمراً مأتياً، وقضاء مقضياً. ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخنعمي كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته ففدروهم جيش ابن الزبير، فان رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فان أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه، فأطع الله فيما أسرت وأعلنت، واعلم أني لو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراعا، والأعوان لي كثيرة، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. وقال لصالح بن مسعود : قل للمختار فليثق الله وليكف عن الدماء. فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال : إني قد أمرت بجمع البر واليسر، وبطرح الكفر والفدر.

وذكر ابن جرير من طريق المدائني وأبي مخنف أن ابن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلاً من أشرف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه، فكرهوا أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة، فهددهم وتوعدهم واعتقلهم بزمنهم، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه، ويقولون له : إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحريق، فلا نخذلوا كما خذلتهم الحسين وأهل بيته، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا صريح أهل البيت يستصرخكم ويستنصركم، فقام في الناس بذلك وقال : لست أنا بآبي إسحاق إن لم أنصركم نصراً مؤزراً، وإن لم أرسل إليهم الخليل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بآبن الكاهلية الويل، ثم وجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة، وظهر بن عمر التيمي في أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمر بن طارق في أربعين، وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بتوجيه الجنود إليه، فقتل أبو عبد الله الجدلي بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مائة وخمسين فارساً، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهراً جهاًراً وهم يقولون : ياتارات الحسين، وقد أعد ابن الزبير الحطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوه، وقد بقي من الأجل يومان، فعمدوا - يعني أصحاب

المختار - إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجن ابن الزبير ، وقالوا : إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إني لا أرى القتال في المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس نبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فعملوا يقولون وهم داخلون الحرم : يا ثارات الحسين فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالا كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب على ، واجتمع معه أربعة آلاف رجل ، قسم بينهم ذلك المال . هكذا أورد ابن جرير وفي صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله ابن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروبا جرت فيها لعبد الله بن خازم يعطول ذكرها

فصل في المختار

قال ابن جرير : وفي هذه السنة سار إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك لثمان بقين من ذي الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ما هو إلا أن فرغ المختار من جباية السبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه ، وخرج معهم خاصة المختار ، ومعهم كرسى المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافون به يدعون ويستصرخون ويستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يا ابن الأشتر اتق الله في شرك وعلا نيتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسى سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بني إسرائيل والذي نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسى .

قال ابن جرير : وكان سبب اتخاذ هذا الكرسى ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شيبويه حدثني أبي ثنا سليمان ثنا عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة حدثني معد بن خالد حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أعدمت مرة من الورق فاني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسى قد ركه وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا ، فرجعت فأرسلت إليه أن ارسل إلى بالكرسى ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكنمك شيئاً وقد بدالى أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قال : قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثره من

علم . قال : سبحان الله ! ! فلم أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعثه إلى ، قال فجئت به وقد غسل فخرج عودا ناضرا وقد شرب الزيت ، فأمر لي بأثنى عشر ألفا ، ثم نودي في الناس الصلاة جامعة ، قال : نخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان في بني إسرائيل تابوت يستنصرون به ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا ، فقام شبت بن ربي فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد ويرمي في الخنس ، فشكرها الناس لشبت ابن ربي ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار ابن الأشر ، بعث معه بالكرسى يحمل على بغل أشهب قد غشى بأثواب الحرير ، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجهوا مع الشاميين كما سيأتي وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد : ازداد تعظيمهم لهذا الكرسى حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جعدة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتكلم الناس في هذا الكرسى وكثر عيب الناس له ، فغيب حتى لا يرى بعد ذلك .

وذكر ابن الكلبي أن المختار طلب من آل جعدة بن هبيرة الكرسى الذى كان على مجلس عليه فقالوا : ما عندنا شيء مما يقول الأمير ، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاؤا بأى كرسى كان لقبه منهم ، فحملوا إليه كرسيا من بعض الدور فقالوا : هذا هو ، فخرجت شيام وشاكر وسائر رؤس المختارية وقد عصبوه بالحرير والديباج . وحكى أبو مخنف أن أول من سدن هذا الكرسى موسى بن أبى موسى الأشعرى ، ثم إن الناس عتبوا عليه فى ذلك ، فرفعه إلى حوشب البرسمى ، وكان صاحبه حتى هلك المختار قبحه الله . ويروى أن المختار كان يظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسى ، وقد قال فى هذا الكرسى أعشى همدان : -

شهدتُ عليكم أنكم سبائية * وأنى بكم بإشرطة الشريك عارفُ
وأقسم ما كر سيكم بسكينة * وإن كان قد لفت عليه ألفائفُ
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سمعتُ * شبام حواليه ونهد وخارفُ
وإنى امرؤ أحببتُ آل محمد * وتابعتُ وحياً ضمنته المصاحفُ
وتابعتُ عبد الله لما تابعتُ * عليه قريش تمطها والغطارفُ

وقال المتوكل الليثي

أبلغ أبا إسحاق إن جئتُ * أنى بكر سيكم كافرُ
تنزوا شبام حول أعواده * ونحمل الوحي له شاكرُ
محرم أعينهم حوله * كأنهن الحص الحادرُ

قلت : هذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ، ووراءه فهمه ، وترويح الباطل على أتباعه وتشبهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهال العوام قال الواقدي : وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب الدنانير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها بها . قال صاحب مرآت الزمان : وفيها ابتداء عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب في أيام منى وعرفة ، ومقام الناس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوي بني مروان ، ويقول : إن النبي (ص) ، لعن الحكم وما نسل ، وأنه طريد رسول الله (ص) ، ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحاً ، قال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم ، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤسهم ، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه ، وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل الأكاسرة في إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية .

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه ، وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغاً ولا يتوقفا فيه ، فبنوا النفقات وأكثروا ، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء ، وفرشاها بالرخام الملون ، وعملا للقبة جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء ، وآخر من آدم للصيف ، وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون منه غالبية ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، وجعل فيها العود القمارى المغلف بالمسك وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياما ، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس ، وأنه دخل الصخرة ، وكان فيه من السدة والقوم القائمين بأمره خلق كثير ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج ، وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، وافتتن الناس بذلك افتتاناً عظيماً ، وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الأشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما في الآخرة ، فصوروا

فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقسم رسول الله (ص) ، وواحد جهنم ، وكذلك في أبوابه ومواضع منه ، فاعتز الناس بذلك ، وإلى زماننا ، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظرآ ، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك نبي ، كثير ، وأنواع باهرة . ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عمارتها على أكمل الوجوه فضل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستائة ألف منقال ، وقيل ثلاثمائة ألف منقال ، فكتبنا إلى عبد الملك يخبرانه بذلك ، فكتب إليهما : قد وهبته منكما ، فكتبنا إليه : إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نسائنا ، فكتب إليهما إذ أيتنا أن تقبلاه فأفرغاه على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة ، فوجد المسجد خراباً ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشبث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلاً فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتب على القبة مما يلي الباب القبلي : أمر بينائنا بعد تسميته أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وستين من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه أربعمائة وستون ذراعاً ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها كان مقتل هبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، ثم استهلكت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهراً لا يستطيع النوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبى جيشه وكتب كتائبه ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويداً وهو ماش في الرحالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فاذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله (ص) ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله (ص) ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونسأؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله ،

وبحكم !! اشفوا صدوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذى فعل فى آل نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به ، ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، ثم نزل تحت رايته وأقبل ابن زياد فى خيله ورجله فى جيش كثيف قد جعل على يمينته حصين بن نمير وعلى اليسرة ، عمير بن الحباب السلى - وكان قد اجتمع بابن الأشتر ووعدته أنه معه وأنه سينهزم بالناس غدا - وعلى خيل ابن زياد شرحبيل بن الكلاع ، وابن زياد فى الرجالة يمشى معهم . فما كان إلا أن تواقفا الفريقان حتى حمل حصين بن نمير باليمين على ميسرة أهل العراق فهزمها ، وقتل أميرها على بن مالك الجشمى فأخذ رايته من بعده ولده محمد بن على فقتل أيضاً ، واستمرت الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إلى ياشرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتأوا به وانعطفوا عليه ، واجتمعوا إليه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام . وقيل بل انهزمت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالا عظيما ، وكان لا يضرب بسيفه رجلا إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل إن ميسرة أهل الشام ثبتوا وقاتلوا قتالا شديداً بالرماح ثم بالسيوف ، ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، فجعل يقتلهم كما يقتل الخيلان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد فى موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه ، لكن قال لأصحابه : التمسوا فى القتلى رجلا ضربته بالسيف فنفتحتى منه ريح المسك ، شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطئ نهر خازر : فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ، وقتل من رؤس أهل الشام أيضاً حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر ممن قتل ، واحتازوا مافي معسكرهم من الأموال والخيول .

وقد كان المختار بشر أصحابه بالنصر قبل أن يجي الخبر ، فما ندري أكان ذلك تفاؤلا منه أو اتفاقا وقع له ، أو كهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحى إليه بذلك فلا ، فان من اعتقد ذلك كفر ومن أقرم على ذلك كفر ، لكن : قال إن الواقعة كانت بنصيبين فأخطأ مكاتها ، فانها إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عامر الشعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج المختار من الكوفة ليتلقى البشارة ، فأتى المدائن فصعد منبرها فينما هو يخاطب إذ جاءته البشارة وهو هناك . قال الشعبي : فقال لى بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له : زعم أن الواقعة كانت

بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبانة السبيع والكناسة من الخروج إلى مصعب ابن الزبير إلى البصرة ، وكان منهم شبيب بن ربيعي ، وأما ابن الأشتر فإنه بعث بالبشارة وبرأس ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقبياً في تلك البلاد ، وبعث عمالا إلى الموصل وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سراق بن مرداس البارقى يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد

أنا كم غلام من عراني مذحج * جرى على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بو بأعظم هالك * وذق حد ماضي الشفرين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بمحده * إذا ما أنا قتيلاً بقتيل
جزى الله خيراً شرطة الله إنهم * شفوا من عبيد الله أمس غليل

وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماس تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساكر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي ، قال ابن عساكر : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومفضل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليح بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانياً وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إلى ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفد منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً ، فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الرحمن كلام الشيطان ، فقال معاوية : أغرب فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمد بالتمن الربيح
وإعطاني على الأعداء مالى * وإقدامي على البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجشئت • مكانك تحمدى أو تسريح
لأدفع عن مائتر صلحتي • وأحى بعد عن إنفي صحيح
ثم كتب إلى أبيه : أن روه من الشعر ، فرواه حتى كان لا يسقط عنه منه شيء بعد ذلك ، ومن
شعره بعد ذلك : -

سيعلم مروان بن نعوة أننى • إذا التقت الخيلان أظعننا شراً
وإني إذا حل الضيوف ولم أجند • سوى فرسى أو سعتة لهم نحرأ
وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لطريف ولكنه يلحن ، فقال :
أوليس اللحن أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن في كلامه ، أى يلغز ، وهو
الحن بمجته كما قال الشاعر في ذلك : -

منطق رائع ويلحن أحيانا • وخير الحديث ما كان لحناً
وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن في قوله لحن وهو ضد الاعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذى هو ضد
الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة في الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق
في كلامه ويفخمه ، ويتشدد فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام المعجم ، فإن أمه مرجانة
كانت سيروية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزددجرد أو غيره ، قالوا : وكان في كلامه شيء من
كلام المعجم ، قال يوماً لبعض الخوارج : أهرورى أنت ؟ يعنى أهرورى أنت ؟ وقال يوماً من كاتلنا
كاتلناه ، أى من قاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أى أجود له حيث نزع إلى أخواله ،
وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد تسنة ثلاث وخمسين ولى معاوية على البصرة سمرة بن جندب سنة ونصف ثم
عزله وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة ستة أشهر ، ثم عزله وولى عليها ابن زياد سنة
خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة ، فبنى في إمارة يزيد البيضاء ،
وجعل باب القصر الأبيض الذى كان لكسرى عليها . وبنى الحراء وهى على سكة المربد ، فكان
يشقى في الحراء ويصيف في البيضاء ، قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ،
إن امرأتى ماتت ، وإني أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك في الديوان ؟ فقال : سبعمائة ،
فقال : يا غلام حط من عطائه أربعمائة ، ثم قال له : يكفيك من قهك هذا ثلاثمائة ، قالوا : وتخاصمت
أم الفجيج وزوجها إليه وقد أحبت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيج : أصلح الله الأمير
إن خير شرطى الرجل آخره ، وإن شر شرطى المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل
إذا أسن عقله واشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعقم

رحمها واحتد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف ، وقال بمجي بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بالنفي درهم فسرق ، فقال : عسى أن يكون خيراً فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بالقتل آخرين ، ثم وجد الألفين فصارت أربعة آلاف فسكر خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة - وكانت قد تزوجت بعده أزواجاً من نواب العراق - من أعز أزواجك عندك وأكرمهم عليك ؟ فقالت : ما أكرم النساء أحد إكرام بشير بن مروان ، ولا هاب النساء هيبته الحجاج بن يوسف ، ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتنى من حديثه والنظر إليه - وكان أتى عذارتها - وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمعوذتين في الصلاة المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعني والله أعلم في الكوفة ، فإن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه وكان فقهاء الكوفة عن كبار أصحاب ابن مسعود يأخرون والله أعلم .

وقد كانت في ابن زياد جرأة وإقدام ومبادرة إلى مالا يجوز ، ومالا حاجة له به ، لما ثبت في الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم ، كلاهما عن شيبان بن فروخ عن جرير عن الحسن أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني ، سمعت رسول الله (س) يقول : « إن شر الرعاء الخطمة ، فاياك أن تكون منهم » . فقال له اجلس فأنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله (س) ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم . وقد روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال له : إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله (س) ، أنه قال : « ما من رجل استرعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واعتذر بما ليس يجدي شيئاً وركب إلى قصره ، ومن جراته إقدامه على الأسر باحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شمر بن ذى الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمر على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضى فيه بما يراه ابن مرجانة . وقد تعس وخاب وخسر ، فليس لابن بنت رسول الله (س) ، أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث ، وقد قال محمد ابن سعد : أنبأنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبد الملك بن كردوس عن حاجب عبيد الله بن زياد قال : دخلت معه القصر حين قتل الحسين قال

فاضطرم في وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكمه هكذا على وجهه وقال : لا نتحدثن بها أحداً ، وقال شريك عن مغيرة قال قالت مرجانة لابنها عبيد الله : يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله (ص) ؟ لا ترى الجنة أبداً . وقد قدمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان ، وحسن له أن يتولى الخلافة ويدعو إلى نفسه ففعل ذلك ، وخالف الضحاك بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاك بن قيس فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلص ابن الزبير ففعل ، فأنحل نظامه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاك وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد إلى العراق في جيش فالتقى هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسروهم ، واستمر قاصدا الكوفة في ذلك الجيش ، فتعوق في الطريق بسبب من كان يمانعه من أهل الجزيرة من الأعداء الذي هم من جهة ابن الزبير . ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شر قتلة على شاطئ نهر الخازر قريبا من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء قتل : وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين ، ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشرجيل بن ذى الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم ، فسر بذلك المختار ، فقال يعقوب بن سفيان : حدثني يوسف بن موسى بن جرير عن يزيد بن أبي زياد قال : لما جرى برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرأس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فمه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرأس . ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الاعلا بن أبي معاوية عن الأعشى عن عمارة بن عمير . قال : لما جرى برأس عبيد الله وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة ، فأنتهيت إليها وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فاذا حية قد جاءت فتخلل الرأس حتى دخلت في منخرى عبيد الله بن زياد ، ، فكنت هنية ثم خرجت فنهبته حتى تقيت ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زيد : وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحصين بن نمير ، ولى قتلها إبراهيم بن الأشتر وبعث برؤسهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد في يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان في سنة سبع

وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرأس إلى ابن الزبير في هذه السنة متعذراً لان
العدواة كانت قد قويت وتحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة ، وعمّا قليل أمر ابن الزبير
أخاه مصعباً أن يسير من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار وقتاله والله أعلم .

مقتل المختار بن ابي عبيد على يدي مصعب ابن الزبير

كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي
ربيعة المخزومي المعروف بالقباع ، وولاه لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون رداً وقرناً وكفواً
للمختار ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها مثلما فيم المنبر ، فلما صعد قال الناس : أمير أمير ، فلما
كشف اللثام عرفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام
مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ [إن فرعون عيلاً في الأرض وجعل أهلها شيعاً] وأشار
بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض] وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون
أمراءكم ، وقد سميت نفسى الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا به ، ولما انهزم أهل الكوفة حين
خرجوا على المختار قهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا يهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم
خرج المختار ليلتقى بالذى جاء بالرؤس والبشارة ، اغتم من بقى بالكوفة من أعداء المختار غيبته
فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلّة دينه وكفره ، ودعواه أنه يأتيه الوحى ، وأنه قدم الموالى
على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقل بتلك النواحي ، فأحرز بلاداً
وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطعم مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس
على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم في تجمّل عظيم ومال ورجال
وعدد وعدد ، وجيش كثيف ، وفرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب ، فركب في أهل البصرة
ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر قاصدين الكوفة .

وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى
الميسرة المهلب بن أبي صفرة ، ورتب الأمراء على راياتها وقبائلها ، كالك بن مسعم ، والأخنف
ابن قيس ، وزباد بن عمر ، وقيس بن المهيم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره قنزل المدار وقد جعل
على مقدمته أبا كامل الشاكرى ، وعلى ميمته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب
الجشمى ، وعلى الخليل وزير بن عبد الله السلولى ، وعلى الموالى أبا عمرة صاحب شريطته

ثم خطب الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه

وهو يبشرهم بالنصر، فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتائب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية، فابلثت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حمية، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء، وخاق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار.

وقال الواقدي: لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حروراء فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوساً، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر، وإلى العالية عبد الله بن جعدة، وإلى الأزد مسافر بن سعيد، وإلى بني نعيم سليم بن يزيد الكندي، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقبلوا قتالاً شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمير ابن علي بن أبي طالب، وتفرق عن المختار باقي أصحابه، فقبل له القصر القصر، فقال: والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه، ولكن هذا حكم الله، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاء مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة، واقتسموا الحال، وخلصوا إلى القصر، وقد منموا المختار المادة والماء، وكان المختار يخرج فيقا تلهم ثم يعود إلى القصر، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه: إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً، فوهنوا فقال أما فوالله لا أعطى بيدي. ثم اغتسل وتطيب وتحنط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا

وقيل بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته، فدخله وهو ملوم مذموم، وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم، وضيق عليهم المسالك والمقاصد، وانسدت عليهم أبواب الحيل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رويته في الأمر الذي قد حل به، واستشار من عنده في هذا السبب السيئ الذي قد اتصل سببه بسببه من الموالى والعبيد، ولسان القدر والشرع يناديه [قد جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه، على أن أخرجه من بين من كان يحالفه ويواليه، ورأى أن يموت على فرسه، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه، فنزل حمية وغضباً، وشجاعة وكلباً، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفرأً ولا مهرباً، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر المولكون بسقر، ولما خرج من القصر سأل أن ينحى سبيله فيذهب في أرض الله فقالوا له: إلا على حكم الأمير. والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم إليه رجلان شقيقان أخوان،

وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ، قتلناه بمكان الزياتين من الكوفة ، واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد دخل قصر الامارة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بنى يدي المختار ، وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، وكما سيوضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدي مصعب أمر لهما بثلاثين ألفا .

وقد قتل مصعب جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمائة أسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد ، وقد قتل من أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وصمرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل هنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقبل له هي كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هنالك ، لأن المختار كان من قبيلة الحجاج . والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه شهوراً ، وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا ماتقولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجه الأخرى وهي عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : ماتقولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجنها وكتب إلى أخيه إنها تقول إنه نبي فكتب إليه أن أخرجها فاقفلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلد فضربت ضربات حتى ماتت ، فقال في ذلك عمر بن أبي رمثة الخزومي :

إن من أعجب المعائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * إن الله درها من قنيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذبول

وقال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم عليه فقال ابن عمر : من أنت ؟ فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟ عسى ما استطعت ، فقال له مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدلهم غنا من نراث أهلك لكان ذلك سرفاً .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبي (ص) ، ولم يره ، فل هذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وإنما ذكره ابن الأثير في الغابة ، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، قتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين ، كما قدمنا ، وعرف ذلك الجسر به ، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد ، وكان له من الولد صفية بنت أبي

عبيد ، وكانت من الصالحات العابدات . وهى زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرماً ومحبباً ، وماتت فى حياته ، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصبياً يبغيض علياً بغضاً شديداً ، وكان عند عمه فى المدائن ، وكان عمه نائبها ، فلما دخلها الحسن بن على خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه ، فلما أحس الحسن منهم بالغدر فر منهم إلى المدائن فى جيش قليل ، فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لا تحذت عند اليد البيضاء أبداً ، فقال له : عمه بئس ما تأمرنى به يا ابن أخى ، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبى طالب ما كان ، وكان المختار من الأمراء بالكوفة ، فجعل يقول : أما لأنصرنه ، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة ، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه ، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز فى عباءة ، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره أهل الشام قتالاً شديداً ، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيه من التخبيط ، فسار إليهم وترك ابن الزبير ، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل ، فسار إليها ، وكان يظهر مدح ابن الزبير فى العلانية ويسبه فى السر ، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوز على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بثار الحسين ، وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها ، واستقر ملك المختار بها ، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مداها لبنى أمية ، وقد خرج من الكوفة ، وأنا ومن بها فى طاعتك ، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤس الناس ، ويظهر طاعته ، ثم شرع فى تتبع قتلة الحسين ومن شهد الواقعة بكر بلاء من ناحية ابن زياد ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وظفر برؤس كبار منهم ، كعمر بن سعد بن أبى وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين . وشمر بن ذى الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين ، وسنان بن أبى أنس ، وخولى بن يزيد الأصبحى ، وخلق غير هؤلاء ، وما زال حتى بمث سيف نعمته إبراهيم بن الأشتر فى عشرين ألفاً إلى ابن زياد ، وكان ابن زياد حين التقاه فى جيش أعظم من جيشه - فى أضعاف مضاعفة - كانوا ثمانين ألفاً ، وقيل ستين ألفاً ، فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشه ، واحتاز ما فى معسكره ، ثم بمث برأس ابن زياد ورؤس أصحابه مع البشارة إلى المختار ، وفرح بذلك فرحاً شديداً ، ثم إن المختار بمث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة . فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بمث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فسار إلى البصرة

فجمع المساكر فأتى سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلح حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ما جاء بك ؟ فأتى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين معي الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فآلقه ثم جاء فقال : جازني يا أمير المؤمنين ، فقال : جازتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن ، وكذلك سائر الدول ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل . قال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القاري أبو عمير بن السدي عن رفاعة القبايبي قال : دخلت على المختار فالتقي لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثاً حدثني أخى عمر بن الحق ، قال قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء » . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن حماد بن سلمة حدثني عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفي فأضرب عنقه ، فذكرت حديثاً حدثناه عمر بن الحق . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من آمن رجلاً على نفسه فقتله أعطى لواء غد يوم القيامة » . ورواه النسائي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الملك بن عمير وفي لفظ لهما : « من آمن رجلاً على دم فقتله فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفي سند هذا الحديث اختلاف . وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى [وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم] وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده ، وكان يتعاهد مبيتي بالليل قال فقال لي : أخرج فحدث الناس ، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : مات قول في الوحي ؟ فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى [إنا أوحينا إليك هذا القرآن] وقال تعالى [وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً] قال فهموا أن يأخذوني فقلت : ما لكم وذاك ! إني مفتيكم وضيغكم . فتركوني ، وإما أراد عكرمة أن يمرض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباه دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو شفت ^(١) رأي جبريل وميكائيل ، فقال له زيد خسرت وتعتست ، أنت أهون

على الله مر ذلك ، كذاب مفتر على الله ورسوله ، وقال الامام أحمد : حدثنا ابن إسحاق بن يوسف ثنا ابن عوف الصديق الناجي أن الحجاج بن يوسف دخل عل أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل به وفعل ، فقالت له كذبت ، كان ياراً بالوالدين ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله (ص) : « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ . وقد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل عن عقبة بن مكرم العمي البصري عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب واسمه معاوية بن سلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله (ص) قال : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة ، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويطن الكهانة ، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه ، ولكن ما أدرى هل كان يدعى النبوة أم لا ؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال ، ويستر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى [وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون] وأما المبير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك ابن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرًا مواقة ابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكنب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الاملة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل

فَضَّلَ

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقسم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقسم عليه ، فخار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما ينهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدم الكوفة ، قدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

واحترمه كثيراً ، وبعث مصعب المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذر بيحان وأرمينية ، وكان قد استخلف على صرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، وأقام هو بالكوفة ، ثم لم تنسلخ هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان شجاعاً جواداً مخلصاً يعطى أحياناً حتى لا يدع شيئاً ، ويمنع أحياناً ما لم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش في عقله ، وسرعة في أمره ، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فعزله وأعاد إلى ولايتها أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة ، قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمال كثير من بيت مالها ، فعرض له مالك بن مسمع ، فقال : لاندعك تذهب بأعطياتنا ، فضمن له عبيد الله بن معمر العطاء فكف عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالاً فكلهم غل ما أودعه وجحدته ، سوى رجل من أهل الكتاب ، فأدى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ما صنع قال : أبعد الله ، أردت أن أباهي به بنى مروان فنكص . وذكر أبو مخنف أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولى البصرة سنة كاملة فله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السلمي من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وأبو الجهم ، وهو صاحب الانبجانية المذكورة في الحديث الصحيح . وفيها قتل خاق كثير يطول ذكرهم .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ففيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأناها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، قباج ، واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهري ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ، فانه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضربه ، فعزله ابن الزبير . وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين بيلده ، وفيها كانت وقعة الأزارقة .

وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلب بن أبي صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة ، وكان المهلب قاهراً للأزارقة ، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر ، فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله قهرهم وكهيم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن جور ، ففروا بين يديه إلى اصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه ، ثم ظفروا بهم مرة أخرى ثم هربوا إلى بلاد

أصبهان ونواحيها ، فتقووا هنالك وكثر عددهم وعددهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، فمروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع بمصعب بقدمهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجنازون بيلاده ، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويقررون بطون الحبالي ، ويفعلون أفعالا لم يفعلها غيرهم ، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهم ابن الأشتر وشبث بن ربعي ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة قطعه الخوارج بينه وبينهم ، فأمر الأمير بإعادته ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف فمروا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا ، حتى ضيقوا على الناس فتركوا إليهم فقاتلهم فكشفهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماجور وعلموا ما في معسكرهم ، وأمرت الخوارج عليهم فطرى بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة - وهو على الموصل - أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم . قال ابن جرير : وفيها قتل عبيد الله بن الحر وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لا يطاع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل الكوفة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله قهراً ويكتب له براءة وينهب فينقله على أصحابه . وكان الخلفاء والأمراء يعثون إليه الجيوش فيطردها ويكسرها قلت أو كثرت ، حتى كاع فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود ستصل إليهم سريعاً ، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير : وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه ، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه ، والثالثة لبني أمية ، والرابعة لعبد الله بن الزبير ، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزبير

فدفع الناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فمين انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنه تأخر دفعه ، فقال ابن عمر : أشبه بتأخره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر دفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس في هذا العام فلم يكن بينهم قتال . وكان على نيابة المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري من جهة ابن الزبير ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان

عبد الله بن يزيد الأوسي ، شهد الحديبية ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث . وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ابن أخي عمر بن الخطاب ، أدرك النبي (ص) ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة . عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري . عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن أمية القيس ، صحابي جليل ، سكن الكوفة ثم سكن قوميسيا . زيد بن أرقم بن زيد صحابي جليل

وفيهما توفي عبدالله بن عباس ترجمان القرآن

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله (ص) ، حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله (ص) شيئا كثيرا ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضى الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو أخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً ، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر كما سيأتي ذلك . قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن نجيب عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لما كان رسول الله (ص) في الشعب جاء أبي إلى رسول الله (ص) فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقر أعينكم » . قال : فلما ولدتنى أتى بي رسول الله (ص) وأنا في خرقة فخنكنى بريقه . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً خنكه رسول الله (ص) بريقه غيره ، وفي رواية أخرى قال رسول الله (ص) : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بفلام » فولدت عبد الله بن عباس ، وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة ، وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله (ص) وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدي : وهذا مالا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهض الحلم

عام حجة الوداع . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : توفي رسول الله (ص) وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم . وقال شعبة وهشام وابن عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : توفي رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين مختون . زاد هشام : وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله (ص) . قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل . وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله (ص) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهرت الاحتلام ، ورسول الله (ص) يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فررت بين يدي بعض الصف ، فزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف ، فلم ينكر على ذلك أحد . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الولدان ، وهاجر مع أبيه قبل الفتح ، فاتفق لقيهما النبي (ص) بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهد الفتح وحزينا والطائف عام ثمان ، وقيل كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبي (ص) حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علما عظيما مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة ، والاصالة والبيان ، ودعا له رسول الرحمن (ص) ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، أن رسول الله (ص) « دعا له بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه في الدين » . وقال الزبير ابن بكار : حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقر به ويقول : إني رأيت رسول الله (ص) دعاك يوما فسح رأسك وتقل في فيك وقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله (ص) قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » . وقال حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (ص) غسلا ، فقال : « من وضع هذا ؟ قالوا : عبد الله بن عباس ، فقال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين » . وقد رواه غير واحد عن ابن خثيم بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبي صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبا أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله (ص) من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فخرني حتى جعلني حناباه ، فلما أقبل رسول الله (ص) على صلاته خنست فصلى رسول الله (ص) فلما انصرف من صلاته قال : « ماشأني أجلك في حداثي فتحنس » ؟ فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي في حداثك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني

علما وفهما ، قال : ثم رأيت رسول الله (ص) ، فام حتى سمعت نفخه ، ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الامام أحمد وغيره : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا ورفاء سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : « أتى رسول الله (ص) ، اخلاء فوضعت له وضوءاً ، فلما خرج قال من وضع ذا ؟ فقيل ابن عباس ، فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » . وقال الثوري وغيره عن ليث عن أبي جهضم موسى بن سالم عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله (ص) ، دعا له بالحكمة ، وفي رواية بالعلم ، مرتين . وقال الدارقطني : حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرين قالوا : حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبي مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأيت جبريل مرتين ، ودعاني رسول الله (ص) ، بالحكمة مرتين » ، ثم قال : غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عكرمة تفرد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين . وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « ضمنى رسول الله (ص) ، وقال : اللهم علمه الحكمة » . ورواه أحمد أيضاً عن إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن عكرمة عنه قال : « ضمنى إليه رسول الله (ص) ، وقال : اللهم علمه الكتاب » . وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عنه به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبد الله بن عكرمة عن ابن عباس . أن رسول الله (ص) ، قال : « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروى من طريق أمير المؤمنين المهدي عن أبيه عن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله (ص) ، قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو كامل وعفان المعنى قالا : ثنا حماد ثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس . قال : « كنت مع أبي عند النبي (ص) ، وعنده رجل يناجيهِ ، قال عفان : وهو كالمريض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال العباس : ألم أر ابن عمك كالمريض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيهِ ، قال عفان قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد آفنا ؟ فان عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيكَ ، قال : هل رأيته يا عبد الله ؟ قال : قلت نعم ! قال ذاك جبريل عليه السلام » . وقد روى من حديث المهدي عن

آبائه ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له : « أما إنك ستصاب في بصرك » . وكان كذلك ، وقد روى من وجه آخر أيضاً والله أعلم .

ذكر صفة أخرى لرؤيته جبريل

رواها قتيبة عن الدراوردي عن نور بن يزيد عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ ، فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فأتى العباس بعد ذلك رسول الله ﷺ ، فقال العباس : يا رسول الله أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم تدري من ذاك الرجل ؟ قال : لا ! قال : ذاك جبريل ، وإن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً » . ورواه سليمان بن بلال عن نور بن يزيد كذلك ، وله طريق أخرى . وقد ورد في فضائل ابن عباس أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضر بنا عن كثير منها صفحا ، وذكرنا ما فيه من ممتنع وكفاية عما سواه .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ عبد الله بن الحسن القاضي بمرو ثنا الحارث بن محمد أنبأ يزيد بن هارون أنبأ جري بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فأنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجبا لك يا ابن عباس ! ! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتى بابي وهو قائل فأتوسد درائي على بابي يسفي الريح على من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فأتيتك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن أتيتك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع حولى الناس يسألوني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني » . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : ثنا محمد بن عمرو ابن علقمة ثنا أبو سلمة عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحى من الأنصار ، إن كنت لأقيل بيباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه . وقال محمد بن سعد : أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الخضرمي قال سمعت ابن عباس يقول : كنت أزم الأكرام من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتى أحداً منهم إلا سر باتيانى إليه ، لقربى من رسول الله ﷺ ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً . وكان من الراسخين في العلم . عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرهما مكي . وقال أحمد : عن عبد الرزاق عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمرو وعلى وأبي

بن كعب ، وقال طاوس عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب رسول الله (ص) . وقال مغيرة عن الشعبي قال : قيل لابن عباس : أنى أصبت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤال ، وقلب عقول . وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان إذا أقبل يقول عمر : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السئول ، والقلب العقول . وثبت في الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير [إذا جاء نصر الله والفتح] فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أجل رسول الله (ص) . نعى إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا بما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم . وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها في السابعة من العشر الأخير فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدثنا يحيى بن النعمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال إلأوزاعي قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياناً وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله عز وجل . وقال مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال لي أبي : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً ، لا تقشين له سرا ، ولا تفتن ابن عنده أحداً ، ولا يجر بن عليك كذبا . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله عن أبيه عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات . قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح ، وقال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشي بين الصفين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا ، وقد شهد مع علي الجمل وصفين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج وكان ممن أشار على علي أن يستنصب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً وأعزله دهرًا ، فأبى علي إلا أن يقاتله ، فكان ما كان مما قد سبق بيانه . ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافئ عمرو بن العاص ، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري ، وكان من أمر الحكمين ماسلف . وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والدليم لأسلوا . وهو أول من عرف بالناس في البصرة ، فكان

يصعد المنبر ليلة عرفة ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب ، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك ، فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله (ص) ، ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج .

وقد كان ابن عباس ينتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه على في ذلك ، كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار ، إن رسول الله (ص) قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » بل كنت قاتلهم لقول رسول الله (ص) : « من بدل دينه فاقتلوه » . فبلغ ذلك علياً فقال : ويح ابن عباس ، وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات وقد كافأه على فان ابن عباس كان يرى إباحة المتعة ، وأنها باقية ، وتحليل الحر الانسية ، فقال علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله (ص) « نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحر الانسية يوم خيبر » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ هذا من أحسنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول : ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس - وكان على خلفه بها - فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث ، آخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ومقارنة اللثيم ، وما يعتذر منه . وقال الواقدي : ثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعيد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه . قال : ما رأيت أحداً أحضر فهما ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعو للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار . وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد . وكان يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وعن ابن عمر أنه قال : ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد (ص) ، وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق باحدى يديه على الأخرى : مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس ، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترقى . وبه إلى يحيى بن العلاء عن عمر بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . قال : لما مات ابن عباس قال رافع ابن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم . قال الواقدي : وحدثني

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عمرو بن أبي عمرو : عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول مات والله أفقه من مات ومن عاش ، وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فإذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز على بعداً ولا أحب إلى قرباً ، الحمد لله الذي أمات علياً ، فقلت له : إن الله لا يذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفنيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك . وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك . وقال ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله - ﷺ ، قال : هكذا أمرنا أن نفعل بملأنا فقال زيد : أنى يداك ؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وقال الواقدي : حدثني داود بن هند عن سعيد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس . وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عتبة . قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال . بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي - ﷺ ، منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلاً سألته إلا وجد عند علماء . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط . وقال عطاء : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر عنه يسألونه ، فكأنهم يصدر في واد أوسع . وقال الواقدي : حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان ابن عباس قد يسبق على الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودي الصفار . وقال ليث بن أبي سليم قلت لطاوس : لم لزمتم هذا الغلام ؟ - يعني ابن عباس - وتركتم الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله ، وقال طاوس أيضاً : ما رأيت أفقه منه ، قال وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره . وقال علي بن المديني وبجى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة - يعني ابن عباس - وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي أسامة عن الأعمش

عن مجاهد . قال : كان ابن عباس أمدم قامة ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علما . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلسه - يعني ابن عباس - الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام . وقال مجاهد : ما رأيت أعرب لسانا من ابن عباس ، وقال محمد بن سعد : ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي - وهو ممن أرسله الحكم بن أديب - إلى الحسن سأله عن أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ قال : ابن عباس ، وكان رجلا منجى - أحسب في الحديث - كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسر لها آية آية . وقد روى من وجد آخر عن الحسن البصري نحوه ، وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرّف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا . منجى : قال ابن قتيبة منجى من النج وهو السيلان ، قال تعالى [وأنزلنا من المعصرات ماء نجا] وقيل كثيرا بسرعة : وقال يونس بن بكير : حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش نخرت به لكان لها به الفخر ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحديهم أن يجي ، ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءا ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل خم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملاؤا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل مأسألو عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملاؤا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملاؤا البيت والحجرة ، فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملاؤا البيت والحجرة فمأسلوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أن قريشا كلها نخرت بذلك لكان نخرأ ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاووس وميمون بن مهران : ما رأينا أروع من ابن عمر ولا أقفه من ابن عباس ، قال ميمون : وكان ابن عباس أقمهما ، وقال شريك : التاضى عن الأعمش عن أبي الضمحي عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجهل الناس ، فإذا نطق قلت أفصح الناس ، فإذا تحدث

قلت أعلم الناس . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن
عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان على أعلمهما بالمهمات ، وقال إسحاق بن راهويه :
إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي
بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله ﷺ ، له أن يعلمه الله
الكتاب . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو
على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويفسرهما فجعلت أقول ما ريت ولا سمعت كلام رجل
مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت . وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن
أبي وائل أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان فقرأ سورة النور وذكر نحو ما تقدم ، فلعل الأول
كان في زمان علي فقرأ في تلك الحجة سورة البقرة ، وفي فتنه عثمان سورة النور ، والله أعلم .
وقد رويناه عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد :
عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأسأل عنها ، وروى عنه أنه قال : أربعم
من القرآن لا أدري ما به جى ، الأوا ، والحنان ، والرقم ، والغسلين . وكل القرآن أعلمه إلهه
الأربع . وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد . قال : كان ابن
عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها ، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها ، فإن
لم يقلها رسول الله ﷺ ، ووجدتها عن أبي بكر وعمر قال بها ، وإلا اجتهد رأيي ، وقال يعقوب بن
سفيان : ثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن الشعبي عن كهس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة . قال :
شتم رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتمي وفي ثلاث خصال ، إني لا آتي على الآية من كتاب
الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من أحكام المسلمين يقضى بالعدل
ويحكم بالتسقط فأفرج به وأدعو إليه ، ولعل لا قاضي إليه ولا أحاكم أبداً وإني لأسمع بالغيث
يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرج به ومالي بها من سائمة أبداً ، ورواه البيهقي عن الحاكم
عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهس بن . وقال ابن أبي مليكة : صحبت
ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ورتل القرآن حرفاً ،
ويكثر في ذلك من التشيع والتحبس ويقرأ [وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد]
وقال الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال : كان في هذا المكان - وأوماً إلى مجرى
الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء . وقال غيره : كان يصوم
يوم الاثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم ، وروى هاشم وغيره عن علي بن
زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام

إلى الله عز وجل . ومن أكرم العباد على الله عز وجل ، ومن أكرم الاماء على الله عز وجل . وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن الحجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسيحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الاماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة اللذين لم يركضوا في رحم فآدم وحواء وعصى موسى ، وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل . وفي رواية وناقة صالح ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنوا إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فامان لأهل الأرض من الفرق ، والحجرة باب في السماء ، وفي رواية الذي ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هي من عند أهل النبي صلى الله عليه وآله ، وقد ورد في هذه الاسئلة روايات كثيرة فيها وفي بعضها نظر والله أعلم

قصته

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفي غيبته هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع علي الجبل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج وتأمر على البصرة من جهة علي ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة ، وزيد بن أبي سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعظ مجرمهم ، ويعطي فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إن علياً عزله عنها قبل موته ، ثم وفد على معاوية . فأكرمه وقر به واحترمه وعظمه ، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعاً ، فكان معاوية يقول : ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فمزاه فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدمنا ، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس وعزاه بعبارة فصيحة وجيزة ، شكره عليها ابن عباس ، ولما مات معاوية ورام الحسين الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي ، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين - لأن ابن عباس كان قد أضرب في آخر عمره - فلم يقبل منه ، فلما بلغه موته حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يا لسان قل خيراً نغم ، وأسكت عن شر تسلم ، فانك إن لاتفعل تندم . وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له : أوصني ، فقال : أوصيك

بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فان كل خير آتية أنت بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، يا جندب إنك لن تزد من موتك إلا قربا ، فصل صلاة مودع . واصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر ، فانك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتب من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك ، فكأن قد فارقها وصرت إلى عدل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، ولن ينفعك إلا عملك . وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدم ، قال : لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موصفا ، ولا تمارس فيها ولا حلما فان الحلیم يغلبك والسفيه يزدریک ، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالاحسان مأخوذ بالأجرام . فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف . وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وسره - یعنی أن تعجل العطية للمعطى ، وأن تصغر في عين المعطى - وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها ! فان في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى ، واستحياءه من الناس . وقال ابن عباس : أعز الناس على جليس لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت ، وقال أيضا : لا يكافئ من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موصفا إلا الله عز وجل ، وكذا رجل بداني بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي عن المجلس ، أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظني بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جدا وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره .

وقد عده الهيثم بن عدى في العميان من الأشراف ، وفي بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك ، وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحه ، فقيل له في ذلك فقال : أصابني مارأيتم في الأولى شققة على الأخرى ، فلما ذهبنا اطمان قلبي . وقال أبو القاسم البغوي : ثنا علي بن الجعد ثنا شريك عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقال له الطبيب : ننزعك من عينيك الماء على أن لا تصلى سبعة أيام . فقال : لا ! إنه من ترك الصلاة وعو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان ، وفي رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام ولا تصلى إلا على عود ، وفي رواية إلا مستلقيا ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إنه من ترك صلاة واحدة متعمدا لقي الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائني لابن عباس حين عمى

إن يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي صارم كالسيف مأثور

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير لبياباه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نبأ بك ولا نخالفك ، فهم بهما

فبعثا أبا الطفيل عامر بن وائلة فاستنجد لهما من العراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهما بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائد بالله ، فكفهم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحدا كما تقدم .

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم ير مثل خلقته ، فدخل في أكفانه والتف بها حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علمه وعمله ، فلما وضع في اللحد تلا قال لا يعرف من هو وفي رواية أنهم سمعوا من قبره [يا أيته النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساكر ، وهو المشهور عند الحفاظ ، وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

صفة ابن عباس

كان جسيما إذا جلس يأخذ مكان رجلين ، جميلا له وفرة ، قد شاب مقدم رأسه ، وشابت لنته ، وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد ، حسن الوجه يلبس حسنا ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق يقول النساء هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسيما أبيض طويلا جسيما فصيحاً ، ولما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وقيم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول .

تموا بتمام فصاروا عشرة * يارب فاجعلهم كراماً بررة * واجعلهم ذكراً وانهم الثمرة
فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبد . وعبد الرحمن بفرقية ، وقيم وكثير بينبع ، وقيل إن قتما مات بسمرقند ، وقد قال مسلم بن حماد المكي مولى بني مخزوم : ما رأيت مثل بني أم واحدة أشرف ولدوا في دار واحدة أبعد قبوراً من بني أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلي ، وكان علي يدعى السجاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض ، وقد قيل إنه كان يصلي كل يوم

ألف ركة ، وقيل في الليل والنهار مع الجلال التام ، وعلى هذا فهو أبو خلفاء العباسيين ، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي ، وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله ، وأهمهم زرعة بنت مسرح بن معدى كرب ، وله أسماء وهي لأم ولد ، وكان له من الموالى عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد . وأسند ألفاً وستمائة وسبعين حديثاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيها توفي أبو شريح الخزاعي المدوني الكعبي ، اختلف في اسمه علي أقوال أصحها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد أولية بني كعب الثلاثة ، قال محمد بن سعد : مات في هذه السنة وله أحاديث . وفيها توفي أبو واقد الليثي صحابي جليل مختلف في اسمه وفي شهوده بدرآ ، قال الواقدي توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة ، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، مات بمكة بعد ما جاوزها سنة ودفن في مقابر المهاجرين والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلابي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قاتلوه بمين وردة . ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل بل كان مع عبد الملك ولكنه اتخذ عنه في طائفة من الجيش وكر راجعا إلى دمشق في الليل ، ومعه محمد بن حريث بن يحنل الكعبي ، وزهير بن الأبرد الكعبي ، فأتوها إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجليل ، ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعا من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها المنار والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله . محاصره عبد الملك وقاتله الأشدق مدة ستة عشر يوماً ، ثم اصطلحا على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له ، وكتباً بينهما كتاب أمان ، وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الامارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : رد على الناس أعطيتهم التي أخذتها من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالاتيان إلى منزله بدار الامارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت

الأشقي ، فاستشاره عمرو الأشقي في الذهاب إليه فقال له : يا أبا سعيد والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري ، وأرى أن لا تأتيه ، فان تبعاً الحميري ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيماً من عظماء بني إسماعيل يفتق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينهني ابن الزرقاء ، وما كان لي جترء على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أثنى البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا راعٍ إليك العشي إن شاء الله . فلما كان العشي - يعني بعد الظهر - لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فعمير بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره : إنا لا نرى أن لا تأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواليه ، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحه المكان الذي فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف ، فرمى ببصره فإذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويلك انطلق إلى أخي يحيى فقل له فليأتني ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فاعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويلك أغرب عني في حرق الله وفاره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل ، وقبيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك بالانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يحدثه طويلاً ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : أو تطمع أن تتحدث معي متقلدا سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتني آليت بيمينى إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية ، فقال بنو مروان : برمين أمير المؤمنين ، فقال عمرو : برقسك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : يا غلام قم فاجمع فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس ، فقال عبد الملك : أمكرا يا أبا أمية عند الموت ؟ لاها الله إذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صعداً ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فيه السرير فكسر ثنيته ، فقال عمرو : أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت تني لي وتصلح قريش لأطلقتك ، ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفي رواية أنه قال له : أما علمت يا عمر وأنه لا يجتمع فلان

في شرك ؟ . فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أعذراً يا ابن الزرقاء ؟ وأسمعه كلاماً رديئاً بشماً ، وبينهما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة ، وأمر أخاه عبد العزيز ابن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني ، وليتول ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الامارة ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الامارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فخرجه ، فأدخله إبراهيم بن عدي صاحب الديوان بيتاً ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وضجت الأصوات ، ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه - ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك - فقال له : ناشدني الله والرحم ، وكلن ابن عمه عبد الملك بن مروان ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام أنتي بالجربة ، فأناه بها فزها وضربه بها فلم تكن شيئاً ، ثم نى فلم تكن شيئاً ، فضرب يده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال : أدارع أيضاً ؟ إن كنت معداً ، يا غلام اثنتي بالصمصامة ، فأناه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبجه وهو يقول : -

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصى * أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبه برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم مارفعوه عن صدره إلا محولاً ، فوضعوه على سريرته وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قبله صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فأقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال ، ويقال إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد . ولي عبد الملك أبو الزعيرة بعد ما خرج عبد الملك إلى الصلاة فله أعلم . وقد دخل يحيى بن سعيد - أخو عمرو بن سعيد - دار الامارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتلوا ، وجرح جماعات من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال ، ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا نأهم ، فأناد إبراهيم بن عدي الكنانى فقال : هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك ببجي بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز ابن مروان ، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم ، فشفعه فيهم وأمر بحبسهم فحبس شهراً ، ثم سيره وبنى عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم

وأحسن إليهم ، ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير ، وفدوا عليه فمكاد يقتلهم فتلطّف بعضهم في العبارة حتى رق لهم رقّة شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خير مني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقربهم ، وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعتي إلى بكتاب الأمان الذي كنت كتبت له عمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحيا كملك به يوم القيامة عند الله . وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك يبغضه بغضا شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبر . قال ابن جرير : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته حتى قتلتها ؟ فقال : -

وَأَدْنِيَّتُهُ مَنِي لَيْسَكُنْ رَوْعُهُ * فَاصُولُ صَوْلَةٍ حَازِمٍ مُسْتَمَكِّنٍ

غضباً ومحبة لدينى إنه * ليس المسيح سبيله كالحسن

قال خليفة بن خياط : وهذا الشعر للضبي بن أبي رافع تمثل به عبد الملك . وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن الشعبي أن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إلى من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الابل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لكما قال أخو بني يربوع : -

أَجَازِي مَنْ جَزَانِي الْخَيْرُ خَيْرًا * وَجَازِي الْخَيْرُ يَجْزِي بِالنَّوَالِ

وأجزى من جزائي الشرّ شراً * كما تحذا النعال على النعال

قال خليفة بن خياط : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد

صَحَّتْ وَلَا تَشَلُّ وَلَا تَضُرُّ عَدُوَهَا * مَيْنُ أَرَاقَتْ مَهْجَةُ ابْنِ سَعِيدٍ

وجبت ابن مروان ولا نبيل عنده * شديدة ضريرة الناس غر بلید

هو ابن أبي العاصي لمروان ينتهى * إلى أسرة طابت له وجود.

وكان الواقدي يقول: أما حصار عبد الملك لعمر بن سعيد الأشدق فكان في سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق ثم كان قتله في سنة سبعين والله أعلم .

وهذه ترجمة الأشدق

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالاشدق ، يقال إنه رأى النبي (ص) ، وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن » وحديثا آخر في العتق ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد



وموسى وغيرهم ، واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطى الكثير ، ويتحمل العظام ، وكان وصى أبيه من بين بنيه ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولا كلفت من قصدنى أن يسألى ، لهو آمن على منى عليه ، وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس فى الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس فى الاسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الأم أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد ثنا على بن زيد أخبرنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول . « ليرعفن على منبرى جبار من جبابرة بنى أمية حتى يسيل رعاfe » قال : فأخبرنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعن على منبر رسول الله (ص) حتى سال رعاfe . وهو الذى كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعى وذكر له الحديث الذى سمعه من رسول الله (ص) فى تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك يا شريح ، إن الحرام لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بحزبة ، الحديث كما تقدم وهو فى الصحيحين . ثم إن مروان دخل إلى مصر بعد ما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمرأ أن يكون ولى العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عمرأ . فما زال ذلك فى نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه أهلها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صورى ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك فى هذه السنة على المشهور عند الأكرهين ، وقال الواقدى وأبو سعيد بن يونس سنة سبعين فأنه أعلم . ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد السكلى بسند له أن رجلاً سمع فى المنام قائلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالسكلى ، وقبل قتله بمدة هذه الأبيات :

ألا يا قومُ للسفاهة والوهن * وللفاجر الموهون والراى . الأفن
ولا بن سعيد بيننا هو قائم * على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجأ * إليه فزارته المنية فى الحصن

قال : فأثنى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضعها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو الطاعة وقتله عبد الملك بن مروان ، وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيها صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيعتك ولك على عهد الله وميثاقه ،

وحلف له بالإيمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدى ، وكتبنا بينهما كتابا ، فأنخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم .

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الأسود النولى

ويقال له الديلى . قاضى الكوفة ، تابعى جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن جلس بن شباعة بن عدى بن الدؤل بن بكر ، أبو الأسود الذى نسب إليه علم النحو ، ويقال إنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وقد اختلف فى اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه ، وقال الواقدى : اسمه عويمر بن ظويلم . قال وقد أسلم فى حياة النبي (ص) ، ولم يره ، وشهد الجبل وهلك فى ولاية عبد الله بن زياد ، وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي : كان ثقة وهو أول من تكلم فى النحو ، وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين . قال ابن خلكان : وقيل إنه توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداءؤها فى سنة تسع وتسعين . قلت : وهذا غريب جداً . قال ابن خلكان وغيره : كان أول من ألقى إليه علم النحو على بن أبى طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرغ على قوله ، وسلك طريقه ، فسمى هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبى الأسود على ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن فى كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فانه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفى أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يمتدنون به إلى معرفة كلام العرب ، ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسن السماء ، قال نجومها ، فقالت : إني لم أسأل عن أحسنها وإنما تعجبت من حسنها ، فقال قولى : ما أحسن السماء قال ابن خلكان : وقد كان أبو الأسود يبخل

وكان يقول : أطلعنا المساكين فى أموالنا لكننا مثلهم ، وعشى ليلة مسكيناً ثم قيده وبيته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذى المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : اطلقنى ، فقال هيهات ، إنما عشتك لأرجح منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن .

قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجى التحكيم بمنى فقتل عند الحجر . والنواب فيها هم الذين كانوا فى السنة التى قبلها . ومن توفي فيها جابر بن سمرة ابن جنادة ، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفي فى سنة ست وستين فآله أعلم .
اسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، بايعة النبي (ص) ، وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها ، وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير

حسان بن مالك أبو سليمان البحدلي قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام . وفيها وقع الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية ، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة ، وأخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار ، وبني بها داراً للامارة وجامعاً ، وأنزلها الجند . وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق وأطلق لجماعة من رؤس الناس بالحجاز أموالاً كثيرة .

ومن توفي فيها من الأعيان عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبي الأفلح ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً ، إذا أقبل الليل من ههنا ، الحديث ، وعنه ابنه حفص وعبد الله ، وعروة بن الزبير ، وقد طلق أبوه أمه فأخذته جدته الشموس بنت أبي عامر ، أتى به الصديق وقال شمعها ولطفها أحب إلي منك ، ثم لما زوجه أبود في أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كف عن الانفاق عليه وأعطاه ثمن ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله . وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هي لك ، فقال له : بل هي لك ، فتركها ولم يتعرضا لها ، ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب ، وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً . قال الواقدي : مات سنة سبعين بالمدينة قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي أبو العلاء من كبار التابعين وهو أخو معاوية من الرضاعة ، كان من فقهاء أهل المدينة وصالحهم ، انتقل إلى الشام وكان

قيس بن دريج

معلم كتاب

المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة ، وكان قد تزوج لبني بنت الحباب ثم طلقها ، فلما طلقها هام لها به من الغرام ، وسكن البادية ، وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه ، فلما زاد ما به أتاه ابن أبي عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فذاك أبي وأمي ، اركب معي في حاجة ، فركب واستنفض معه أربعة نفر من وجوه قريش ، فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد ، حتى أتى بهم باب زوج لبني ، فخرج إليهم فاذا وجوه قريش ، فقال : جعلني الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبي عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ، وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بمحاجتك ، فقال ابن أبي عتيق : اشهدوا على أن زوجته لبني منه طالق ،

قال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكم يطلق هذا زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هواها صباية ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها إلى بيت قيس ، فعملت وأناموا مدة في أرغد عيش وأطيبة رحمهم الله تعالى .

• يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري

الشاعر كان كثير الشعر والهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زيادا ، فنهه معاوية من قتله ، وقال : أدبه ، فسقاه دواء مسهلا وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسلمح على الحمار فقال في ذلك : -

يفسل الماء ما صنعت وشعري * راسخ منك في العظام البوالى

بشير بن النضر قاضى مصر ، كان رزقه في العام ألف دينار ، توفي بمصر ، وولى بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولاني ، والله سبحانه أعلم مالك بن يخامر السكسكى الألهاني الحصى تابى جليل ، ويقال له صحبة فله أعلم . روى البخارى من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكاير عن الأصاغر ، إلا أن يقال له صحبة ، والصحيح أنه تابى وليس بصحابى ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال غير واحد : مات في هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وسبعين

ففيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقى في هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتي . بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان في هذا المام سار إليه عبد الملك وبمئ بين يديه الدرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهبا إلى عبد الملك في السر ، فاستجاب له بمضهم ، وقد كان مصعب سار إلى الحجاز ف جاء ودخل البصرة على إثر ذلك ، فأنب الكبراء من الناس وشتهم ولاهمهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهمم دور بمضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بمجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مسكن ، وكتب إلى الروانية الذين استجابوا لمن بعث إليهم فأجابوه ، واشتروطوا عليه أن يوليهم أصهبان فقال نعم - وهم جماعة كثيرة من الأمراء - وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخنلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقاومون أعداءه ، فاستقتل وطمن نفسه على ذلك ، وقال : لى بالحسين بن على أسوة حين امتنع من

إلقائه يده، ومن الذلة لعبيد الله بن زياد، وجعل ينشد ويقول مسلماً نفسه :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أصحابه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشاً ، فأبى وقال : لعلني إن بعثت رجلاً شجاعاً كان لا رأى له ، ومن له رأى ولا شجاعة له ، وإني أجد من نفسي بصيراً بالحرب وشجاعة ، وإن مصعباً في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قرشي ، وأخوه لا تجهل شجاعته ، وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب ، وهو يحب الدعة والصفح ، ومعنى من ينصح لي ويوافقني على ما أريد ، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوه إلى نفسه ويعددهم الولايات ، فجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مختوماً وقال : هذا جاءني من عبد الملك ، ففتحه فإذا هو يدعوه إلى الاتيان إليه وله نيابة العراق ، وقال لمصعب : أيها الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا ، فإن أظعنتني ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إني لو فعلت ذلك لم ينصحننا عشائهم بعدهم ، فقال : فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه ، فإن كانت لك النصره ضربت أعناقهم ، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان ، إني لفي شغل عن هذا ، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بجر - يعني الأخنف - أن كان ليحذرني غدر أهل العراق ، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن . ثم تواجه الجيشان بدير الجائلين من مسكن ، فحمل إبراهيم بن الأشتر - وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب - على محمد بن مروان - وهو أمير مقدمة الشام - فأزالهم عن موضعهم ، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوه ، وقتل ابن الأشتر رحمه الله وعفا عنه ، وقتل معه جماعة من الأمراء ، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب فهرب أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان ، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم ، فلا يتحرك أحد ، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، وتفانم الأمر واشتد القتال ، وتخاذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثر النزال . قال المدائني : أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا ابن أخي لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمنك عمك فامض إليه ، فقال : لا يتحدث نساء قریش أني أسلمتكم للقتل ، فقال له : يا بني طار كبح خيل سبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فاني مقتول ههنا ، فقال : والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ، ولا أخبر نساء قریش بمصرعك ، ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فانهم على الجماعة ، فقال : والله لا يتحدث قریش

بأنى فررت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدي حتى أحسبك ، فتقدم ابنه فقاتل حتى قتل ، وأثنى مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : يا ثارات المختار ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله على طاعتك ولكن بثأر كان لي عنده ، وكان قد ولى له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانته .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال عبد الملك : لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إلي ، ولكن هذا الملك عقيم ، وقال : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكأنت من بعد عنك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك ، فإذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم ، فانك قد ضعفت جداً . فلم يرد عليه جواباً ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كريماً ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وفاء ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وفاء ، ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليله قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمنه ، فجاءه فقال له : يا مصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك وولدك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان ، فقال مصعب : قضى الأمر ، إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى فقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا ابن أخي لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تلاءم مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن بالقرب من الكوفة . قال المدائني : وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور وقال المدائني : سنة ثنتين وسبعين والله أعلم .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فقتل النخيلة فوفيت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة ، وبأيمه أهل العراق وفرق العائلات في الناس ، وولى الكوفة قطن بن عبد الله الحرى أربمين يوماً ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها . وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خلفية كما يزعم فخرج فأسى بنفسه ولم يفرز ذنبه في الحرم ، ثم قال لهم : إني قد استخلفت عليكم

أخي بشر بن مروان وأمرته بالاحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدّة على أهل المعصية ، فاسمعوا له وأطيعوا .
وأما أهل البصرة فانهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها أبان بن عثمان بن عفان ،
وعبيد الله بن أبي بكر ، فغلبه أبان عليها ، فبايعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابي : والله
لقد رأيت رداء أبان مال عن عاتقه يوما فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه على منكبيه ،
وقال غيره : مدّ أبان يوما رجله فابتدرها معاوية وعبيد الله بن عامر أيهما يغمزها ، قال : فبمث
عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد واليا عليها - يعني على البصرة - فأخذها من أبان
واستتاب فيها عبيد الله بن أبي بكر ، وعزل أبانا عنها . قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير
فعمل لأهل الكوفة فأكلوا من صحاطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حريث ، فقال له عبد الملك :
ما ألدّ عيشنا لو أن شيئا يدوم ؟ ولكن كما قال الأول

وكل جديد يا أميم إلى البلى * وكل امرئ يوما يصير إلى كان

فلما فرغ الناس من الأكل نهض فدار في القصر وجعل يسأل عمرو بن حريث عن أحوال القصر
ومن بنى أما كنه وبيوته ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان
فكان ما قد كان لم يك اذ مضى * وكان ما هو كائن قد كان

قال ابن جرير : وفيها رجع عبد الملك كما زعم الواقدي إلى الشام ، وفيها عزل ابن الزبير جابر
ابن الأسود عن المدينة وولى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان هو آخر أمراءه عليها ،
حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك . وفيها حج بالناس عبد الله بن
الزبير ولم يبق له ولاية على العراق . قال الواقدي : وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر
لحسان المعاني على غزو إفريقية فسار إليها في عدد كثير ، فافتتح قرطاجنة وكان أهلها روما عباد
أصنام . وفيها قتل نجدة الحروري الذي تغلب على اليمامة ، وفيها خرج عبد الله بن ثور في اليمامة .

وهذه ترجمة مصعب بن الزبير

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو
عبد الله القرشي ، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدي ، وأمه كرمات بنت أنيف الكلبيّة ، كان من
أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً . وأسخام كفاً ، وقد حكى عن عمر بن الخطاب ، وروى عن أبيه
الزبير وسعد وأبي سعيد الخدري ، وروى عنه الحكم بن عيينة وعمرو بن دينار الجمحي ، وإسماعيل
ابن أبي خالد ، ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، حكى
الزبير بن بكار أن جميلاً نظر إليه وهو واقف برفة فقال : إن ههنا فتى أكره أن تراه بثينة ، وقال

الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن خالد . وقال الحسن هو أجل أهل البصرة ، وقال الخطيب البغدادي : ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الله حتى قتله عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائلين ، وقبره إلى الآن معروف هناك . وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف ، قال الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأمنهم ، ثم بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا بالأسر ، يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لا يأمن القصاص ، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرق لهم مصعب وأراد أن يخلى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان ، فإن ظفرنا فلکم ، وإن قتلنا لا تقتل حتى تقتل منهم طائفة ، وكان الذي تريد ، فأبى ذلك مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فإن الله عز وجل أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس ، وإن [من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً] فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر أن أجبنى فلك الشام وأعنة الخيل ، فسار ابن الأشتر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أي عم : إني أسألك عن قوم خلموا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبح ابن عمر واسترجع وقال : لو أن رجلاً أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة ألسنت تعد مسرفاً ؟ قال : نعم . قال : أفترأه إسرائيل في البهائم ولا ترأه إسرائيل في من ترجو توبته ؟ يا ابن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنيك . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراق تمكناً زائداً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظي عنده ابن الأشتر فجعله على الوفاة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع ، إلا ابن الأشتر لم يرض له ما جعله عليه ، وقال له : أترأني أحب الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة ، ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام . فقال له أبو حازم الأسدي - وكان قاضي الجماعة بالبصرة - إن لنا ولكم مثلاً قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى :-

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً * غيري وعلقت أخرى غيرها الرجل

قلت كما قيل أيضاً : -

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نزيدها

غلقتك يا أمير المؤمنين وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام إلى مروان ، فها عسينا أن نصنع ؟ قال الشعبي : ما سمعت جواباً أحسن منه ، وقال غيره : وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيراً كما روى أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله سكينه بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكنّا من أحسن النساء في ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرة العراقيين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مائة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكانت مصعب أيضاً جميلاً جداً ، وكذلك بقية زوجاته ، قال الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتني الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتني أن يؤخذ عني العلم . وقال مصعب ، أما أنا فأتني إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينه بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتني المغفرة . قال : فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له

وقال عامر الشعبي : بينما أنا جالس إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف فاذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظرًا أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدري من هذه ؟ فقلت : لا فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، ثم خرجت فقالت : من هذا الذي أظهرتني عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبي ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فأطلق لي عشرة آلاف درهم . قال الشعبي : فكان أول مال ملكته ، وحكى الحافظ ابن عساكر أن عائشة بنت طلحة تغضبت مرة على مصعب ففرضها بأربعمائة ألف درهم ، فأطلقها هي للمرأة التي أصلحت بينهما ، وقيل إنه أهديت له نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المشتمة ، فقامت بألفي ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطاه لعائشة بنت طلحة .

وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى ولو كان ماعساه أن يكون فكانت عطاياه للقوى والضعيف ، والوضع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يبخل . وروى الخطيب البغدادي في تاريخه أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعز الله الأمير ! ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك هذه الحسنة ، وبوجهك هذا الذي يستضاء به ، فأقول : يارب سل مصعباً فيم قتلني . فعفا عنه ، فقال الرجل : أعز الله الأمير إن

رأيت ما وهبني من حياتي في عيش رضى ، فأطلق له مائة ألف ، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات حيث يقول فيك : -

إن مصعباً شهاباً من الله * تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد * أفلح من كان همه الاتقاء

وفي رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبني حياة ، فان استطعت أن تجعل ما قد وهبني من الحياة في عيش رضى وسعة فافعل ، فأمر له بمائة ألف .

وقال الامام أحمد : حدثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن يزيد قال : بلغ مصعبا عن عريف الأنصاري شيء فهم به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله (ص) يقول : « استوصوا بالأَنْصار خيراً - أو قال معروفاً - اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وألصق خده بالبساط وقال : « أُمِر رسول الله (ص) على الرأس والعين » فتركه . ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين . وقال محمد بن يزيد المبرد : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً . وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد انصرف في عينيه ، فتعرف له فعرفه ، قال : أنت الذي قتلت في غداة واحدة خمسة آلاف ممن يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فينظر حتى يتوب ؟ أرايت لو أن رجلاً جاء إلى غنم الزبير فنحر منها خمسة آلاف في غداة واحدة ، أما كان مسرفاً ؟ قال : بلى ! قال : وهي لا تعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمي ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يا بني تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفي رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن عن زفر بن قتيبة عن الكلبي قال قال عبد الملك ابن مروان يوماً لجلسائه : من أشجع العرب والروم ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطري بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس لرجل جمع بين سكيكة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمه الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كرز ، وابنه ريان بن أنيف الكلبي ، سيد ضاحية العرب وولي المراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، مع ما لنفسه من الأموال ومملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال مالا يحصى ، وأعطى مع هذا الأمان وأن يسلم هذا له جميعه مع الحياة فرهد في هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ، ومفارقة هذا كله ومثو

بسيفه فقاتل حتى مات ، وذلك بعد خذلان أصحابه له ، فذلك مصعب بن الزبير رحمه الله ، وليس هو كمن قطع الجسور مرة ههنا ومرة ههنا . فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزبير بن بكار : حدثني فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي بشير عن أبيه . قال : لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال : -

تقد أردى الفوارس يوم عيسى * غلام غير مناع المتاع
ولا فرح بخير إن آناه * ولا هلع من الحدنان لاع
ولا رقابة والخيل تعدو * ولا خال كانبوب البراع

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يأمر المؤمنين لورأيتك والرمح في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويظعن بهذا ، لرأيت رجلاً يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد : -

وإني على المكروه عند حضوره * أكذب نفسي والجفون فلم تغض
وما ذاك من ذل ولكن حفيظة * أذب بها عند المسكارم عن عرضي
وإني لأهل الشر بالشر مرصدة * وإني لذى سلم أذل من الأرض

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كان من أحب الناس إلي ، وأشدهم لي ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجاثليق على شاطئ نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكاً رديئاً وكان يقول : ليقنى قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين فآله أعلم . وحكى الزبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة والثاني أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة فآله أعلم .

وروى الخطيب البغدادي أن امرأته سكينه بنت الحسين كانت معه في هذه الواقعة فلما قتل طلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في خده فقالت : نعم بعل المرأة المسلمة ، كنت أدركك والله ما قال عنتر

وخليل غانية تركت مجندلاً * بالقاع لم يعهد ولم ينثلم
فهنكت بالرمح الطويل إهابه * ليس الكريم على القنا محرم

قال الزبير : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير رحمه الله تعالى :

لقد أورتُ المصيرينَ حزناً وفلةً * قتيلٌ بديرِ الجائليقِ مقيمٌ
فما نصحتُ اللهَ بكرُ بنِ وائلٍ * ولا صدقتُ يومَ اللقاءِ نعيمٌ
ولو كان بكرىا يعطفُ حوله * كئائبَ يبقَى حرها ويدومُ
ولكنه ضاعَ الذمامُ ولم يكن * بها مضرى يومَ ذاكِ كريمٌ
جزى اللهُ كوفياً هناكَ ملامه * وبصرىهم إنَّ الملوَمَ ملومٌ
وإن بنى العلاتِ أخلوا ظهورنا * ونحن صريحٌ بينهم وصميمٌ
فإن نفنُ لا يبقَى أولئكَ بعدنا * لذي حرمةٍ فى المسلمينَ حريمٌ

وقد قال أبو حاتم الرازى : ثنا يحيى بن مصعب الكلبي ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فإذا رأس الحسين بن على على ترس بين يدى عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدى المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدى مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب ابن الزبير على ترس بين عبد الملك ، وعبد الملك على السرير . وقد حكى ذلك الامام أحمد وغير واحد عن عبد الملك بن عمير . وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثى مصعباً أيضاً

نعتِ السحائبُ والغمامُ بأسرها * جسدًا بمسكنِ عارى الأوصالِ
تمسى عوائدهُ السباعُ وداره * بمنازلِ أطلالهنِ بوالى
رحلَ الرفاقُ وغادروهُ ثاويًا * للريحِ بين صبا وبين شمالى

فضائله

وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذى قتل معه وسكينة وأمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنسر لأمهات شتى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعنهم

قال ابن جرير . وذكر أبو زيد عن أبى غسان محمد بن يحيى حدثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام فى الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء وينزل من يشاء ، بيده

الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً وحده، ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الأنام طراً، ألا وإنه أمانا من العراق خبر أحرزنا وأفرحنا، أمانا قتل مصعب فأحرزنا فأما الذي أفرحنا فعلنا أن قتلناه له شهادة، وأما الذي أحرزنا فإن الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعدها، وذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله، وعون من أعوانى، ألا وإن أهل العراق أهل الفدر والنفاق أسدوه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل قاتنا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام، وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف، فإن بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن هو خير منهم وأكرم ولا يقاتلون تابمهم زحفاً، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه، فإن تقبل الدنيا لا آخذها أخذ الاشر البطر، وإن تدبر لا أبكى عليها بكاء الحزين الأسف المهين، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ومن توفى فيها من الأعيان ابراهيم بن الأشتر

كان أبوه ممن قام على عثمان وقتله، وكان إبراهيم هذا من المعروفين بالشجاعة وله شرف، وهو الذى قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا

عبد الرحمن بن غسيلة أبو عبد الله الماردى الصنابحي، كان من الصلحاء، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير، وكان علماً فاضلاً، توفى بدمشق.

عمر بن سلمة الخزومى المدنى ربيب النبي ص، ولد بأرض الحبشة

سفينة مولى رسول الله (ص)

أبو عبد الرحمن كان عبداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ص، فقال: أنا لا أزال أخدم رسول الله ص، لو لم تمتينى ماعشت، وقد كان سفينة بآل رسول الله ص، أليفاً، وبهم خليطاً، وروى الطبرانى أن سفينة سئل عن اسمه لم سمى سفينة؟ قال: سمى رسول الله ص، سفينة، خرج مرة فمعه أصحابه فقتل عليهم متاعهم، فقال لى رسول الله ص: «ابسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم، ثم قال لى: احمل ما أنت إلا سفينة، قال فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما نقل على». وروى محمد بن المنكدر عن سفينة قال: ركبت مرة سفينة فى البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحنى البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءنى فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ص، فطأ رأسه وجعل يدفعنى بجنبه أو بكفه حتى وضعنى

على الطريق ، ثم همهم مهمة فظننت أنه يودعني . وقال حماد بن سلمة : ثنا سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله (س) ، « دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قرما مضروبا فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلي : سل رسول الله (س) ، ما الذي رده ؟ فسأله فقال : ليس لي ولا لنبى أن يدخل بيتنا مضروبا » .

عمر بن أخطب أبو زيد الأنصاري ، الأعرج غزا مع النبي (س) ثلاث عشرة غزوة **يزيد بن الأسود الجرشي السكوني** كان عابدا زاهدا صالحا ، سكن الشام بقرية زبدین ، وقيل بقرية جرين ، وكانت له دار داخل باب شرقي ، وهو مختلف في صحبته ، وله روايات عن الصحابة ، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا ، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس ، وكان يجلسه معه على المنبر ، قال معاوية : قم يزيد اللهم إنا نتوسل إليك بخيارنا وصلحائنا ، فيستسقى الله فيسقون ، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق ، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع في الليلة المظلمة يضيء له إبهام قدمه ، وقيل أصابع رجله كلها حتى يدخل الجامع ، فإذا رجع أضاءت له حتى يدخل القرية . وذكر أنه لم يدع شجرة في قرية زبدین إلا صلى عندها ركعتين ، وكان يمشي في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة ذاهبا إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق وآتيا إلى قريته ، وكان يشهد الصلوات بالجامع بدمشق لانفوه به صلاة . مات بقرية زبدین أو جرين من غوطة دمشق رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاق م مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، حرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير ، وقتل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير ، ثم إن عبد الملك أقر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً ، ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كثرة فظيمة ، وهربوا في البلاد لا يلوون على أحد ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس ودواد بن محند فطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمد بهم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهدا عظيما وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهلهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية ابن عبد الله في جيش كثيف ، فهازمهم أبو فديك وأخذ جارية لأمية واصطفاه لنفسه ، وكتب خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد هذا حرب أبي فديك وحرب

الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعباً وأخذه العراق ، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، وقص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بي إليه فاني قاتله ، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : نخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخليل فيلتقيان فيهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فانه قد كلت شوكته ، وملت جماعته ، وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمه برجال أيضاً ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وارتحل الحجاج من الطائف فقتل بئر ميمونة ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدنا يوم النحر ، وهكذا لم يتمكن كعب من معه من الحج ، وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون وبئر ميمونة فانا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعوه إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول : بعثك أبو الذبان ؟ والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه فأكله ، وبعث عبد الملك إلى بكير بن وشاح نائب ابن خازم على مرو يمه بأمره خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب لينوء فلم يتمكن من ذلك ، وجعل وكيع يقول : يانارات دويلة - يعني أخاه - وكان دويلة قد قتله ابن خازم ، ثم إن ابن خازم تنخم في وجهه وكيع قال وكيع : لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال ، وكان أبو هريرة إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هي البسالة ، وقال له ابن خازم : ويحك أقتلني بأخيك ؟ لعنك الله ، أقتل كبش مصر بأخيك

الملج ؟ وكان لا يساوى كفا من تراب - أو قال من نوى - قال : فاحتز رأسه وأقبل بكبير بن وشاح فأراد أخذ الرأس ففنه منه بجير بن ورقاء بعمود وقيدته ، ثم أخذ الرأس ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسر بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكبير بن وشاح بأقراره على نيابة خراسان . وفي هذه السنة أخفت المدينة من ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق ابن عمرو ، الذى كان بعثه مدداً للحجاج .

وهذه ترجمة عبد الله بن خازم

هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي أبو صالح البصرى أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ، والفرسان المشكورين ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه : ويقال له محبة ، روى عن النبي (س) فى العامة السوداء ، وهو عند أبى داود والترمذى والنسائى لكن لم يسموه ، وروى عنه سعد بن عثمان الرازى وسعيد بن الأزرقي . روى أبو بشير الدولابى أنه قتل فى سنة إحدى وسبعين ، وقيل : فى سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشئ . انتهى ما ذكره شيخنا ، وقد ذكره أبو الحسن ابن الأثير فى الغابة فى أسماء الصحابة ، فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سهاك بن عوف بن امرئ القيس بن نهيبة بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمي ، أمير خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرقي ، وسعد بن عثمان ، قيل إن له محبة ، وفتح سرخس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره فى كتاب الكامل فى التاريخ ، وقتل سنة إحدى وسبعين . وهكذا حكى شيخنا عن الدولابى ، وكذا رأيت فى التاريخ لشيخنا الذهبى . والذى ذكره ابن جرير فى تاريخه أنه قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه قتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، وبعث يدعو به إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطى عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست ففسل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان والله أعلم . وأطعم الكتاب للبريد الذى جاء به وقال : لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

ومن توفى فيها من الأعيان الأحنف بن قيس

أبو معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصرى ابن أخى صعصعة بن معاوية ، والأحنف لقب له ، وإمام اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم فى حياة النبي (س) . ولم يره ، وجاء فى حديث أن

رسول الله .س.، دعا له ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللسان ، وكان يضرب بجلده المثل وله أخبار في حله سارت بها الركبان ، قال عنه عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان . وقال الحسن البصري : ما رأيت شريف قوم أفضل منه ، وقال أحمد بن عبد الله المعجلي : هو بصرى تابعى ثقة ، وكان سيد قومهم ، وكان أعور أحيف الرجلين ذمياً قصيراً كوسجاً له بيضة واحدة ، احتبسه عمر عن قومه سنة يختبره ، ثم قال : هذا والله السيد - أو قال السؤدد - وقيل إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقته ، قيل ذهبت عينه بالجدري ، وقيل في فتح سمرقند ، وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جواداً حليماً ، وكان رجلاً صالحاً . أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكر للنبي .س. ، فاستغفر له ، وقال : كان ثقة مأموناً قليل الحديث . وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح ، وتنان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حس يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على النار الكبرى ؟ وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أردلهم خلقاً ؟ قال : لو غاب قومي الماء ما شربته ، كان الأحنف من أمراء علي يوم صفين ، وهو الذي صالح أهل بلخ على أربع مائة ألف دينار في كل سنة . وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً في القتال بينهما ، وانتصر عليهم . وقال الحاكم : وهو الذي افتتح مرو الروذ ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه ، وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد . وقيل إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة . وقيل عن أكثر من ذلك .

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر ، وكان إذا تعجب الناس من حله يقول : والله إني لأجد ما يجدون ، ولكني صبور . وقال : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال . وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد ، وقال : احبي معروفك بأمانة ذكره ، وقال عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن أدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يسخلاني بينهما ، وقيل له : هم سدت قومك ؟ قال : بتركي من الأمر ما لا يعنيني ، كما عنك من من أمري ما لا يعينك . وأغلظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف أئن قلت لي واحدة لتسمع من بدلها عشرأ ، فقال له : إنك إن قلت لي عشرأ لا تسمع مني واحدة ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن تعذبنى فأنا أهل لذلك ، وإن تغفري فأنت أهل لذلك . وقد كان زياد بن أبيه يقر به ويدنيه ، فلما مات زياد وولى ابنه عبيد الله لم يرفع به رأساً ، فتأخرت عنده منزله ، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجله وعظمه ، وأدناه وأكرمه ، وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه بمحادثته دونهم ،

ثم شرع الحاضرون في الثناء على ابن زياد والأحنف ساكت : فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : أشهدكم أنني قد عزلته عن العراق : ثم قال لهم . انظروا لكم نائباً ، وأجلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافاً كثيراً ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك الكلام ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولى فيها أحداً من أهل بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فإنه رجل حازم لا يسد أحد منهم مسده ، وإن كنت تريد غيره فانت أعلم بقرابتك ، فرده معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فغظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جداً .

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ، ومشى في جنازته : وقد تقدمت له حكاية ، ذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمال جزيل وقاش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف والله سبحانه أعلم .

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي . صحابي جليل ، وأبوه أيضاً صحابي ، روى عن رسول الله (ص) أحاديث كثيرة ، وحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق عبيدة السلماني القاضي وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي . وسلمان بطن من مراد ، أسلم عبيدة في حياة النبي (ص) ، وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير . وحدث عنه جماعة من التابعين ، وقال الشعبي : كان يوازي شريحاً في القضاء ، قال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أننى عليه غير واحد ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين لله أعلم . وقد قيل إن مصعب بن الزبير قتل فيها لله أعلم . ومن توفي فيها أيضاً عبد الله بن السائب بن صيفي الخزومي ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبي بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره عطية بن بشر المازني له صحبة ورواية عبيدة بن فضيلة أبو معاوية الخزازي الكوفي مقرئ أهل الكوفة ، مشهور بالخير والصلاح ، توفي بالكوفة في هذه السنة عبد الله بن قيس الرقييات القرشي العامري أحد الشعراء ، مدح مصعباً وابن جعفر عبد الله بن حماد أبو عبد الرحمن الشاعر السلولي هجاني أمية بقوله : -

شربنا الغيض حتى لو سقيناه * دماء بني أمية ما رويناه

ولو جاؤا برملة أو بهند * لباعنا أمير المؤمنين
وكان عبدة السملاني أعوراً، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتنون الناس. توفي بالكوفة
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المبير قبحه الله
وأخزاه، قال الواقدي : حدثني مصعب بن نائب عن نافع مولى بني أسد - وكان علماً بفتنة ابن الزبير -
قال : حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادى
الأول سنة ثلاث وسبعين ، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة . وقد ذكرنا فيما
تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة ، وكان في الحج ابن عمر ، وقد كتب عبد الملك
إلى الحجاج أن يأتم بآب عمر في المناسك كم ثبت ذلك في الصحيحين ، فلما استهل هذه السنة
استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة ، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى
يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك . وكان مع الحجاج الحبشة ، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً
كثيراً ، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان ، وحبس عنهم الميرة والماء ، فكانوا
يشربون من ماء زمزم ، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة ، والحجاج يصيح بأصحابه : يا أهل الشام
الله في الطاعة ، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم أخذوه في هذه الشدة ، فيشد عليهم
ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبه ، ثم يكرون عليه فيشد عليهم ، فعل ذلك
مراراً ، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول : هذا وأنا ابن الحواري . وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم
في الصلح ! فقال : والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألكم صلحاً أبداً
وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلو أصواتها
على صوت المنجنيق ، ونزلت صاعقة فأصاب من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم
عن المحاصرة ، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول : إني خير بهذه البلاد ، هذه بروق تهامة ورعودها
وصواعقها ، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم ، وجاءت صاعقة من الغد قتلت من أصحاب
ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً ، فجعل الحجاج يقول : ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على
الطاعة وهم على المخالفة ، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون : مثل الفتيق المزبد *
نرمي بها أعواد هذا المسجد * فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقت ، فتوقف أهل الشام عن
الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال : ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا
فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم ؟ فلو أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته ، فنادوا إلى المحاصرة .

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف ، فأمهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً ، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن الزبير ، فأخذوا أنفسهم أماناً من الحجاج فأمهما ، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له ، وخر وجههم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله ، وأنه لم يبق معه إلا اليسير ، ولم يبق لهم صبر ساعة ، والقوم يعطونني ماشئت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكك نفسك وأهلكك من قتل معك ، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلوك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا منها فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، ثم قال : والله ما ركنك إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة ، ولكني أحيت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماء فاني مقتول في يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى لا أمر الله ، فان ابنك لم يعتمد إتيان منكر ، ولا عمل بفاحشة قط ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يغر في أمان ولم يعتمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته ، ولم يكن عندي أثر من رضى ربي عز وجل ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسى ، اللهم أنت أعلم بى منى ومن غيرى ، ولكنى أقول ذلك تعزية لأمى لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لا أرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً ، إن تقدمتني أو تقدمتك ، ففى نفسى اخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك ، فقال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء قبل وبعد . فقالت : لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظلماء في هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين . ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لابسا درعا من حديد فقالت : يا بني ما هذا لباس من يريد ما يريد من الشهادة !! فقال : يا أماء إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به ، فقالت : لا يا بني ولكن ابتزعه فترعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشددهى تقول : شمر ثيابك ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل ، وجعلت تذكره بأبيه الزبير ، وجهه أبى بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة زوج رسول الله (ص) ، وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيدا ، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضى الله عنهما وعن أبيه وأبيها

قالوا : وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرون

عنه يمينا وشمالا ، ولا يثبت له أحد وهو يقول : -

إني إذا أعرف يومى أصبر * إذ بعضهم يعرف نمر ينكر

وكانت أبواب الحرم قد قل من بحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حمص حصار الباب الذى يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبه ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بنى جح ، ولأهل قنسرين باب بنى سهم ، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد ، وكان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقههم وبدد شملهم ، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصبح لو كان قرنى واحداً كفيته ، فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً : إى والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارى ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلى طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغنى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذن ياسعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير ثم صلى ركعتى الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ، ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ، ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم ، فكشفوا وجوههم وعليهم المعافر ، فحرضهم وحثمهم على القتال والصبر ، ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته فى وجهه فارتعش لها ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم : -

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضى الله عنه ، وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه وغر ساجدا قبحه الله ، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكرك من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعذر لأننا محاصروه وليس هو فى حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا ، بل يفضل علينا فى كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ضرب طارقاً . وروى ابن عساكر فى ترجمة الحجاج أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبده الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجاج الناس فقال : أيها الناس ! إر عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازعها أهلها وألحد فى الحرم فأذاق من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير ، وكان فى الجنة ، وهى أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التى نهى عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم

برحمكم الله ، وقيل إنه قال : يا أهل مكة ! كباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير ، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شيء ، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض : وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وإن ابن الزبير غير كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً ، عاملاً بالحق .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع ، وبعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمار بن حزم إلى عبد الملك ، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالروس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقرض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون .

ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كذا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة . حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صواماً قواماً ، ثم قال : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقبلاً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن .

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو بكر . ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين ، هاجرت وهي حامل به ثم فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة . وقيل إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت : فخرجت به وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقبا فولدته ، ثم أتيت به رسول الله . فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فمضغها ثم قفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله . قالت : ثم حنكه ثم دعا له وتبرك عليه ، فكان أول مولود ولد في الإسلام . وهو صحابي جليل ، روى عن النبي « - » أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهيد الجمل ، مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجالية ، ورواها عنه بطولها . ثبت ذلك من غير وجه . وقدم

دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى وبويع بالخلافة أيلم يزيد بن معاوية لما مات معاوية
ابن يزيد ، فكان على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق ، وتمت
البيعة له سنة أربع وستين وكان الناس بخير في زمانه . وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه
عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلى به فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة ، فأتت
به رسول الله (س) ، فحنكه وسماه عبد الله ودعاه ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا
أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون ، وقد سمع
عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله ، فقال : أما والله للذين كبروا عند مولده خير
من هؤلاء الذين كبروا عند قتله . وأذن الصديق في أذنه حين ولد رضى الله عنهما ، ومن قال إن
الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم والله أعلم . وإنما طاف الصديق به في المدينة
ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود . وقال مصعب الزبيري : كان عارضا عبد الله خفيفين ،
وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة ، وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن صالح عن عامر بن
صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن رسول الله (س) ، كلم في غلظة ترعرعوا منهم عبد الله
ابن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبي سلمة ، فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك
ويكون لهم ذكر ، فأتى بهم إليه فكأنهم تكلموا واقتحم عبد الله بن الزبير ، فبسم رسول الله
(س) ، وقال : « إنه ابن أبيه وبأبيه » . وقد روى من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من
دم النبي (س) ، : « كان النبي (س) قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشر به
فقال له لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » . وفي رواية أنه
قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم
فشر به ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : إني شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شيء من
جسد رسول الله (س) في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : ابشر لا تمسك النار
أبدآ . وويل لك من الناس وويل للناس منك » .

وقال محمد بن سعد : أنبا مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد ثنا أبو عمران الجوني أن نوبا كان
يقول : إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء . وقال حماد بن زيد عن ثابت
البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك .
وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل
لا تراه الا جنم حائط . وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، وبركع ليله حتى

يُصْبِحُ ، وَيَسْجُدُ لَيْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَكَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا فَقَرَأَتِ الْبَقْرَةَ وَأَالَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءَ : كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ كَعْبٌ رَاسِبٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ ثَابِتٌ . وَقَالَ أَحْمَدُ : تَعَلَّمَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّلَاةَ مِنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَابْنِ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءَ ، وَعَطَاءٌ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الصَّدِيقِ ، وَالصَّدِيقُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ الْحَمِيدِيُّ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدَرِ قَالَ : لَوْ رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ غَصْنُ شَجَرَةٍ يَصْقِقُهَا الرِّيحُ ، وَالْمُنْجَنِيْقُ يَقَعُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا . قَالَ سَفْيَانٌ : كَأَنَّهُ لَا يَبَالِي بِهِ وَلَا يَعِدُهُ شَيْئًا . وَحَكَى بَعْضُهُمْ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ حَجْرًا مِنَ الْمُنْجَنِيْقِ وَقَعَ عَلَى شَرْفَةِ الْمَسْجِدِ فَطَارَتْ فَلَقَّةٌ مِنْهُ فَفَرَّتْ بَيْنَ لَحْيَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَحَلْقِهِ ، فَمَا زَالَ عَنْ مَقَامِهِ وَلَا عَرَفَ ذَلِكَ فِي صَوْرَتِهِ ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَ مَا وَصَفْتَ . وَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا لَابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ : صَفِّ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جُلُوسًا رَكِبَ عَلَى لَحْمٍ وَلَا لَحْمًا عَلَى عَصَبٍ وَلَا عَصَبًا عَلَى عَظْمٍ مِثْلَهُ ، وَلَا رَأَيْتُ نَفْسًا رَكِبَتْ بَيْنَ جَنْبَيْنِ مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَلَقَدْ مَرَّتْ آجِرَةٌ مِنْ رَمَى الْمُنْجَنِيْقِ بَيْنَ لَحْيَتِهِ وَصَدْرِهِ فَوَاللَّهِ مَا خَشَعَتْ وَلَا قَطِيعَ لَهَا قِرَاءَتَهُ ، وَلَا رَكَعَ دُونَ مَا كَانَ يَرَكَعُ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ خَرَجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا . وَلَقَدْ كَانَ يَرَكَعُ فَيَكَادُ الرَّخْمُ أَنْ يَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَسْجُدُ فَكَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَجَمِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى ابْنَ الزُّبَيْرِ يَسْرِبُ فِي صَلَاتِهِ وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمُصَلِّينَ . [وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : كَانَ قَارِئًا لِكِتَابِ اللَّهِ ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَانِتًا لِلَّهِ صَائِمًا فِي الْهَوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ، ابْنُ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَأُمُّهُ بِنْتُ الصَّدِيقِ ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ حَبِيبَةُ اللَّهِ ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا يَجْهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مِنْ أَعْمَاءِ اللَّهِ . وَرَوَى أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يَوْمًا يُصَلِّي فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ مِنَ السَّقْفِ فَطَوَّقَتْ عَلَى بَطْنِ ابْنِهِ هَاشِمٍ فَصَرَخَ النَّسْوَةُ وَانْزَعَجَ أَهْلُ الْمَنْزِلِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ تِلْكَ الْحَيَّةِ فَقَتَلُوهَا ، وَسَلَّمُ الْوَلَدِ ، فَعَلُوا هَذَا كُلَّهُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَلْتَفِتْ وَلَا دَرَى بِمَا جَرَى حَتَّى سَلَّمَ . وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْخَزَامِيُّ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَنْ لَا أَحْصَى كَثْرَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يَوَاضِلُ الصُّومَ سَبْعًا ، يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا يَفْطُرُ إِلَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَفْطُرُ إِلَّا بِمَكَّةَ ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يَفْطُرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَوَّلَ مَا يَفْطُرُ عَلَى لَيْلِنَ لَقِيعَةٍ وَمِنْ وَصْبٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَأَمَّا اللَّبَنُ فَيَعَصَّمُهُ ، وَأَمَّا السَّمْنُ فَيَقْطَعُ عِنْدَ الْعَطَشِ ، وَأَمَّا الصَّبْرُ فَيَفْتَقُ الْأَعْمَاءَ . وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ عَنْ رُوحٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ قَالَ : كَانَ ابْنُ

الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في الثامن وهو أليتنا . وروى مثله من غير وجه . وقال بعضهم : لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه . وقال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطبق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضي الله عنه . ولقد جاء سيل مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وقال بعضهم : كان ابن الزبير لا ينزع في ثلاث ، في العبادة والشجاعة والفصاحة . وقد ثبت أن عثمان جعله في النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الاسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه ، وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت علي ابن الزبير رداءً يمانية عدنيا يصلى فيه ، وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قبيس وزروراء . وكان آدم نحيفا ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صواماً قواماً شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً . وكانت له حجة وكان له لحية صفراء . وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومائة ألف ، والمسلمون عشرون ألفاً ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يمتثل حتى ركب في ثلاثين فارساً ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواريه يظلمونه بربيش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رمح وكبر وكبر المسلمون ، وحملوا على البربر فهزموهم بين أيديهم قتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جداً ، وبعث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير قصص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : إن استطعت أن تؤدى هذا للناس فوق المنبر ، قال : نعم ! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال عبد الله : فالتفت فاذا أبي الزبير في جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج على في الكلام من هيئته في قلبي ، فرمزي بعينه وأشار إلى ليحصى ، فضيت في الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأنني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني . وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : خرج ابن الزبير في ليلة مقمرة على راحلة له فترل في تبوك فالتفت فاذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة منى شجرة لخلبتك ، قال : ومنك أنت يا لعين يدخل قلبى شئ ؟ وقد روى لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة ، وروى عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير

قال : أقبل عبد الله بن الزبير من المعرة في ركب من قریش فلما كانوا عند اليناصب أبصروا رجلا عند شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير ، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبأ به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير : تنح عن الظل ، فانحاز متكارها ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فسا عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني فاجتذبتني وقلت : أنت رجل من الجن وتبدو إلى هكذا ؟ وإذا له سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إلى تقبدا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هاربا وجاء أصحابي فقالوا : أين الرجل الذي كان عندك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم الحج وما يعقلون . وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فاذا نسوة يطفن بالبیت فأعجبني ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتيت العقبة ثم انحدرن حتى أتيت فجاء فدخلن خربة فدخلت في أثرهن . فاذا مشيخة جلوس فقالوا : ما جاء بك يا ابن الزبير ؟ فقلت : أشتهى رطباً ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأتوني رطباً فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك ، فجلت به المنزل فوضعت في سبط وجعلت السبط في صندوق ، ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : في الصندوق ، ففتحوه فاذا هو في السبط داخله ، فهموا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السبط بما فيه فذهبوا به ، قال . فلم آسف على شيء أسنى كيف لم أثب عليهم وهم في البيت . وقد كان عبد الله بن الزبير ممن حاجف عن عثمان يوم الدار ، وجرح يومئذ بضعة عشرة جراحة ، وكان على الراجلة يوم الجمل وجرح يومئذ تسعة عشرة جراحة أيضاً ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فأنحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادي : اقتلوني ومالكا ، واقتلوا مالكا معي ، فأرسلها مثلاً . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضعة وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً ، وكانت تحبه حباً شديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها ، وقد روى عن عروة أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله . وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير .

وقال الزبير بن بكار : حدثني أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد عن يحيى بن عروة عن عمه عن عبد الله بن عروة قال أظمت السنة فابغة بنى جمعة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات . -

حكيت لنا الصديق لما وليتها • وعثمان وفاروق فارتاح معسماً
وسويت بين الناس في الحق فاستروا * فماد صباحاً حالك اللون مظلم
أتاك أبو ليلى محبوب به الدجا * دجى الليل جواب الفلاة غششم
لتجبر منه جاثياً غدرت به • صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى . فان الشعر أهون رسائلك عندنا ، أما صفوه فما لنا فلان الزبير ، وأما عفوهُ فان بنى أسد يشغلها عنك وتبا ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك لرسول الله (ص) ، وحق لشركتك أهل الاسلام في فيهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه قلائص سبعة وجملاً وخيلاً ، وأوقر له الركاب برّاً وتحرّاً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل ويأكل كل الحب صرفاً ، فقال له ابن الزبير : ويح أبي ليلى ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول : « ما وليت قريش وعدلت ، واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبليون فرط العاصفين »

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب المجالسة : أخبرني خبيب بن نصير الأزدي ثنا محمد بن دينار الضبي ثنا هشام بن سليمان الخزومي عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالتها العرب ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهم ، قال أنشد ذلك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف كل بيت بمائة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت واف كاف ، فأنشده للأزدي : -

بلوت الناس قرناً بعد قرن • فلم أر غير خنثي وقيل • فقال معاوية صدق
ولم أر في الخطوب أشد وقماً • وكيداً من معادات الرجال • فقال معاوية صدق
وذقت مرارة الأشياء طراً • فلتشئ أمر من السؤال • فقال صدق

ثم قال معاوية : هيه يا خبيب ، قال : إلى ههنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره . وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يزيد النميري عن أبي عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء أن معاوية لما حج تلقته الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أكبر حجرة رأسك !! فقال له اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية طاف معه ابن الزبير وهو أخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنزله بقميعةان ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معك أمير المؤمنين إلى دوره ومنزله ففعل معه ماذا ، لا والله

لا أدعك حتى تعطيني مائة ألف عطا فجاء مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مائة ألف ، فقال له : ويحك كيف أصنع بأبن الزبير ؟ وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكير عن علي بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فنفمه ، فقال : والله ما أجهل أن أزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حساباً ، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعاً ، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حواري رسول الله (س) . وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : هات حوائجك . وقال الأصمعي : ثنا غسان بن نصر عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابنه له صغيراً فلطمه لطمه دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال لأنه أبي ، فرجع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمه جعل يدور منها كما تدور الدوامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجز عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه . وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينمى على راحته ، فقال له : أنتنمى وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقتلك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تعلمه ، فقال : لأجرم قتلكم والله بشاله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض علي لالنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأنني بك قد خبطت في الحباله واستحكمت عليك الأنشودة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحلتك رويداً ، ولأطلقتك سريعاً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة . وحكى أبو عبد الله نحو هذا ، وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصد مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمره ما تقدم ، وتفرّد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس ينشد : -

يالك من قنبرة بمصرى • خلاك الجو فيبضى واصفرى • وقرى ما شئت أن تنقرى
يعرض بأبن الزبير . وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك
بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتي في ذلك فأبر قسمي ولا تشق

المصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال : -

ولا أَلينَ لغيرِ الحقِّ أسألهُ * حتى تلينَ لضرسِ الماضِعِ الحجرُ

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريبا ، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جدا ، وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية ، وباع له الضحاك بن قيس بدهش وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جهز السرايا إلى العراق ، ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالمرأى وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريبا من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، وحج بالناس فيها كلها ، وبنى الكعبة في أيام ولايته كما تقدم ، وكساها الحرير ، وكانت كسوتها قبل ذلك الانطاع والمسوح ، وكان ابن الزبير علما عابدا مهيبا وقورا كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع جيد السياسة ، قال أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو عاصم عن عمر بن قيس . قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياء قلت : هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين . وقال الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال ، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة . وقال ابن المبارك عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل - يعني أفرشة - فقال : هذا لي وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه . وقال الثوري عن عبد الله بن أبي بشير عن عبد الله بن مساور . قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ليس بالمؤمن من يبيت شعبان وجاره إلى جنبه جائع » . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى عن عثمان بن عفان . قال قال له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي فنجائب قد أعدتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يلحد كبش من قرش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جدا وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمى وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفرده به ، وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله ابن الزبير ، فانه كان على صفات حميدة ، وقيامه في الامارة إنما كان لله عز وجل ، ثم هو كان الامام

بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه بعد أن اجتمعت
الكلامة عليه ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا إسحاق بن سعيد ثنا سعيد بن عمرو
قال : أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو في الحجر جالس فقال : يا ابن الزبير إياك والاحاد
في حرم الله ، فأتى أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول : « يحملها وتجل به رجل من قريش ، لو
وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا ابن عمر فأنك قد قرأت
الكتب وصحبت النبي (ص) ، قال فأتى أشهد أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون
رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمر ، وما أصابه من الزامتين يوم اليرموك من كلام
أهل الكتاب ، والله أعلم . وقال وكيع عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن حبشي
الكناني عن عليم الكندي عن سلمان الفارسي . قال : « ليحرقن هذا البيت على يدي رجل من
آل الزبير » . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن أبي فضيل ثنا سالم بن أبي حفصة
عن منذر الثوري قال قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أنني كنت أعلم مما علمتني أن ابن الزبير
لا يخرج منها إلا قتيلاً يطاف برأسه في الأسواق . وقد روى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة
قال : إن أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ،
وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام ، وقد تقدم كيفية
مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية ، وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً
ولا يقطر من عينها دمة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناء كثيراً
جداً . وقال الواقدي : حدثني نافع بن ثابت عن عبد الله مولى أسماء قال : لما قتل عبد الله خرجت
إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى
وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : ربما أدبل الباطل على الحق وأهله ،
وإنك بين فرثها والجنة ، فقال إن اينك ألد في هذا البيت ، وقد قال الله تعالى [ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم] وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قالت : كذبت ، كان أول
مولود ولد في الاسلام بالمدينة ، وسره به رسول الله (ص) ، وحسكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت
المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن
أصحابك ، وكان مع ذلك رأى بالوالدين صواماً قواماً بكتاب الله ، معظماً لحرم الله ، يبنض من يعصى
الله عز وجل ، أشهد على رسول الله (ص) . لسمعت يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » وفي
رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج

وانصرف ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء ، وقال : مالك ولا بنه الرجل الصالح ؟ وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه : ثنا عقبة بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي أنبأ الأسود بن شيبان عن أبي نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً فجعلت قریش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهارك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهارك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهارك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهارك عن هذا ، صواما قواما وصولا للرحم ، أما والله لامة أنت شرها لامة خير ، ثم بعد عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقى في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبّت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أولاً بعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبّت وقالت : والله لا آتيه حتى يبعث إلي من يسحبني بقروني ، فقال الحجاج : أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوزف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعد والله ؟ قالت رأيتك فسدت عليه ديناه ، وأفسدت عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله . وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغنى عنه ، أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها « انفراد به مسلم . وروى الواقدي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشتم من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام في ألفي فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف ، وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً : وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام ، وأنه أمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن ينهب في الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط ، وروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعتة على القتل ، ونخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالا شديداً نجاة آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضر به ففقط رجله ، ثم

تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ﷻ أعلم . ثم صلبه الحجاج متكساً على ثنية كذا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه في مقابر اليهود كما رواه مسلم ، وقيل دفن بالحجون بالمكان الذي صلب فيه ، ﷻ أعلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال قال عبد الله بن الزبير لما جرى برأس المختار : ما كان يحدثنا كعب الأحبار شيئاً إلا وجدناه إلا قوله إن فتى ثقيف يقتلني ، وهذا رأسه بين يدي ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خبي له الحجاج . وروى هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل الزبير كان في سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها ، وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته في سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده في أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فمات وقد جاوز السبعين قطعاً ﷻ أعلم .

وأما أمه فأنها لم تعش بعده إلا مائة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور وستأتي ترجمتها قريباً رضي الله عنها وعن أبيها وابنها ، وقد روى ابن الزبير وأخوه مصعب بمراتي كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول معمر بن أبي معمر الذهلي يرثيها بأبيات : -

لعمرك ما أبقيت في الناس حاجة * ولا كنت ملبوس الهدى متذبذباً
غداة دعاني مصعب فأجبت * وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
أبوك حوارى الرسول وسيفه * فأنت بحمد الله من خيرنا أبا
وذاك أخوك المهدي بضياته * بمكة يدعونا دعاء مثوبا
ولم أك ذا وجهين وجه مصعب * مريض ووجه لابن مروان إذ صبا
وكننت امرأة ناصحة غير مؤثر * عليه ابن مروان ولا متقربا
إليه بما تقضى به عين مصعب * ولكنني ناصحت في الله مصعباً
إلى أن رمت الحادثات بسهما * فبالله سهماً ما أسد وأصوبا
فان يك هذا الدهر أردى بمصعب * وأصبح عبد الله شلواً ملجبا
فكل امرئ حاس من الموت جرعة * وإن حاد عنها جهده وتميها

وقيل : إن عبد الله بن الزبير غسلته أمه أسماء بعد أن قطعت مفاصله وحنطته وطيبته وكفنته وصلت عليه وحملته إلى المدينة ، فدفنته بدار صفية بنت حيي ، ثم إن هذه الدار زينت في مسجد النبي (س) فهو مدفون في المسجد مع النبي (س) . وأبي بكر وعمر ، وقد ذكر ذلك غير واحد ﷻ أعلم . وقد روى الطبراني عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن النبي (س) أعطاه دم

مواجهه به ريقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي (ص) ، قال : « ما صنعت يا عبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ ويل لك من الناس ، وويل للناس منك » . ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي (ص) ، فإذا عبد الله بن الزبير قائم في الدهليز ومعه طست يشرب منه ، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله (ص) ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم : قال سلمان : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : أعطيته غسالة محاجمي يهريق ما فيها ، قال سلمان : شربها والذي بعثك بالحق ، قال شربته ؟ قال : نعم ! قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله (ص) في جوفى ، فقال بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : ويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم » . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأثيني فيها ، فقالوا له : برقم أمير المؤمنين فقال :

ولا ألبن لغير الحق أسأله * حتى تلين لضرر الماض الحجر

ثم قال : والله لضربة بسيف بعز ، أحب إلى من ضربة بسوط في ذل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية . وروى الطبراني أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن في الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مائة سنة لم تسقط لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول :-

ولست بمبتاع الحياة بسبة * ولا بمريق من خشية الموت سدا

ثم أقبل على آل الزبير يعظم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما رجه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراء ، والله ما بقيت زحفا قط إلا في الرعيل الأول ، وما أملت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سفيان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا ابن الزانية ، فقال له ابن الزبير : أخسأ يا ابن حام ، أساء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد ، وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالآجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه ففلقت رأسه فوق قائما وهو يقول : لو كان قرني واحداً كفيته ويقول :-

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا يقطر الدم

ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان : العبد يحمي ربه ويحتمي . ثم أرسلوا إليه فحزوا رأسه . وروى الطبراني أيضاً عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل

عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعه ، وهو يتمثل بهذه الآيات :-

أسماءُ أسماءُ لا تبكينى * لم يبقَ إلا حسبي ودينى

* وصارمٌ لانت بهِ يمينى *

وقد روى أن أمه قالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال للحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقا ، إن كان لصواما قواما وصولا للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز ، فانك قد خرفت ، فقالت والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيته ، وأما المبير فأنت » . وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إلى وقال : أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله (ص) قال : « من يعمل سوءا يجز به » . وروى سفيان عن ابن جريج عن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفا في الإسلام ، قارئاً للقرآن ، صواما قواما . أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، ووجه أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة : والله لأحسبن له بنفسى محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر . وقال الطبراني : حدثنا زكريا الناجي ثنا حوثة بن محمد ثنا أبو أسامة ثنا سعيد ابن المرزبان أبو سعيد العباسي ثنا محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم جئتم من آفاق شتى وفودا إلى الله عز وجل ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه فانها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لبي ولبي الناس ، فما رأيت با كيا أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : ثنا حيان بن موسى ثنا عبد الله بن المبارك ثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان قال : كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ، رضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإيما الأيام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله

وقال أبو معاوية : ثنا هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطى سلعة قط لرغبة ولا لرغبة سلطان ولا غيره . وهذه الاسنادات أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ويقولون له : يا ابن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين وإنما كان لي

لطلاق واحد شقته نصفين فجاءت في سفرة رسول الله (س)، أحدهما وأوكت قربته بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيروه بالنطاقين يقول :
إنها والله تلك شكاة ظاهري عنك علوها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان

عبدالله بن صفوان

ابن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المسكي ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي (س) ، وروى عن عمرو وجاعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً حلماً بمحتمل الأذى ، لوسبه عبد أسود ما استكشف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائباً ، ولا مع بمغارة إلا حفر بها جيباً أو عمل فيها بركة ، ولا عقبة إلا سهلها . وقيل إن المهلب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغي أن يكون المهلب . فقال المهلب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سيد قريش بمكة ، فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جنداً .

وقال الزبير بن بكار بسنده : قدم معاوية حلماً فتلقاه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه ، فجعل يساير معاوية وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذي يساير أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجرتكم ، فإذا هي ألفا شاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين . كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إني قد أفلتت بيعتي فاذهب حيث شئت ، فقال إني إنما قاتلت عن ديني . ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة ، رحمه الله وأكرمه .

عبدالله بن مطيع

ابن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني ، ولد في حياة رسول الله (س) ، وحضه ودعا له بالبركة ، وروى عن أبيه عن رسول الله (س) أنه قال : « لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة » . وعنه ابنه إبراهيم ومحمد والشعبي وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن أبي موسى . قال الزبير بن بكار : كان ابن مطيع من كبار رجال قريش جلداً وشجاعاً ، وأخبرني عمي مصعب أنه كان على قريش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرة * والشيخ لا يفر إلا مره * ولا جبرت فرة بكره رحمه الله

عوف بن مالك رضي الله عنه

هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي النطفاني صحابي جليل، شهد موته مع خالد بن الوليد والامراء قبله، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله (س)، أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة، وقد مات قبله، وقال الواقدي وخليفة ابن خياط وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام

أسماء بنت أبي بكر الصديق

والدة عبد الله بن الزبير، يقال لها ذات النطاقين، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شئت نطاقها فربطت به سفرة النبي (س)، وأبي بكر حين خرجا عامدين إلى المدينة، وأما قبيلة وقيل قبيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤى. أسلمت أسماء قديماً وهم بمكة في أول الاسلام، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل متم بولدها عبد الله فوضعت به بقبا أول مقدمهم المدينة، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر. وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابين رضي الله عنهم، وقد شهِت البرموك مع ابنها وزوجها، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين. وقيل إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أماء إن أمير المؤمنين أو صاني بك فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأمر، إنما أنا أم المصلوب على الثنية، ومالي من حاجة، ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله (س)، يقول: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير» فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا إياه. فقال: أنا مبير المناقين. وقيل إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فأتني الله واصبري، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بني من بغايا بني إسرائيل؟. وقيل إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة، ثم إن الزبير لما كبرت طلقها، وقيل بل قال له عبد الله ابنه: إن مثلي لا توطأ أمه، فطلقها الزبير، وقيل: بل ائتمنت هي والزبير فجاء عبد الله ليصلح بينهما فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق، فدخلت فبانت فأنه أعلم. وقد عمرت أسماء دهرًا صالحاً وأضرت في آخر عمرها، وقيل بل كانت مصحبة البصر لم يسقط لها سن. وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا، ثم ماتت بعده بخمسة أيام، وقيل بعشرة، وقيل بمشرين، وقيل بضع وعشرين يوماً، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر، وبلغت من العمر أئة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل ربحها الله. وقد روت عن النبي (س)، عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها ورحمها.

قال ابن جرير : وفي هذه السنة - يعني سنة ثلاث وسبعين - عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة ، فارتحل إليها واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم . وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية ، وهو في أربعة آلاف ، والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم . وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج وهو على مكة واليمن والحجامة ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة . وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح ، يعني الذي كان نائبا لعبد الله بن خازم والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير
عبد الله سعد بن جشم الأنصاري له صحبة وشهد اليرموك ، وكان كثير العبادة والقرآن .
عبد الله بن أبي حنرد الأسلمي أبو محمد له صحبة ورواية توفي بالمدينة .
مالك بن مسمع بن غسان البصري كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة .

ثابت بن الضحاك الأنصاري

له صحبة ورواية توفي بالمدينة ، يقال له أبو زيد الأشثالي وهو من أهل البيعة تحت الشجرة . قال يحيى بن أبي كثير : أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت الشجرة وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قذف مؤمنا بكفر فهو كفيله »
زينب بنت أبي سلمى الخزومية ربيعة النخعي ، ولدتها أمها بالحبيشة ، ولها رواية وصحبة .

توبة بنت الصمة

وهو الذي يقال له مجنون ليلي ، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب ، فرأى ليلي ففوها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقا ، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة ، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم ، وقد قيل له مرة : هل كان بينك وبين ليلي ريبة قط ؟ فقال : برئت من شفاعته محمد - صلى الله عليه وسلم - . إن كنت قط حلت سراويلي على محرم . وقد دخلت ليلي على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامه فقال لها : ماذا رأى منك توبة حتى عشقت هذا المشق كله ؟ فقالت : والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط ريبة ولا خنا ، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها عن الدفءات . فأزال ظلامتها وأجازها . توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلي جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت والله أعلم .

ثم الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء التاسع وأوله سنة أربع وسبعين .
الهجرة وما فيها من الحوادث . نسأل الله التوفيق والأعانة

فهرست الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية

صفحة	قصة	صفحة
	في ذكر شيء من سيرته الفاضلة	٢
	ومواعظه وقضايه الفاضلة	
	وخطبه وحكمه	
٤٧	غريبة من الغرائب وأبدة من الأوابد	١١
	خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه	١٤
	سنة إحدى وأربعين	١٧
٤٨	معاوية بن أبي سفيان ومملكه	١٩
	فضل معاوية بن أبي سفيان	٢٠
٤٩	خروج طائفة من الخوارج عليه	٢٢
	من أعيان من توفي هذا العام	
٥٥	ركانة بن عبد العزيز	٢٣
٥٦	سفوان بن أمية	
٥٧	عثمان بن طلحة	
	عمرو بن الأسود السكوني	
	عاتكة بنت زيد	
٥٨	سنة ثنتين وأربعين	٢٤
	سنة ثلاث وأربعين	
	سنة أربع وأربعين	٢٧
	سنة خمس وأربعين	٢٩
	سنة ست وأربعين	٣٠
	سراقة بن كعب شهد بدرًا وما بعدها	٣١
٦١	عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	
	سنة سبع وأربعين	
٦٣	سنة تسع وأربعين	٣٢
	ذكر من توفي في هذه السنة	٣٣
٦٦	الحسن بن علي بن أبي طالب	
٦٧	سنة خمسين من الهجرة	٤٥
	صفية بنت حيي بن أخطب	٤٦
	وأما أم شريك الأنصارية	
	وأما عمرو بن أمية الضمري	
	أما جبير بن مطعم	
	وأما حسان بن ثابت	
	وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الففاري	
	وأما دحية بن خليفة الكلبي	
	وأما عقيل بن أبي طالب	
	وأما كعب بن مالك الأنصاري السامي	
	المغيرة بن شعبة	
	جويرية بنت الحارث	
	سنة إحدى وخمسين	
	فأما جرير بن عبدالله البجلي	
	جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطاب	
	وأما حارثة بن النعمان الأنصاري	
	وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	
	وأما عبدالله أنيس بن الجهني أبو يحيى	
	وأما أبو بكر نقيع بن الحارث	
	ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين	
	ذكر من توفي فيها من الأعيان	
	خالد بن زيد بن كليب	
	عبدالله بن المغفل المزني	
	كعب بن عجرة الأنصاري	
	معاوية بن خديج	
	هانيء بن نيار أبو بردة البلوي	
	ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين	
	رويفع بن ثابت	
	صعصة بن ناجية	
	جبله بن الأهم	
	سنة أربع وخمسين	
	ذكر من توفي فيها من الأعيان	
	اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	
	ثوبان بن مجد	
	جبير بن مطعم	

- صحيفة
الحارث بن رعي ٦٨
حكيم بن حزام
حويطب بن عبد العزيز العامري ٦٩
معبد بن يربوع بن عنكثة ٧٠
مرة بن شراحيل الهمداني
النعمان بن عمرو
سودة بن زمعة
٧١ ثم دخلت سنة خمس وخمسين
ذكر من توفي من الأعيان
أرقم بن أبي الأرقم
سحبان بن زفر بن إياس
٧٢ سعد بن أبي وقاص
٧٨ فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي
قثم بن العباس بن عبد المطلب
كعب بن عمرو أبو اليسر
ثم دخلت سنة ست وخمسين
٨١ سنة سبع وخمسين
سنة ثمان وخمسين
٨٢ قصة غريبة
٨٣ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٨٧ شداد بن أوس بن ثابت
٨٨ عبدالله بن عامر
عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما
٩٠ قصته مع ليلى بنت الجودي
عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب
٩١ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق
٩٤ ثم دخلت سنة تسع وخمسين
٩١ قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري
٩٧ من توفي في هذه السنة من الأعيان
الحطيئة الشاعر
٩٩ عبد الله بن مالك بن القشب
قيص بن سعد بن عبادة الخزرجي
١٠٢ مقل بن يسار المزني
- صحيفة
أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه
١١٥ سنة ستين من الهجرة النبوية
١١٧ وهذه ترجمة معاوية
١٤٤ ذكر من تزوج من النساء ومن أولاد
١٤٥ فضائل
١٤٦ فضائل
أبو مسلم الخولاني
يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه
١٤٩ قصة الحسين بن علي وسبب خروجه
من مكة في طلب الأمانة ومقتله
١٥٩ صفة مخرج الحسين إلى العراق
١٧٢ ثم دخلت سنة إحدى وستين
صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن
لا يكابرعه أهل التشيع من الكذب
١٩٨ فضائل
٢٠٣ وأما قبر الحسين رضي الله عنه
٢٠٤ فضائل
وأما رأس الحسين رضي الله عنه
شيء من فضائله
٢٠٩ فضائل
في شيء من أشعاره التي رويت عنه
٢١٢ من توفي فيها من الأعيان
٢١٣ جابر بن عتيك حمزة بن عمرو
شيبه بن عثمان بن أبي طلحة العبدي
٢١٤ الوليد بن عقبة بن أبي معيط
أم سلمة أم المؤمنين
٢١٥ ثم دخلت سنة ثنتين وستين
٢١٦ ومن توفي في هذه السنة من الأعيان
٢١٧ الربيع بن خثيم

محيطة

عائقة بن قيس ابو شبل النخعي الكوفي
عقبة بن نافع القهري عمرو بن حزم
مسلم بن معاوية الديلمي

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

٢٢٤ ثم دخلت سنة أربع وستين

٢٢٦ وهذه ترجمة يزيد بن معاوية

٢٢٦ أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

٢٢٧ إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية

٢٣٨ إمارة عبدالله بن الزبير آنذاك

٢٣٩ ذكر بيعة مروان بن الحكم

٢٤١ وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك

٢٤٤ وفيها مقتل النعمان بن بشير الأنصاري

٢٤٦ المنذر بن الزبير بن العوام

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف

٢٥٠ هدم الكعبة وبنائها أيام ابن الزبير

٥١ نلت سنة خمس وستين

٢٥٣ وقعة عين وردة

٢٥٧ ترجمة مروان بن الحكم

٢٦٠ خلافة عبد الملك بن مروان

٢٦٤ ثم دخلت سنة ست وستين

٢٦٨ فضة

٢٧٠ مقتل شمر بن ذي الجوشن

٢٧١ يزعجهم ضرباً ويروي العاملا

٢٧٢ مقتل خولي بن يزيد الأصبحي

٢٧٣ مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

٢٧٦ فضة

٢٧٨ فضة

٢٨١ ثم دخلت سنة سبع وستين

٢٨٢ وهذه ترجمة ابن زياد

٢٨٧ مقتل المختار بن أبي عبيد

محيطة

٢٨٩ ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي

٢٩٢ فضة

٢٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وستين

٢٩٥ ومن توفي فيها من الأعيان

عبدالله بن عباس ترجمان القرآن

٢٩٨ ذكر صفة أخرى لرويته جبريل

٣٠٤ فضة

٣٠٦ صفة ابن عباس

٣٠٧ ثم دخلت سنة تسع وستين

٣١٠ وهذه ترجمة الأشدق

٣١٢ ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الأسود الدؤلي اسماء بنت يزيد

٣١٣ ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي

قيس بن دريج

٣١٤ يزيد بن زياد بن ربيعة الميمري

بشير بن النضر مالك بن يخامر

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

٣١٧ وهذه ترجمة مصعب بن الزبير

٣٢٢ فضة

٣٢٣ ومن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن الأشتر عبد الرحمن بن غميلة

عمر بن سلمة

✓ سفينة مولى رسول الله (ص)

٣٢٤ عمر بن أخطب

يزيد بن الأسود الجرشي السكوني

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

٣٢٦ وهذه ترجمة عبدالله بن خازم

ومن توفي فيها من الأعيان

الأحنف بن قيس

صحيفة

٣٤٦ عوف بن مالك رضي الله عنه
 أسماء بنت أبي بكر الصديق
 ثابت بن الضحّاك الانصاري
 زينب بنت أبي سلمى الخزومي
 توبة بنت الصّمة ٣٤٧

انتهى القهرست

صحيفة

٣٢٨ البراء بن عازب
 عبدة السلماني القاضي
 عطية بن بشر
 عبدة بن فضيلة
 عبدالله بن قيس الرقيات
 عبد الله بن حمام
 ٣٢٩ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين
 ٣٣٢ ترجمة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير
 ٣٤٥ عبدالله بن صفوان وعبدالله بن مطيع



